الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



مسائل العقيدة في حديث الاستخارة وأثرُها على الفرد والمجتمع

إعداد الطالب

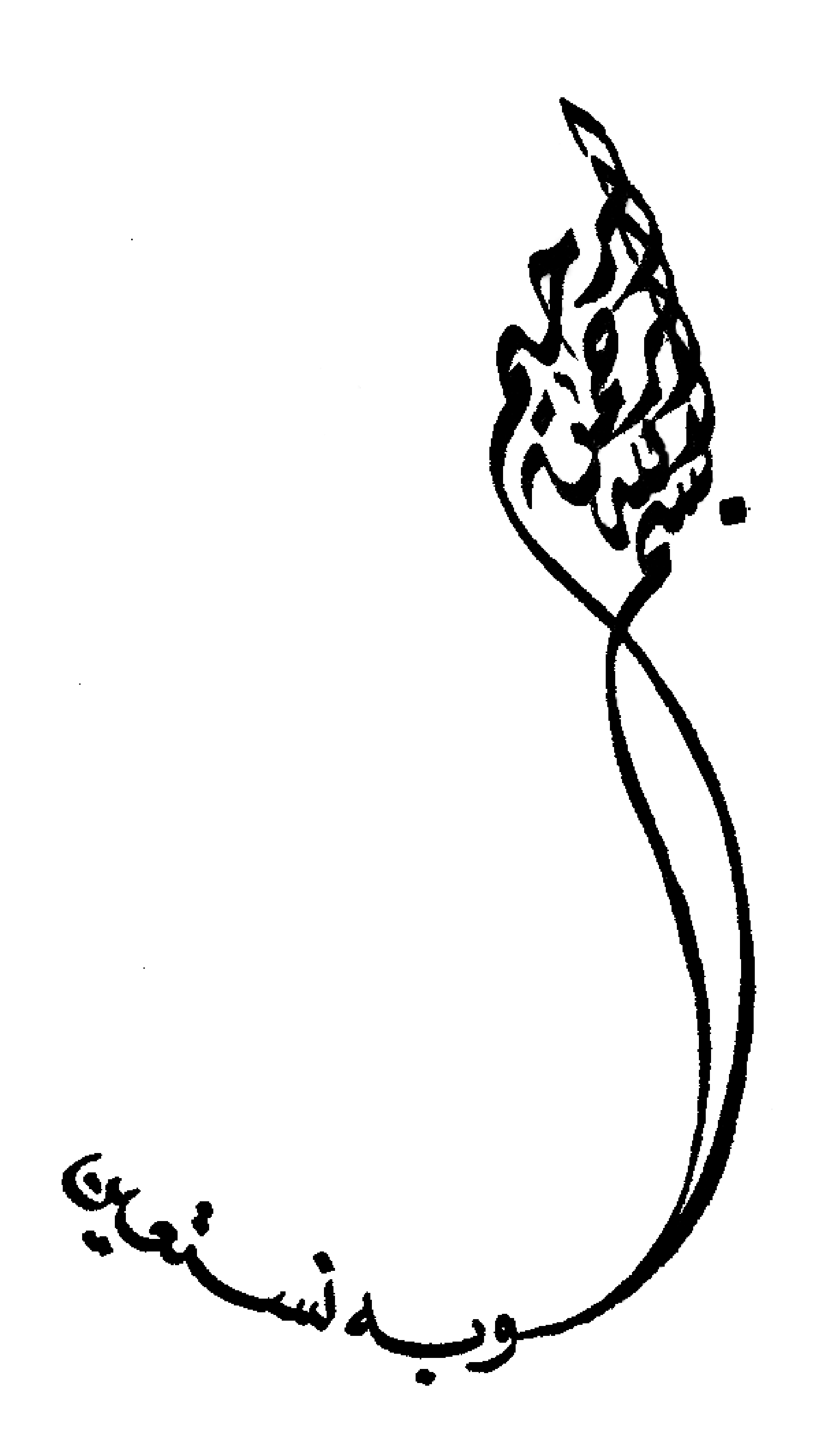
محمد إبراهيم محمد المقادمة

إشراف الأستاذ الدكتور

جابر زايد عيد السميري

قُدِّمَ هذا البحثُ استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

1433 هـ - 2012 م


بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

[الأنعام: 162-163]



إلى المعلم الأول، وسيد الخلق أجمعين محمد ﷺ؛ عسى أن يكون هذا البحثُ مستجلباً لشفاعته يوم الدين.

وإلى روح ابن عمتي وسَمِيّ أبي الشهيد بإذن الله ﷻ الدكتور إبراهيم أحمد المقادمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي بذل حياته كلها مدافعاً عن العقيدة الإسلامية ومربياً للأجيال عليها.

وإلى من عاش معنا زمناً ثم فقدناه؛ إخواني الشهداء الذين رووا بدمائهم ثرى فلسطين الحبيبة، وإلى من ينتظر منهم على ذات الدرب من أخلائي الأوفياء.

وإلى مَنْ كلّل العَرَقُ جبينهما، وشقّقتِ الأيامُ أيديهما، إلى من غرسا فيَّ العزيمة والإصرار على مواصلة درب العلم، إلى والديَّ بارك الله في عمرهما، ومتعني ببرهما، ورد جميلهما.

وبكل الوفاء إلى رفيقة دربي الدكتورة أمل، مَنْ سارت معي نحو العلا خطوة بخطوة، بذرناه معاً، وحصدناه معاً، وسنبقى معاً؛ بإذن الله.

وإلى ابني مصعب الذي ما جاوز ربيعه الثاني؛ عسى أن يكون من العلماء العاملين.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع.

واللهَ أسال أن تكون لي عنده ذخراً يوم الدِّين.

الباحث

محمد إبراهيم المقادمة



قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿...قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ [النمل: 40]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿..ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٣٨﴾[يوسف: 38].

فالفضل كل الفضل لخالقي ﷻ؛ الذي أنعم عليَّ وعلى والديَّ بنعمة الإسلام، ثم يسّر لي طلب العلم الشرعي وتحصيله من منارته في فلسطين ممثلاً بالجامعة الإسلامية، فله الحمد حمداً طيباً مباركاً فيه، ملء السماء وملء الأرض، وملء ما شاء ربي من شيء بعد، على ما يسر من إتمام هذا البحث، وأسأله سبحانه أن يكون خالصاً لوجهه شافعاً لي عنده، وأن يتجاوز عني ما وقع فيه من خلل أو زلل، وأن يوفقني للعمل الصالح الرشيد.

وانبثاقاً من كلام رسولنا ﷺ الذي يقول فيه: (لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)(1)، فإنني أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من أعانني على كتابة هذا البحث ولو بدعوة في ظهر الغيب، وأخص بالشكر فضيلة الأستاذ الدكتور/ **جابر زايد عيد السميري**، الذي كان له الفضل عليّ في تبلور فكرة هذا البحث، ولم يدخر جهداً في تصويبه وتوجيهه، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما وأشكر الأستاذين الكريمين:

* الدكتور/ محمد حسن رباح بخيت، عميد كلية أصول الدين.

* الأستاذ الدكتور/ نعيم أسعد عبد الرازق الصفدي، الأستاذ في الحديث وعلومه.

على قَبولهما مناقشة هذه الرسالة، وبذل الجهد في قراءتها، وتصويبها بإبداء الملاحظات والتوجيهات، فشكر الله ﷻ لهما وأعلى درجتهما.

(1) الجامع الكبير (سنن الترمذي)، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ت 279 هـ، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، ط دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط الأولى 1416 هـ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم 1954، 403/3، قال الترمذي: هذا حديث صحيح، وقال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف- الرياض، ط الأولى 1420 هـ، حديث رقم 1954، 361/2.

وأخص بالشكر والدي الدكتور إبراهيم محمد المقادمة على ترجمته لملخّص هذه الرسالة إلى اللغة الإنجليزية، فجزاه الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول إلى جامعتي الغراء الجامعة الإسلامية، على ما تقدمه من علوم ومعارف تعمل على ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة، والشكر كذلك موصول لعمادة الدراسات العليا، عميداً ومدرسين وإداريين، وكذلك إلى كلية العلماء والمجاهدين كلية أصول الدين، عميداً ومدرسين وإداريين، وإلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة على وجه الخصوص.

وأخيراً: فما كان من توفيق في هذا البحث فمن الله ﷻ وحده، وما كان فيه من خطأ أو نقص فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وإن عملي هذا لا يخرج عن جهد الطاقة البشرية، من محطة المحاولة والاجتهاد، عبر قطبي الخطأ والصواب، فكن لبيباً ناصحاً، وانظر له بعين الرضا؛ فعين الرضا عن كل عيب كليلة، وإياك وعين السخط؛ فإنها تبدي لك المساويا.

وإنني متمثل بقول القائل(1):

فَانظُرْ إليها نَظَرَ المُستَحسِنِ .... وأحسِنِ الظَّنَّ بها وحَسِّنِ

وإنْ تَجِدْ عَيبًا فَسُدَّ الخَلَلا .... فَجَلَّ مَنْ لا فيهِ عَيبٌ وَعَلا

والحمدُ لله على ما أوْلَى .... فَنِعمَ مَا أوْلَى وَنِعمَ المَولَى

ثُمَّ الصَّلاةُ بعدَ حَمْدِ الصَّمَدِ.. على النَّبيِّ المُصطَفَى مُحمَّدِ

وآله أهْلِ التُّقَى والرَّشَدِ.......... وَصَحْبِهِ قُدْوةُ كُلِّ مُقْتَدي

---

(1) هو الإمام الحريري في آخر منظومته النحوية المسماة "ملحة الإعراب". انظر: ملحة الإعراب، للقاسم بن علي الحريري البصري، ت 516 هـ، ط دار السلام- القاهرة، ط الأولى 1426 هـ، 87/1.

ملخص البحث

الحمد لله حمداً كثيراً، طيباً مباركاً فيه، ملء السماء وملء الأرض، وملء ما شاء ربي من شيء بعد، وصلى الله على خير الرسل الهادي محمد ﷺ، أما بعد:

فهذا بحث:**(مسائل العقيدة في حديث الاستخارة وأثرها على الفرد والمجتمع).**

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

ففي المقدمة: بيَّنتُ أهمية البحث، وأسباب اختياره، ثم ذكرت أهدافه، وحددت منهج الدراسة الذي سرت عليه في كتابة كافة فصوله، واستعرضت الدراسات السابقة في ذات الموضوع أو ما يقاربه، ثم ذكرت الخطة التي حددتْ مجالات البحث بدقة منذ البداية.

وفي التمهيد: بيَّنت أهمية الاستخارة في حياة الناس، ومكانتها في الإسلام، وذكرت اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية بها.

ثم افتتحت البحث بالفصل الأول: وتحدثت فيه في مفهوم الاستخارة، وأهميتها والحكمة من فعلها، وعرجت على حث النبي ﷺ عليها وفعل الصحابة لها، ثم تناولت حديث الاستخارة بالتخريج من مظانه، وشرحته بما لا يخل المعنى ولا يمل في الإطناب، ثم عيّنت وقت صلاة الاستخارة، وبينت علاقتها بالاستشارة، وفندت أنواع الاستخارات البدعية بالدليل الشرعي والعقلي، وصححت المفاهيم حولها.

ثم انتقلت إلى الفصل الثاني: وشرعت في ربط حديث الاستخارة بأقسام التوحيد، كلٌّ على حدة، وبيَّنتُ فهم السلف لكل قسم منه، ثم بيَّنتُ دِلالة الحديث على القضاء والقدر، وتحدثت عن الأخذ بالأسباب والتوكل وعدم الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي.

ثم انتقلت إلى الفصل الثالث: وتحدثت فيه عن أثر العقيدة على الفرد والمجتمع، وبيَّنت أنها تحرر المسلم من الانقياد لغير الله ﷻ، وتحرره من إتباع الخرافات والأوهام والتقليد الأعمى، وأنها تحقق السعادة والرضا بقضاء الله ﷻ وقدره، وتنقي المجتمع من الشركيات، وتبني المجتمع المتماسك لأخذه بالأسباب.

وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات؛ وأهم هذه النتائج:

1. أن صلاة الاستخارة يلزمها ركعتين من النوافل المحضة، ولا يجوز أن تتداخل في صلاة نافلة؛ كتحية المسجد.

2. أن دعاء الاستخارة يكون عقب الصلاة موافقة لظاهر الحديث.

3. أن النبي ﷺ لم يفعل الاستخارة؛ لأنه مؤيد بالوحي.

وأهم التوصيات:

1. حث طلاب العلم الشرعي على الربط بين أقسام الكليات الشرعية في أبحاثهم ودراساتهم.

2. توجيه العلماء وطلبة العلم لدراسة أثر السنة النبوية في صقل شخصية المسلم، وإجراء دراسات موضوعية في ذلك.

Abstract

Praise to Allah too much good and blessed filling heavens, earth and whatsoever my Lord wills.

Peace and blessings of Allah be upon the best messenger Mohammed the guidance.

This is my thesis about: **(The questions of Aqeeda about Istikhara hadeeth and its influence on individual and community)**.

This thesis consists of preface, preliminary chapter, three chapters and an conclusion.

The Preface:

I showed the importance of this research, the rationale, then mentioned its goals, identified the study approach which I used in writing all chapters. I showed all past studies in the relevant subject then the plan which identified the scope of research accurately from the beginning.

The Preliminary Chapter:

I showed the effect of Istikhara in the life of people, its rank in Islam and mentioned the care of it in Holy Quran and Sunna.

First Chapter:

I talked about the concept of Istikhara, its importance and the wisdom behind performing. Mentioned the Holy Prophet of doing it then his Companions. I followed the narrators of this hadeeth then commented/explained without abusing the meaning as briefly as I could. And I showed the wrong doing of other made up Istikharat using proofs whether Sharie or logically then corrected the relevant concepts.

The Second Chapter:

I started in binding the Istikhara hadeeth with pillars of Tawheed one by one. Showed the understanding of Salaf (Old Scholars) for every pillar. I showed that this Hadeeth had its impact on Qadha and Destiny, talked about taking means and tawakl meaning relying and depending on Allah after that and not to refer to Destiny for committing mischief/sins.

The Third Chapter:

I talked about the impact of Aqeeda on individual and community showing that it frees the Muslim from following other than Allah Most exalted and superstition and illusions and blind imitation, attaining happiness and satisfaction with destiny, clearing community from infidelities. And building the solid community as it is using the means.

The End:

I had mentioned the most important results and recommendations.

The most important results:

1. Istikhara prayer needs two units of pure Nawafil without interference with a Nafelah like saluting the masjid.

2. Doua' of istikhara is taking place after ending the prayer as per hadeeth.

3. The Holy Prophet (PBUH) did not do it because he was not in need of it as he was supported by Allah as a prophet and a messenger.

The most important recommendations:

1. Urging students of sharei knowledge to combining the pillars of sharaia colleges in their researches and studies.

2. Inviting scholars and students to study the impact of Holy Sunna in building the character of Muslims and have subjective studies.

المقدمة

إنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: 102]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء: 1]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: 70-71].[(1)]

أَمَّا بَعْدُ: فإِنَّ خَيْرَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَة، وكُلَّ ضلالةٍ فِي النَّارِ، وبعد:

لما كان الإنسان محدود العقل، كان لابد له من مرجع يرجع إليه كلما أراد أن يخطو خطوة في حياته؛ حتى يسير واثق الخطى، ثابت الجنان، لا تحرفه الأهواء ولا الشهوات؛ ولذلك جاءت العقيدة الإسلامية ضابطة لسلوك الأفراد والجماعات على حد سواء، ورأت أن في إتباع الأهواء كل الضلال كما قال الله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾[الفرقان: 43]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[القصص: 50]، وقوله: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[الجاثية: 23].

---

(1) هذه الخطبة تعرف باسم خطبة الحاجة، أخرجها الأربعة، وصححها الإمام الألباني في المشكاة: سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت 273 هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، حديث رقم 1892، 609/1. وسنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، ت 275 هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية- بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، حديث رقم 2118، 238/2. وسنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، حديث رقم 1105، 398/2، وقال الترمذي: صحيح. والمجتبى من السنن (سنن النسائي)، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت 303 هـ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، ط الثانية 1406 هـ، كتاب الجمعة، باب كيف الخطبة، حديث رقم 1578، 188/3، وقال الإمام الألباني: صحيح. انظر: مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ت 742 هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي- بيروت، ط الثالثة 1405 هـ، كتاب النكاح، باب إعلان النكاح والخطبة والشرط، حديث رقم 3149، 941/2.

وبما أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد اشتملا على كل معاني التوحيد ومقتضياته؛ لتحقيق السعادة في الدارين، فإن صلاة الاستخارة قد اشتملت على ذلك كلّه؛ لأنها برهان عملي لهذه المعاني والمقتضيات، كما يذكر نص الحديث:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[1] كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الإِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ)[2].

وهذه جملة من تلك المعاني والمقتضيات التي تضمنها الحديث:

1. بيان أسماء الله ﷻ الحسنى وصفاته العلا.
2. بيان دور الإيمان بالقضاء والقدر على مجريات حياة الأفراد والمجتمعات.
3. بيان حقيقة التوكل على الله، والأخذ بالأسباب.

---

(1) جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: هو ابن عبد الله بن عَمْرو بن حَرَام بن كَعْب بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمة، يكنى أبا عبد الله، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وقيل: شهد بدراً، وقيل: لم يشهدها، وكذلك غزوة أحد، وعَمِي في آخر عمره، وكان يحفي شاربه، ويخضب بالصفرة، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة، وكان من المكثرين في الحديث، الحافظين للسنن، وتوفي سنة 74هـ، عن أربع وتسعين سنة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري، ت 463 هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط دار الجيل- بيروت، ط الأولى 1412 هـ، ترجمة رقم 286، 219/1-220. وأسد الغابة في معرفة الصحابة، لعزالدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، ت 630 هـ، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1415 هـ، ترجمة رقم 647، 492/1-493.

(2) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، لمحمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله، ت 256 هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط دار طوق النجاة، ط الأولى 1422 هـ، كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، حديث رقم 1109 (بترقيم د. مصطفى البغا)، 57/2، وبنحوه في كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، حديث رقم 6382، 81/8، وبمثله في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ﴾[الأنعام: 65]، حديث رقم 7290، 118/9.

4. التعرف على حقيقة النفس البشرية، التي يعتريها النقص والقصور.

5. تحقيق الطمأنينة للنفوس والسكينة للقلوب، التي يفتقدها كثير من الناس.

وإنه كلما ابتعد المسلمون عن التمسك بالعقيدة الصحيحة نقص الإيمان، وانتشر الجهل بالدين؛ فعمت البلوى وطمت، فكان لابد لنا من الرجوع إلى ديننا القويم لنستقي منه عقيدتنا الصحيحة؛ لنحقق الفوز في الدنيا والآخرة.

أولاً: أهمية البحث:

يستمد هذا البحث أهميته من كونه يبحث في العقيدة الإسلامية، وبيان الموضوعات الرئيسة فيها؛ كالتوحيد بأقسامه الثلاثة، والإيمان بالقضاء والقدر، الذي حارت فيه بعض أفهام الناس؛ لذلك كان البحث محاولة لتذليل تلك المفاهيم العقائدية التي يعتري اللبسُ فيها بعضَ الناس.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

وإن مما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع أمور منها:

1. أهمية هذا الباب، حيث لم أجد من تناول مسائل العقيدة في حديث الاستخارة في بحث مستقل.

2. أن هذا الموضوع كان يشغل بالي منذ مدة ليست بالقصيرة؛ فكنت أكثر التفكير فيه، والقراءة حوله، محاولاً الربط بين أجزائه.

3. الرغبة في تقريب بعض مسائل العقيدة الإسلامية إلى أذهان الناس.

4. الرغبة في تلبية حاجات الناس المعرفية حول باب العقائد، التي قلما عرفوا عنها شيئاً، وهم على الدوام يسألون فيها.

ثالثاً: أهداف البحث:

للبحث أهداف كثيرة أذكر بعضاً منها في الآتي:

1. بيان مسائل العقيدة الصحيحة في حديث الاستخارة.
2. ربط مسائل العقيدة في الحديث بالواقع المعاصر، والاستفادة منها من ناحية عقائدية.
3. بيان أثر الإيمان بالقضاء والقدر على مجريات حياة الفرد والمجتمع.
4. بيان الواجب على المسلم فعله في أمور حياته؛ حتى يحقق السعادة في الدارين.

رابعاً: منهج الدراسة:

اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي[1]؛ لأنه أنسب المناهج في مثل هذه الدراسات.

خامساً: طريقتي في البحث:

1. الاعتماد على المصادر الأصلية؛ كل موضوع بحسبه.
2. عزو آراء الفرق إلى مصادرها ما أمكن.
3. تقرير عقيدة السلف.
4. تخريج الآيات، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية، وتمييز الآيات بخط مصحف المدينة النبوية ضمن أقواس مزهّرة.
5. الاستدلال بالأحاديث النبوية، والآثار التي تخدم البحث، وعزوها إلى مظانها، وبيان حكم العلماء عليها عدا ما ورد في الصحيحين؛ ومبيناً حكم صاحب الكتاب ابتداء، وإن لم يحكم عليه فسأشير إلى ما نص عليه الإمام الألباني أو غيره من الأئمة المعتبرين، وتمييز الأحاديث النبوية بخط الثلث العريض، ووضعها بين هلالين بهذا الشكل ( ).
6. الاعتناء بعلامات الترقيم.
7. ترجمة بعض الأعلام الوارد ذكرهم في البحث.
8. توثيق النصوص المنقولة لأول مرة في الحاشية، مبتدئاً بذكر اسم الكتاب، فاسم المؤلف مع بيانات التوثيق كاملة، وعند تكرار ذكر المصدر أو المرجع؛ فأكتب اسم الكتاب، والجزء والصفحة، إلا إذا كان هناك أكثر من كتاب بنفس العنوان، فعندها أكتب اسم المؤلف للتمييز، وعند تكرار المصدر أو المرجع في نفس الصفحة دون فاصل بينهما أكتب: المصدر السابق أو المرجع السابق، وفي حالة عدم وجود رقم الطبعة أو سنة الطبع، أكتب بدون رقم الطبعة، أو بدون سنة الطبع.

---

(1) المنهج الوصفي التحليلي: هو استقصاء ينصب على ظاهرة من الظواهر كما هي قائمة في الحاضر؛ بقصد تشخيصها وكشف جوانبها، وتحديد العلاقات بين عناصرها، أو بينها وبين ظواهر أخرى، ولا يقف عند حدود وصف الظاهرة، وإنما يذهب إلى أبعد من ذلك، فيحلل ويفسر ويقارن؛ للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة، والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها. انظر: مقدمة في منهج البحث العلمي، للدكتور: رحيم يونس كرو العزاوي، ط دار دجلة- الأردن، ط الأولى 1429 هـ، 1/97-101.

9. إذا زاد اسم الكتاب عن أربع كلمات، أكتبه أول مرة كاملاً، وبعد ذلك أختصره إلى أربع كلمات أو أقل؛ بحيث يكون الاسم واضحاً لا لبس في فهم مدلوله.
10. بيان معنى الكلمات الغريبة؛ وذلك في الحاشية.
11. إعداد الفهارس اللازمة، وترتيبها على النحو التالي، الآيات القرآنية مرتبة حسب سور المصحف، ثم الأحاديث الشريفة حسب حروف المعجم، ثم الأعلام المترجم لهم حسب حروف الهجاء، وأخيراً قائمة المصادر والمراجع مرتبة هجائياً، ثم الموضوعات.

سادساً: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث عن الدراسات السابقة في هذا الموضوع، ومن خلال مراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، والكشف في المكتبة الإلكترونية بالجامعة الإسلامية بغزة، وكذلك بالبحث في دليل رسائل الماجستير بالجامعة، لم يجد الباحث رسالة علمية تناولت هذا الموضوع، تحت أي قسم من أقسام الجامعة.

فلم يسبق لأحد أن تناول حديث الاستخارة لبيان ما يتضمنه من مسائل عقائدية، إلا أن جوانب من تلك المسائل التي تناولها الحديث مبسوطة في كتب العقيدة بشكل متناثر؛ وهناك بحوث تناولته ببعض من الشرح والتفصيل الفقهي ليس إلا، وذلك مثل:

1. الاستخارة، لسمير قرني محمد رزق.
2. أوقات الاستخارة، لسعد الدين العلمي.
3. يسألونك: كيفية صلاة الاستخارة وصلاة الحاجة؟، ليوسف عبد الوهاب أبو سنينة.

سابعاً: خطة البحث:

تتكون خطة البحث من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس، موزعة على النحو التالي:

المقدمة: وتتضمن:

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهجه، وطريقته، والدراسات السابقة.

التمهيد:

أولاً: تعريف الاستخارة لغة واصطلاحاً.

ثانياً: أهمية الاستخارة في حياة الناس.

ثالثاً: مكانة الاستخارة في الإسلام.

رابعاً: اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية بالاستخارة.

الفصل الأول: بيان حقيقة الاستخارة:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حديث الاستخارة بين النظرية والتطبيق.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية صلاة الاستخارة، والحكمة من فعلها.

المطلب الثاني: حث النبي ﷺ على الاستخارة وفعل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لها.

المبحث الثاني: حديث الاستخارة رواية ودراية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تخريج حديث الاستخارة من مظانه.

المطلب الثاني: شرح حديث الاستخارة.

المطلب الثالث: وقت صلاة الاستخارة وعلاقتها بالاستشارة.

المطلب الرابع: المفاهيم الخاطئة حول صلاة الاستخارة وتصحيحها.

الفصل الثاني: دلالة حديث الاستخارة على مسائل العقيدة الواردة فيه:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دلالة حديث الاستخارة على أقسام التوحيد.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دلالة حديث الاستخارة على توحيد الربوبية، ويتضمن:

أولاً: تعريف توحيد الربوبية لغة واصطلاحاً، وفهم السلف له.

ثانياً: دلالة حديث الاستخارة على توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: دلالة حديث الاستخارة على توحيد الألوهية، ويتضمن:

أولاً: تعريف توحيد الألوهية لغة واصطلاحاً، وفهم السلف له.

ثانياً: دلالة حديث الاستخارة على توحيد الألوهية.

المطلب الثالث: دلالة حديث الاستخارة على توحيد الأسماء والصفات، ويتضمن:

أولاً: تعريف توحيد الأسماء والصفات لغة واصطلاحاً، وفهم السلف له.

ثانياً: دلالة حديث الاستخارة على توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثاني : دلالة حديث الاستخارة على الإيمان بالقضاء والقدر.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحاً، وفهم السلف لهما.

المطلب الثاني: الاحتجاج بالقدر على المعاصي، وعلاقة الأخذ بالأسباب والدعاء بالقضاء والقدر.

المطلب الثالث: دلالة حديث الاستخارة على الإيمان بالقضاء والقدر.

الفصل الثالث: أثر العقيدة الإسلامية على الفرد والمجتمع في ضوء حديث الاستخارة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر العقيدة الإسلامية على الفرد:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحرير المسلم من الانقياد لغير الله ﷻ ورسوله ﷺ.

المطلب الثاني: تحرير العقل من الأوهام والخرافات والتقليد الأعمى.

المطلب الثالث: تحقيق السعادة والرضا بقضاء الله ﷻ وقدره.

المبحث الثاني: أثر العقيدة الإسلامية على المجتمع.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تخلية المجتمع من الشركيات كالتنجيم والطيرة والاستقسام بالأزلام.

المطلب الثاني: بناء المجتمع العالمي الموحد المتماسك لأخذه بالأسباب.

ثامناً: الخاتمة:

وتتضمن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وكذلك التوصيات.

تاسعاً: الفهارس وتتضمن الآتي:

1. فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
2. فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
3. فهرس الأعلام المترجم لهم.
4. فهرس المصادر والمراجع.
5. فهرس الموضوعات.

التمهيــد

أولاً: تعريف الاستخارة لغة واصطلاحاً.

ثانياً: أهمية الاستخارة في حياة الناس.

ثالثاً: مكانة الاستخارة في الإسلام.

رابعاً: اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية بالاستخارة.

أولاً: تعريف الاستخارة لغةً واصطلاحاً:

1. تعريف الاستخارة لغةً:

يقول الإمام ابن قتيبة الدِّيْنَوَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، في كتابه المسمى الجراثيم[2]:"الاستخارة أن تستعطف الإنسان وتدعوه إليك"[3].

ويقول الإمام الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4] في كتابه تهذيب اللغة:"خَايَرْتُ فلاناً فَخِرْتُهُ خَيْراً، والله يَخِيرُ للعبد إذا اسْتَخَارَهُ، وخَارَ الله لنا ما هو خَيرٌ، والأَمْرُ منه خِرْ. ويقال: هذا وهذه وهؤلاء: خِيرَتي؛ وهو ما يَخْتَارُهُ. وتقول: أَنْتَ بالمُخْتَارِ، وأَنْتَ بالخِيَار سَوَاءٌ".[5]

ثم أعقب الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: الاسْتِخَارَةُ أَن تَسْتَعْطِفَ الإنسانَ وتَدْعُوَه إليك. ويقال: اسْتَخَرْتُ فلاناً فما خَارَ لي؛ أي فما عَطَفَ عليَّ؛ والأصلُ في هذا: أنَّ الصَّائِدَ يأتي المَوْضِعَ الذي

---

(1) ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أَبُو مُحَمَّدٍ، عَبْدُ اللهِ بنُ مُسْلِمِ بنِ قُتَيْبَةَ الدِّيْنَوَرِيُّ –نسبة إلى الدِّيْنَور وهي مدينة ما بين الموصل وأذربيجان–، وَقِيْلَ: المَرْوَزِيُّ. الكَاتِبُ. ولد ببغداد سنة 213 هـ، وَصَنَّفَ وَجَمَعَ، وَبَعُدَ صِيْتُهُ. له من المصنفات الكثير، منها؛ غَرِيْبُ القُرْآنِ وغَرِيْبُ الحَدِيْثِ، وَكَانَ رَأْساً فِي عِلْمِ اللِّسَانِ العَرَبِي، وَالأَخْبَارِ، وَأَيَّامِ النَّاسِ، توفي في منتصف رجب سنة 276 هـ. انظر: وَفَيَاتِ الأعيان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت 681 هـ، تحقيق: إحسان عباس، ط دار صادر – بيروت، ط الأولى 1391 هـ، ترجمة رقم 328، 42/3–43. وسير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت 748 هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، ط الثالثة 1405 هـ، ترجمة رقم 138، 296/13–302.

(2) الجراثيم: كل شَيْء مُجْتَمع، وَالْوَاحد جرثومة، وَقد تكون الجرثومة أصل الشَّيْء. انظر: غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، ت 224 هـ، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، ط مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، ط الأولى 1384 هـ، 64/1.

(3) الجراثيم، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت 276 هـ، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، ط وزارة الثقافة– دمشق، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 310/2.

(4) الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أَبُو مَنْصُوْرٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ الأَزْهَرِ بنِ طَلْحَةَ الأَزْهَرِيُّ، ولد سنة 282 هـ، وارْتَحَلَ فِي طَلَبِ العِلْمِ.كَانَ رَأْساً فِي اللُّغَةِ وَالفِقْهِ، ثِقَةً. ثَبْتاً. ديِّناً؛ فَعَنْهُ قَالَ: امتُحِنْتُ بِالأَسرِ سَنَةَ عَارضَتِ القَرَامِطَةُ الحَاجَّ، فكُنْتُ لقومٍ يَتَكَلَّمُوْنَ بِطِبَاعِهِم البَدَوِيَّةِ، وَلاَ يكَادُ يُوجدُ فِي مَنْطِقِهِم لحنٌ أَوْ خطأٌ فَاحشٌ، فَبَقيتُ فِي أَسرِهِم دَهْراً طَوِيْلاً فاستَفدْتُ مِنْهُمْ أَلفَاظاً جَمَّةً، وتوفي سنة 370 هـ بمدينة هراة. انظر: وَفَيَاتِ الأعيان، ترجمة رقم 639، 334/4–336. وسير أعلام النبلاء، ترجمة رقم 222، 315/16–317.

(5) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت 370 هـ، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط الأولى 1422 هـ، 223/7.

يَظُنُّ فيه ولَدَ الظَّبية، أو البقرَةِ الوحشِيَّة، فيَخُورُ خُوارَ الْغَزَال فتَسْتَمِعُ الأُمُّ، فإن كان لها ولَدٌ، ظنَّتْ أنَّ الصوتَ صوتُ ولَدِها؛ فتَتْبَعُ الصوت، فيعلَمُ الصائِدُ حينئذٍ أنَّ لها ولَداً، فيطلبُ موضِعَهُ؛ فيقال: استَخَارها؛ أي: خَارَ لِتَخُورَ. ثم قيل لكلِّ مِن استعطف: قد استَخَار.[1]

وقال الفيروز آبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2] في القاموس المحيط: "وخارَ يَخِيرُ: صار ذا خَيْرٍ، والرجلَ على غيرِهِ خِيرَةً وخِيَراً وخِيَرَةً، فَضَّلَهُ كخَيَّرَهُ، والشيءَ انْتَقاهُ كتَخَيَّرَهُ، وخارَ اللَّهُ لكَ في الأَمرِ جَعَلَ لَكَ فيه الخَيْرَ، واسْتَخارَ طَلَبَ الخِيَرَةَ، وخَيَّرَهُ: فَوَّضَ إليه الخِيارَ، وإنكَ ما وخَيْراً؛ أي: مع خَيْرٍ، أي: ستُصِيبُ خَيْراً"[3].

وقال مرتضى الزَّبِيْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4] في تاج العروس:"وأَخَارَه إِخَارَةً؛ صَرَفَه وعَطَفَه، يقال: أَخَرْنَا المَطَايَا إِلى مَوضِعِ كذَا نُخِيرُهَا إِخارَةً؛ صَرَفْنَاهَا وَعَطَفْنَاها"[5].

---

(1) انظر: تهذيب اللغة، 224/7–225. ومعجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين، ت 395 هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر– دمشق، بدون رقم الطبعة 1399 هـ، 232/2. وتاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، ت 1205 هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط دار الهداية، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 234/11–235.

(2) الفيروز آبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو محمد بن يعقوب، مجد الدين الشيرازي الشافعي اللغوي، قاضي القضاة ببلاد اليمن، ولد في ربيع الآخر سنة 729 هـ، وكان عارفاً باللغة مشاركاً في غير ذلك، وله مصنفات كثيرة منها القاموس في اللغة لا نظير له، ومات في شوال 817 هـ. انظر: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لمحمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبي الطيب المكي الحسني الفاسي، ت 832 هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1410 هـ، ترجمة رقم 553، 276/1–278. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، ت 1089 هـ، تحقيق: محمود الأرنؤوط، ط دار ابن كثير– دمشق، ط الأولى 1406 هـ، أخبار سنة سبع عشرة وثمانمائة، 186/9–193.

(3) القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، ت 817 هـ، تحقيق: مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، ط الثامنة 1426 هـ، 389/1.

(4) الزَّبِيْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الشيخ أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي، هكذا ذكر عن نفسه ونسبه، ولد سنة 1145 هـ، وارتحل في طلب العلم وحج مراراً، وشرع في شرح القاموس حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلداً وسماه تاج العروس، ولما أكمله أولم وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية وذلك في سنة 1181 هـ، وأطلعهم عليه، واغتبطوا به، وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه، ورسوخه في علم اللغة، وكتبوا عليه تقاريظهم نثراً ونظماً. انظر: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ، ت 1237 هـ، ط دار الجيل– بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 104/2–114.

(5) تاج العروس: 235/11.

ويتبين مما سبق من تعريفات أن لفظة الاستخارة جاءت على أكثر من معنى؛ فتارة تأتي بمعنى طلب الخيرة من الله ﷻ لما هو خير من بين ما يَعِنُّ للإنسان من أمور، وتارة تأتي بمعنى التفضيل بين الأشياء، وأخرى بمعنى التفويض الخالص الذي هو عين التوكل، ورابعة بمعنى الاستعطاف أو الرحمة، وخامسة بمعنى الصرف عن الشيء المقدم على فعله.

وبإمعان النظر في هذه المعاني يتبين أن بينها رباطاً وثيقاً لا يحتاج إلى كثير جهد لتبيينه؛ فالمسلم إذا نزلت به الحوادث أسند أمره إلى ربه ﷻ بداية طالباً منه الخيرة من بين ما حلَّ به، ثم إنه لو عَرَضَ له أمران أو أكثر ولم يستطع أن يستبين الأحمد عاقبة طلب التفضيل من بينها؛ وهو مثل الاختيار، وكذلك فإن المسلم عند رجوعه إلى خالقه ﷻ فهو يفوض أمره إليه؛ وهذا من باب التوكل عليه، والالتجاء إليه، ليخرج من ذلك بأن ينظر الله ﷻ له بعين الرحمة والعطف فيوفقه لما هو خير له في العاجل والآجل، أو ليصرفه عن السوء أو يصرف السوء عنه من باب الرحمة والعطف كذلك.

2. تعريف الاستخارة اصطلاحاً:

يبين الإمام ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] عند شرحه لحديث الاستخارة أن المراد من الاستخارة طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما.[2]

---

(1) ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو شهاب الدين أبو الفضل، الكناني، العسقلاني، الشافعي، صاحب أشهر شرح لصحيح الإمام البخاري، أصله من عسقلان بفلسطين، ولد بالقاهرة عام 773هـ. عالم محدِّث فقيه أديب، وارتحل في طلب العلم، ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقي، ولما حضرت العراقي الوفاة قيل له من تخلف بعدك؟ قال: ابن حجر، ثم ابني أبا زرعة، ثم الهيثمي. كان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. وله تصانيف كثيرة، منها فتح الباري شرح صحيح البخاري، والإصابة في تمييز أسماء الصحابة، وتوفي سنة 852 هـ بالقاهرة. انظر: ذيل التقييد، ترجمة رقم 691، 352/1-357.

(2) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، بتعليقات الشيخ: عبد العزيز بن باز، ط دار المعرفة- بيروت، بدون رقم الطبعة 1379 هـ، 183/11.

وقال العظيم آبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] في شرحه:"أَيْ طَلَبُ تيسُّر الْخَيْرِ فِي الْأَمْرَيْنِ مِنَ الْفِعْلِ أَوِ التَّرْكِ، مِنَ الْخَيْرِ وَهُوَ ضِدُّ الشَّرِّ، فِي الْأُمُورِ الَّتِي نُرِيدُ الْإِقْدَامَ عَلَيْهَا مُبَاحَةً كَانَتْ أَوْ عِبَادَةً؛ لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى إِيقَاعِ الْعِبَادَةِ فِي وَقْتِهَا وَكَيْفِيَّتِهَا لَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَصْلِ فِعْلِهَا"[2].

ولكن الشيخ المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3] قد زاد على تعريف الإمامين ابن حجر والعظيم آبادي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ زيادة توضيح فقال:"هي طلب خير الأمرين من الفعل والترك لمن احتاج إلى أحدهما؛ أي في الأمور التي نريد الإقدام عليها مما يُعتنى بشأنها، مثل السفر والنكاح والعمارة ونحوها، لا كالأكل والشرب المعتاد"[4].

وأورد صاحب القاموس الفقهي بأن الاستخارة هي: أن من أراد أمراً من الأمور صلى ركعتين بنية صلاة الاستخارة، ثم دعا بدعاء مخصوص.[5]

---

(1) العظيم آبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو الطيب، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، علامة بالحديث، هندي الأصل، له تصانيف كثيرة، منها: التعليق المغني على سنن الدارقطنيّ، وعون المعبود على سنن أبي داود، وغيرها، وتوفي ما بعد 1310 هـ. انظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد ابن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ت 1396 هـ، ط دار العلم للملايين- بيروت، ط الخامسة عشرة 1422 هـ، 39/6.

(2) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبي عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، ت 1329 هـ، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الثانية 1415 هـ، 277/4.

(3) المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري، ولد سنة 1327 هـ ببلدة مباركفور إحدى مديريات الولاية الشمالية في الهند، انتقل مع والده إلى دار الحديث بدلهي، وأكمل دراسته هناك، وتخرج على أيدي الأساتذة المتخصصين، فدرس الصحيحين والموطأ، وحصل على شهادة العالمية سنة 1345 هـ. وله بحوث قيمة في بعض المسائل؛ منها مثلا: "بيان الشرعة في بيان محل أذان خطبة الجمعة"، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام 1414 هـ. انظر ترجمته على موقع المكتبة الشاملة على الشبكة العنكبوتية على الرابط التالي: http://shamela.ws/index.php/author/1092

(4) حاشية مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد ابن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري، ت 1414 هـ، ط إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية- نارس الهند، ط الثالثة 1404 هـ، حديث رقم 1332، 360/4.

(5) انظر: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، للدكتور سعدي أبي حبيب، ط دار الفكر- دمشق، ط الثانية 1408 هـ، 125/1.

3. الربط بين تعريف الاستخارة اللُّغوي والاصطلاحي:

لقد تقرر في اللغة العربية أن يكون التعريف الاصطلاحي منبثقاً من جوهر المعنى اللُّغوي، وهذه قاعدة سارية في العربية، لا يشذ عنها إلا النزر اليسير من الألفاظ، ولتتضح المسألة أكثر بإذن الله ﷻ، ففيما يأتي بيان صلة المعنى الاصطلاحي للاستخارة بمعناها اللُّغوي:

1. جاء في التعريف اللغوي أن الاستخارة أصلها الاستعطاف، وهو متضمن في المعاني الاصطلاحية لها؛ فالعبد إذا عنَّتْ له الأمور ولم يبن له فيها الوجه الأحمد، تضرع إلى خالقه ﷻ مستعطفاً إياه ليعطف عليه بأن يوفقه لما هو خير.
2. وجاء في تعريفها اللغوي أنها طلب الاختيار من الله ﷻ لما هو خير؛ فالعبد يعرض له أمران أو أكثر، وهو بحاجة إلى فعل أحدها وترك الآخر، من باب إرادة الخير والبعد عن الشر وسوء العاقبة؛ ولكنه لا يستوي عنده الحال في الاختيار، فيلجأ إلى الله تعالى طالباً منه أن يختار له من بين تلك الأمور.
3. وكذلك فإن التفضيل وارد في التعريف اللغوي لها، وهو حقيقة الاختيار من بين الأمور، فإن من اختار أمراً فقد فضله على غيره؛ ولو كان غيرُه منه أفضل لَمَا عَدَلَ عنه إليه.
4. وأيضاً إنَّ مَن طلب من الله ﷻ أن يختار له من بين الأمور التي نزلت به، فإنه يطلب كذلك أن يجعل الله ﷻ له الخير فيما يسّر له من أمره.
5. وإنَّ مِن المعاني اللغوية للاستخارة أنها تعني التفويض؛ وهو حقيقة طلب العبد من الله ﷻ أن يختار له، أو ييسره لأمر ما؛ فإن من طلب ذلك فقد أسند أزمة أحواله إلى ركن شديد.
6. وجاء في معانيها اللغوية أنها صرف الهمة إلى ما هو المختار عند الله ﷻ، وهو داخل في عموم المعاني السابقة؛ فإن مَن سأل الله ﷻ أن يختار له، أو أن ييسر له التفضيل بين الأمور، أو فوضه في اختيار ما فيه الخير، فقد طلب من الله ﷻ أن يصرفه عن الشر، ويصرف الشر عنه، وأن يقرّبه من الخير، ويقرّب الخير منه.

وأخيراً؛ وبعد عرض تعريفات الاستخارة اللُّغوية والاصطلاحية والربط بينها، يتبين أنها عبارة عن دعاء مخصوص جاء ذكره في سنة رسول الله ﷺ، ويشرع للمسلم أن يدعو به بعد أدائه لركعتين مخصوصتين من غير الفريضة، وذلك إذا أراد أن يعزم على فعل أمر ذي بال؛ فيطلب من الله تعالى أن يوفقه لاختيار ما هو خير عنده، وفيه حسن المآل في العاقبة، وكذلك أن يصرفه عن الشر وسوء العاقبة.

ثانياً: بيان أهمية الاستخارة في حياة الناس.

لقد بيَّنَتِ الشريعة الغرّاء أن الله ﷻ إنما خلق الإنسان في دار الدنيا للاختبار والابتلاء؛ حيث يقول سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ﴾[الملك: 1-2]، وأورد الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] في تفسيره لهذه الآية مسألتين: "الأولى: قوله تعالى: ﴿ . . ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ . . ﴾ قيل: المعنى خلقكم للموتِ والحياة؛ يعني للموت في الدنيا، والحياة في الآخرة. وقدم الموت على الحياة؛ لأن الموت إلى القهر أقرب... المسألة الثانية: ﴿ . . ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ . . ﴾ قُدِّم الموتُ على الحياة؛ لأن أقوى الناس داعياً إلى العمل مَنْ نَصَب موتَه بين عينيه، فَقُدِّمَ؛ لأنَّه فيما يرجع إلى الغرض المَسُوقِ له الآيةُ أهمّ".[2] ثم أعقب بقوله: "وقيل: خلق الله الموتَ للبعث والجزاء، وخلق الحياة للابتلاء؛ فاللام في ليبلوكم تتعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت"[3].

ويتبين من ذلك أن الغاية من الحياة الدنيا هي ابتلاء الإنسان، والحقيقة أن هذا المخلوق مربوب لله ﷻ، لا يعدو كونه خلقاً ممن خلق، فلابد أن يلزمه إظهار الانقياد لمن خلقه، وأودع فيه الروح بعدئذ لم تكن. ثم بينت الشريعة بأن الله ﷻ أراد من ذلك المخلوق أن يعبده وحده ولا يشرك به شيئاً؛ حيث قال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾[الذاريات: 56]، وقال سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ۝١١٥ ﴾[المؤمنون: 115].

---

(1) القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب في شمالي أسيوط بمصر، وتوفي فيها سنة 671 هـ. له تصانيف عديدة، منها: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، المشهور بتفسير القرطبي. انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت 748 هـ، تحقيق: بشار عوّاد معروف، ط دار الغرب الإسلامي، ط الأولى 2003م، ترجمة رقم 27، 229/15.

(2) الجامع لأحكام القرآن الكريم والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد ابن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت 671 هـ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى 1427 هـ، 110/21.

(3) المصدر السابق، 112/21.

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] في معنى هذه الآية:"لا يُؤمر ولا يُنْهى"[2]، ويقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3] في معنى هذه الآية:"...أي لغير شيء ولا حكمة، ولا لعبادتي ومجازاتي لكم، وقد صرح تعالى بهذا في قوله ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات: 56]، فالعبادة هي الغاية التي خلق لها الجن والإنس، والخلائق كلها؛ قال الله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾[القيامة: 36]، أي؛ مهملاً، وقيل: لا يُثَاب ولا يُعَاقب"[4]. والصحيحُ الأمران؛ فإنَّ الثواب والعقاب مترتبان على الأمر والنَّهي، والأمر والنَّهي طلبُ العبادة وإرادتُها، وحقيقةُ العبادةِ امتثالُهم.

وبعد هذا وحتى تتم الموازنة بين مسألة الإيجاد التي تتضمن معنى الاختبار والابتلاء، وبين ما يُكَلَّفُ به الإنسان من الأمر بالعبادة بمفهومها الواسع؛ الذي يشمل الاعتقاد والقول والعمل، كان لابد أنْ يمرَّ الإنسانُ خلال مسيرة حياته بين كرب وفرج، وشدة ورخاء، وعسر ويسر؛ ليتبين

---

(1) الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو محمد بن إدريس، الإمام عالم عصره، ناصر الحديث، وفقيه المِلَّة، أبو عبد الله القُرَشِيُّ المُطَّلِبِيُّ، نسبه إلى المطلب وهو أخو هاشم والد عبد المطلب، الشَّافِعِيُّ المَكِّيّ، اتَّفَقَ مولده بِغَزَّة، وبعد موت أبيه تَحَوَّلَتْ بِهِ أمه إِلَى مَكَّةَ، وأقبل على الرَّمْي، حتى فاق أقرانه، وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة، ثم أقبل على العربية وَالشَّرْعِ، فبرع في ذلك وتقدم. ثمَ حُبِّبَ إليه الفِقْهُ؛ فسادَ أهل زمانه. صَنَّفَ التَّصَانِيْفَ، وَدَوَّنَ العِلْمَ، وَرَدَّ عَلَى الأَئِمَّةِ مُتَّبِعاً الأَثَرَ، وَصَنَّفَ فِي أُصُوْلِ الفِقْهِ وَفُرُوْعِهِ، وذاعَ صِيْتُهُ، وَتَكَاثَرَ عَلَيْهِ الطَّلَبَةُ، وتوفي بمصر سنة 204 هـ. انظر: تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ت 463 هـ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط الأولى 1422 هـ، ترجمة رقم 404، 392/2-414.

(2) تفسير الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ت 204 هـ، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد ابن مصطفى الفرَّان، ط دار التدمرية- السعودية، ط الأولى 1427 هـ، 1412/3.

(3) ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي، نسبته إلى قرية زُرْعَة من قرى حوران بدمشق، أبو عبد الله، شمس الدين، كان مولده عام 691 هـ. أحد أنجب تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حيث كان لا يخرج عن شيء من أقواله، وهو من هذّب كتبَه ونشر علمَه، حتى سُجن معه في قلعة دمشق ثم أطلق بعد موت ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ. له تصانيف كثيرة؛ منها مثلاً: إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المرجئة والجهمية، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، وقبض رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة 751 هـ بدمشق. انظر: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لإبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن مفلح، أبي إسحاق، برهان الدين، ت 884 هـ، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط مكتبة الرشد- الرياض، ط الأولى، 1410 هـ، ترجمة رقم 910، 384/2-385.

(4) التفسير القيم، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1419 هـ، 88/1.

من ذلك صلاحُه لدخول الجنة، أو إخفاقه فيلج النار في الآخرة. ثم كان لابد للمؤمن الذي أحسن العبادة أن يلتجئ إلى خالقه طالباً منه الخيرة له من بين ما يعّن له من أمور؛ حتى يتحقق له السداد في الاختيار، وعندها يكون قد توافق عنده صحيح الاعتقاد، وصحيح القول والعمل؛ فيحقق عندئذ مراد الشارع الحكيم، ويكون حريّاً بنوال الثواب الجزيل من الخالق سبحانه.

ولهذا فإن الشريعة الإسلامية بما احتوت من الأوامر والنواهي الربانية والوصايا المُحَمَّديّة، فقد شرعت صلاة الاستخارة؛ التي تتضمن استلهام الحق ودحض الباطل، واستجلاب الخير ونبذ الشر، والخروج من محدودية العلم والقدرة الإنسانية، إلى مطلق العلم والقدرة الإلهية؛ فصلاة الاستخارة هي المدخل الصحيح للإقدام على الحوادث، وباب النجاح في الدنيا لكل من رام رضا الرحمن في الآخرة؛ فالإنسان محدود العلم، ومهما بلغ به علمه فلن يصل إلى علم الغيب الذي استأثر الله ﷻ به؛ حيث قال سبحانه: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[النمل: 65]، وقال ﷻ: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[الإسراء: 85]، وقال أيضاً: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام: 59]، ويستفاد من الآيات كون علم الله مطلق وواسع لا حدود له، وأن ما أوتيه الإنسان من علوم ومعارف ما هو بشيء إلى علم الله تعالى.[1]

وانبثاقاً من محدودية علم الإنسان وقدرته بشكل عام فإن الواجب على المؤمن أن يسلّم أموره كلها لخالقه سبحانه؛ فهو من يقلّب الدهور ويعلم عواقب الأمور؛ حيث يقول سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[يونس: 31]، فعن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2] أن النبي ﷺ كان

---

(1) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أبي بكر الجزائري، ط مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة، ط الخامسة 1424 هـ، 214/4.

(2) أبو بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هو نفيع بن الحارث بن كلدة. وَكَانَ أَبُو بَكْرة من عبيد الحارث بْن كلدة بْن عَمْرو الثقفي فاستلحقه، وَهُوَ ممن غلبت عَلَيْهِ كنيته. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:(حَاصَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَهْلَ الطَّائِفِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدَانِ، فَأَعْتَقَهُمَا، أَحَدُهُمَا أَبُو بَكْرَةَ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْتِقُ الْعَبِيدَ إِذَا خَرَجُوا إِلَيْهِ)(مسند الإمام أحمد، حديث رقم 2176، 65/4–66، قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره). سكن أَبُو بَكْرة البصرة، ومات بها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سنة إحدى وخمسين. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 2660، 1530/4–1531. وأسد الغابة، ترجمة رقم 5289، 334/5.

يقول: (دَعَوَاتُ المَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، ولا تَكِلني إلى نفسي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّه، لا إِلَهَ إلا أنتَ)[1].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[2] أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهم لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ. اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لا إِلهَ إلا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الذي لا يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ).[3] وهنا يتبين أن نبينا ﷺ يلوذ بخالقه ﷻ في سائر أمور حياته، يطلب منه الرعاية والسداد، ويُعَدُّ هذا إيذاناً منه بتجريد نفسه من الحول والطول، وأنه يُرجِع الأمور إلى مسببها ﷻ؛ وذلك من كمال التوحيد، وبهذا يكون ﷺ قد رسم لأمته الطريق المستقيم نحو إرضاء الله سبحانه.

وعندما نرى النبي ﷺ قد ألجأ ظهره إلى خالقه سبحانه، وتبرأ من كل العلائق مما سواه، يتبين لنا أهمية صلاة الاستخارة؛ لأنها فطام للنفس من تأثير شهواتها واقتفاء أهوائها، فلا سبيل إلى الاختيار مع وجودهما؛ بل إن الاستخارة محض الثقة بالله ﷻ، والاعتماد عليه، والركون إليه.

وبالتأمل قليلاً في ألفاظ حديث الاستخارة، يتبين أكثر من ذلك، فعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ: (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ

---

(1) الأدب المفرد، للإمام الحافظ الحجة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت 256 هـ، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، ط مكتبة المعارف– الرياض، ط الأولى 1419 هـ، باب الدعاء عند الكرب، حديث رقم 701، 368/1–369، قال الإمام الألباني: حسن. انظر: صحيح الأدب المفرد، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة الدَّليل– السُّعودية، ط الرابعة 1419 هـ، حديث رقم 539، 260/1–261.

(2) ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو عبد الله بن عباس بن عبد المُطَّلب بن هاشم بن عبد مَنَاف، أبو العباس القرشي الهاشمي، ابن عمِّ رسول الله ﷺ. كان يسمى البحر؛ لسعة علمه، ويسمى حَبْر الأمة. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين. كان يُصَفِّر لحيته، وكان جميلاً أبيضَ طويلاً، مُشْرَباً صفرة، جسيماً وسيماً صبيح الوجه، فصيحاً. وقبض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة 68 هـ بالطائف، وهو ابن سبعين سنة. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 1588، 933/3–939. وأسد الغابة، ترجمة رقم 3037، 291/3–294.

(3) صحيح مسلم، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت 261 هـ، ط دار طيبة– الرياض، ط الأولى 1427 هـ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم 2717، 1461/2.

لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ).[1]

وبإمعان النظر في حديث الاستخارة، تتبين أمور جليلة جداً؛ فقول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:(كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ)، قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ[2]عند شرحه لهذا الحديث:"... هذا دليل على العموم، وأن المرء لا يحتقر أمراً لصغره وعدم الاهتمام به؛ فيترك الاستخارة فيه، فَرُبَّ أمر يستخف بأمره فيكون في الإقدام عليه ضرر عظيم، أو في تركه"[3]، وهذا الأمر يشهد له واقع حال الخلق، فكم من قول أو عمل بسيط أقْدَم عليه صاحبه؛ فسبَّب له أعظم الضرر، ولو قُدّر له تركُه لكان خيراً له، وكم من شيء لا يؤبه له قد تركه؛ ففاته من المنفعة بقدر ما فاته من حسن الطلب كذلك؛ ولو كان قد هُدي إلى الاستخارة، ثم الأخذ بالأسباب الشرعية المعينة على قضاء حوائجه مهما صغرت؛ لكان خيراً له في عاجل أمره وآجله.

ثم تأمل قوله ﷺ حيث يقول:(إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ)، فأنت تلجأ إلى الله مباشرة تطلب منه الخيرة لك فيما عنَّ لبالك من أمور في بداياتها الأولى، ثم قولك في الدعاء:(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ)؛ فأنت تطلب خيرة الله ﷻ وتتوسل[4] إليه بعلمه، ثم قولك فيه:(وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ)؛ فأنت تطلب إقدار الله لك على الفعل متوسلاً بقدرته ﷻ، وقولك:(فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ)؛ فأنت تُظْهِرُ الضعف

---

(1) سبق تخريجه، راجع ص: ر.

(2) الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن سنة 1173 هـ، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة 1229 هـ، ومات حاكماً بها، وكان يرى تحريم التقليد. له مائة وأربعة عشر مؤلفاً؛ منها مثلاً: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، وفتح القدير، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة 1250 هـ. انظر: الأعلام، 298/6.

(3) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت 1250 هـ، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط دار الحديث– القاهرة، ط الأولى 1413 هـ، 88/3.

(4) التوسل: هو التقرب إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وإتباع أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، بكل ما يحبه الله ويرضاه. انظر: التوسل أنواعه وأحكامه، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، تحقيق: محمد عيد العباسي، ط مكتبة المعارف– الرياض، ط الأولى 1421 هـ، 29/1–31.

الحقيقي الذي خُلِقْتَ فيه، وأنك تعتمد في أمورك على خالقك؛ وفيه من التعظيم ما يعود نفعه على قلبك، وإن استشعرت ذلك حال دعائك، علمت أن الله ﷻ منجز لك ما تستخيره فيه من حاجاتك.

ثم قولك:(وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ)؛ استشعار منك بمعية الله ﷻ، وأن علمه محيط بكل شيء، ولهذا أكبر الأثر على الاعتقاد حال الدعاء، وعليه فإن الاستخارة تتضمن التوسل المشروع الذي بيَّنه رسولُ الله ﷺ؛ ففيها التوسل إلى الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وهو من الأمور العظيمة المشروعة، ودليل مشروعيته قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: 180] ، والمعنى: ادعو الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى، ولا شك أن صفاته العلا ﷻ داخلة في عموم الطلب[1].

وتظهر جلياً المناسبة بين ذكر صفة العلم والقدرة، وبين طلب الخيرة من الله ﷻ؛ فإن المستخير لا يدري أين يكون الخير، ولا يقدر عليه لو علمه، فأتى الحديث بصفتي العلم والقدرة؛ لأنهما الموافقتان لمسألة الاستخارة، وَيُعَدُّ هذا من فقه الدعاء؛ إذ أن المسألة تكون أقوى إذا اقترنت بما يناسبها من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ثم إن الحديث ذكر العلم أولاً؛ فالعبد يسأل ربه ﷻ الخير بعلمه بداية، ثم يسأله أن ييسره له بقدرته؛ فرتبهما في الدعاء حسب ترتيبهما في الوجود.

ولقد ورد حديث مشابه لحديث الاستخارة يتضمن معنى التوسل أيضاً، حيث كان النبي ﷺ يقول في دعائه الذي رواه عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[2]:(اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَبَرْدَ

---

(1) انظر: التوسل أنواعه وأحكامه، 30/1.

(2) عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو ابنُ ياسر بن مالك بن كنانة بْن قَيْس ْن حُصَيْن العنسي، يكنى أَبَا اليقظان. كَانَ عَمَّار وأمه سمية ممن عذبهم المشركون في الله، ثُمَّ أعطاهم عَمَّار مَا أرادوا بلسانه، واطمأن بالإيمان قلبه، فنزلت فِيهِ:﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ﴾[النحل: 106]، وهذا مما اجتمع أهل التفسير عَلَيْهِ. هاجر إِلَى أرض الحبشة، وصلى القبلتين، وهو من المهاجرين الأولين، ثُمَّ شهد بدراً والمشاهد كلها، وأبلى ببدر بلاءً حسناً، ثُمَّ شهد اليمامة، فأبلى فيها أيضاً، ويومئذ قطعت أذنه. قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صفين في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين، ودفنه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ثيابه ولم يغسله، وكانت سن عَمَّار يَوْم قتل نيفاً على تسعين. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 1863، 1135/3-1141. وأسد الغابة، ترجمة رقم 3804، 122/4-127.

الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ)[1].

وهذا الحديث الشريف يبين أن النبي ﷺ توسل بعلم الله ﷻ وقدرته كما في حديث الاستخارة؛ ويتبين من هذا أهمية طلب الخيرة من الله ﷻ وذلك؛ لأن الإنسان لا يعلم ما فيه صلاحه أو فساد دينه ودنياه، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾[القصص: 68]، قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:"قال بعض العلماء: لا ينبغي لأحد أن يقدم على أمر من أمور الدنيا حتى يسأل الله الخِيَرة في ذلك؛ بأن يصلي ركعتي صلاة الاستخارة..."[2]، ولهذا فإن المؤمن يلزمه أن يهرع إلى خالقه إذا عنَّت له الأمور؛ ليطلب منه أن يختار له، ثم ينظر في الأسباب المعينة له على قضاء حوائجه، وهذا عين التوكل على العليم الخبير ﷻ.

---

(1) سنن النَّسَائي، كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، حديث رقم 1305-1306، 54/3-55، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن النسائي، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف- الرياض، ط الأولى 1419 هـ، حديث رقم 1304، 418/1.

(2) تفسير القرطبي، 308/13.

ثالثاً: مكانة الاستخارة في الإسلام.

إن المتبصر بأحكام الشريعة الإسلامية يرى مدى الانسجام بين ما يشرّعه الإسلام من تعاليم وأحكام، وبين الفطرة الإنسانية التي فطر اللهُ ﷻ الناسَ عليها؛ فالله ﷻ هو الخالق العليم بمَنْ خلق حيث يقول سبحانه: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك: 14]، ولذلك جاءت الأحكام الشرعية لغايات وحكمٍ جليلة، علمها خَلْقٌ منَ الناس، وخفي بعضُها على كثيرٍ منهم.

وعند النظر في حديث رسول الله ﷺ في الاستخارة التي تتضمن اللجوء إلى الله ﷻ في كل أمر؛ لأنه يدرك أن ربَّه ﷻ عنده العلم الكافي، والقدرة المطلقة لحسم مادة أي شيء مها يكن، يتبين مدى ذلك الانسجام؛ فالإنسان مخلوق ضعيف لا حول له ولا طول إلا بإذن الله ﷻ، وهو مقر بهذا في قرارة نفسه وإن تظاهر بالعكس، وهو في نفس الوقت بحاجة ماسة إلى من يوجهه إلى الطريق السديد؛ الذي يختصر له الأوقات، ويوفر عليه النفقات ما أمكن.

ومن هذا الجانب تأتي الاستخارة بمثابة الدواء الأنجع لكل الأدواء على السواء؛ فالمؤمن مطالب بالسعي والجد في طاعة ربه ﷻ؛ حيث قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الجمعة: 9]. وهو مطالب بالتجمل في طلب أمور دنياه دون إفراط ولا تفريط كذلك؛ حيث قال ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[الملك: 15]، وكما روى أبو حميد السَّاعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] أن النبي ﷺ قال: (أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلًّا مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ)[2]، وعلى هذا فالمسلم يلزمه أن يستبين طريقه التي يسير فيها نحو لقاء ربه ﷻ في آخرته، فهو يسعى بجد في طاعته،

---

(1) أبو حميد السَّاعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو عبد الرحمن بن عمرو بن سعد، وقيل: المنذر بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن الخزرج بن ساعدة. أبو حميد الساعدي. وغلبت عليه كنيته. واختلف في اسمه فَقَالَ البخاري: اسمه منذر. وَقَالَ أحمد بن زهير: سمعت أحمد بن حنبل يقول اسمه عبد الرحمن بن سعد بن المنذر. قَالَ أبو عمر. يعد في أهل المدينة. روى عنه جماعة من أهلها، وتوفي في آخر خلافة معاوية. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 1420، 834/2-835. وأسد الغابة، ترجمة رقم 5829، 75/6.

(2) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، ت 405 هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1411 هـ، كتاب البيوع، حديث رقم 2133، 4/2، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخَرِّجَاهُ.

ويتجمَّل في تحصيل معاشه بالأسباب المعينة له على ذلك، ولكن مع هذا كله لا يعلم أين قَدَّر اللهُ له الخَيْرَ؟؟ وأين زُوِيَ له الشر؟؟

ولقد جاء في السنة النبوية المطهرة أنْ قد جف القلم من كتابة مقادير الخلائق كلها، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1] قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)[2]، و"قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير؛ فإن ذلك أزليٌّ لا أولَّ له، وقوله: (وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)؛ أي؛ قبل خلق السماوات والأرض، والله أعلم"[3]؛ فالمقادير قد فُرِغ منها منذ الأزل، وما بقي إلا وقوعها كما قدّرها الله ﷻ في أوقاتها وأماكنها كما شاء؛ ليتحقق بذلك علمه تعالى بحدوث الأشياء على الحقيقة، والناس منذ خُلِقوا وهم يرومون بلوغ أمانيهم بمعرفة ما غُيِّبَ عنهم من تقدير الله ﷻ لهم؛ ليقدِّموا لأنفسهم الأصلح في نظرهم، فيلجئون إلى ما لم يبحه الشرع ولا أمر به، ولسان حال المؤمن منهم يقول: ﴿..وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ..﴾[الأعراف: 188]، ولهذا كانت الاستخارة أمراً بالغ الأهمية؛ حيث يتخذها المؤمن سبباً شرعياً يستجلب به القدر الكوني الذي كتبه الله ﷻ في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض.

وبإمعان النظر في الأسباب والمسببات يتبين أن الله ﷻ قد ربطهما معاً؛ فلا يحدث المسبب إلا إذا تعاطى أَحَدٌ السببَ المتعلق به، وهذا ما نص عليه الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول:"...أنه سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدراً، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي، وأمره الكوني القدري، ومحل ملكه وتصرفه، فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد

---

(1) عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو ابن عمرو بن العاص بن وائل السَّهْمِي، كان أصغر من أبيه باثنتي عشرة سنة، وأسلم قبله، وكان فاضلاً عالماً بالقرآن والكتب المتقدمة، واستأذن النبيَّ ﷺ في أن يكتب عنه فأذن له. قال عنه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:(مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ)(صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، حديث رقم 113، 34/1). له مناقب كثيرة وفضائل جمة، ومقام راسخ في العلم والعمل، وقُبِض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليالي الحرة سنة 63 هـ. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 1618، 956/3–959. وأسد الغابة، ترجمة رقم 3092، 345/3–347.

(2) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى (عليهما السلام)، حديث رقم: 2653، 1225/2.

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحراني النووي الشافعي، ت 676 هـ، ط دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط الثانية 1392 هـ، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى (عليهما السلام)، 203/16.

للضروريات، وقدح في العقول والفطر، ومكابرة للحس، وجحد للشرع والجزاء؛ فقد جعل سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم، والثواب والعقاب، والحدود والكفارات، والأوامر والنواهي، والحل والحرمة، كل ذلك مرتبطاً بالأسباب قائماً بها، بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه، بل الموجودات كلها أسباب ومسببات، والشرع كله أسباب ومسببات، والمقادير أسباب ومسببات، والقدر جار عليها متصرف فيها، فالأسباب محل الشرع والقدر".[1]

وفي هذا القول عن الأسباب والمسببات يرد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مدرسة الأشاعرة[2] التي تقول بعقيدة العادة[3] التي تعني أنه لا شيء يؤثر في شيء، ولا علة تؤثر في معلولها البتة؛ فالنار مثلاً ليس لها أثر في التسبب بالإحراق، وما يراه الناس من التقاء النار مع ما تحرقه ما هو إلا عادة أَلِفوها، وليس ناشئاً عن علة موجودة في أصل النار، وقس على ذلك جميع الطبائع؛ فقد فرغوها من محتواها بما في ذلك قوة تأثيرها في غيرها، كل ذلك في سياق ردهم على الطبائعيين

---

(1) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، تحقيق: عمر بن سليمان الحفيان، ط مكتبة العبيكان– الرياض، ط الأولى 1420 هـ، 532/2.

(2) الأشاعرة: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد كان معتزلياً ثم فارقهم بعد مناظرة كبيرهم أبي علي الجبائي، واتخذت الأشاعرة من البراهين والدلائل العقلية والكلامية منهجاً للرد على خصومهم من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، بغرض إثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية، إلا أن مذهبهم فيه اضطراب قائم؛ وهو تقديم العقل على النقل عند التعارض، وعدم الأخذ بحديث الآحاد في العقائد، وتأويل أكثر الصفات الإلهية إلى غير ذلك، وتوفي عام 324 هـ على مذهب أهل السنة والجماعة. انظر: الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، ت 548 هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط دار المعرفة– بيروت، 1404 هـ، 93/1.

(3) عقيدة العادة: هي إحدى العقائد المبتدعة التي يقول بها الأشاعرة؛ فأخص وصف للإله عندهم هو القدرة على الاختراع؛ فمن أثبت لغيره صفة الفاعلية أو الإحداث أو القادرية فقد أشركه في أخص خصوصياته ﷻ، فأراد الأشاعرة إفراد الله ﷻ في ذلك؛ فنفوا تأثير الأسباب بالمسببات، وزعموا أن ما يراه الإنسان من ترتب وقوع المسببات على تعاطي الأسباب ما هو إلا نتيجة الاقتران الظاهري؛ وهذا دفعهم إلى القول بأن المعجزات خرق للعادة فقط، وهذا مبطل للتوحيد؛ فمن نفى تأثير الأسباب ألجأه ذلك إلى نفي الخالق ﷻ لأن نفي السبب في الشاهد طريق نفيه في الغائب؛ وهو ما قام عليه مذهبهم. انظر: عقيدة العادة عند الأشاعرة ما لها وما عليها، للأستاذ الدكتور جابر زايد السميري، من منشورات مجلة الجامعة الإسلامية– غزة، المجلد التاسع، العدد الأول 2001م، ص181، 183، 188، 190.

الذين يَنْسِبون للطبيعة كل التأثير والاستقلال بالفعل، فأَرْدَاهُم ذلك إلى أن نزعوا من الطبائع صفاتها الجوهرية التي بها يفرق بينها، حتى صار لازم قولهم أن اليد كالرجل، والعين كالخد.[1]

وفي ذلك يقول الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]:"الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً، وبين ما يعتقد مسبباً، ليس ضرورياً عندنا، بل كل شيئين، ليس هذا ذاك، ولا ذاك هذا، ولا إثبات أحدهما متضمناً لإثبات الآخر، ولا نفيه متضمناً لنفي الآخر، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر؛ مثل الرَّي والشرب، والشبع والأكل، والاحتراق ولقاء النار..."[3].

ويتوسع الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك فيقول:"فأما اللازمات... فعندنا يجوز أن تنفك عن الاقتران بما هو لازم لها، بل لزومه بحكم طرد العادة؛ كاحتراق القطن عند مجاورة النار، وحصول البرودة في اليد عند مماسة الثلج"[4]، فالإمام الغزالي ينفي التلازم بين السبب والمسبب أبداً، وإن احتج عليه إنسان بأنه يرى الاحتراق عقب النار، رد عليه بأنه ما هو إلا أمر اعتاد على مشاهدته، ولا ضرورة من وجود قوة في النار تسببت في الإحراق، ولا قوة في الثلج سببت البرودة.

وينفي الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي[5] تأثير الأسباب في المسببات فيقول:"وإذاً فما معنى كون هذه الأمور أسباباً؟ .. إنَّ معنى ذلك محصور في أن الله ﷻ ربط بينها وبين أمور

---

(1) عقيدة العادة، ص 182.

(2) الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام، زين الدين، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي، تجاوزت تصانيفه نحو مائتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران قصبة طوس بخراسان، فولد عام 450 هـ، وقبض رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة 505 هـ. فيلسوف متصوف. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر. نسبته إلى صناعة الغزل عند من يقول بتشديد الزاي، أو إلى غزالة من قرى طوس؛ لمن قال بالتخفيف. انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم 204، 322/19.

(3) تهافت الفلاسفة، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، ت 505 هـ، تحقيق: سليمان دنيا، ط دار المعارف– القاهرة، ط السادسة 1400 هـ، 239/1.

(4) الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، ت 505 هـ، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1424 هـ، 59/1.

(5) البوطي: هو محمد سعيد رمضان البوطي، ولد عام 1929 م، في جزيرة بوطان التابعة لتركيا، عالم متخصص في العلوم الإسلامية، تلقى تعليمه النظامي والشرعي في دمشق، ثم انتقل إلى مصر حتى تحصل على شهادة الدكتوراه من كلية الشريعة بالأزهر الشريف، وله أكثر من ستين كتاباً في مختلف القضايا الإسلامية، ويعتبر أهم من يمثل التوجه المحافظ على مذاهب أهل السنة الأربعة وعقيدة أهل السنة وفق منهج الأشاعرة. انظر ترجمته على الشبكة العنكبوتية على الرابط التالي: الموسوعة الحرة ويكيبيديا (محمد البوطي) http://ar.wikipedia.org

أخرى بمحض إرادته وقدرته فقط، فظهر استمرار هذا الارتباط أمامنا بمظهر السببية والتأثير، فاستعرنا له كلاً من هاتين الكلمتين على سبيل المجاز".[1]

ثم يقرر البوطي قاعدة من عنده ويمررها على أنها من المسلمات، ومفادها أن طول الاقتران بين أمرين في الوجود والعدم قد يخيل إلى الذهن ارتباطاً سببياً بينهما وإن لم تكن ثمة أي رابطة حتمية في واقع الأمر، ثم يردف فيقول:"قد تعلقت إرادة الله .... بأن لا يتوالد الناس إلا عندما يتزوجون.. وهكذا، ولو شاء الله ﷻ لفرّق هذه الأمور وقطع الصلة مما بينها وترك كل واحد يسير في طريق ويظهر مستقلاً عن الآخر. وإذاً؛ فإن ما نسميه نحن بقانون السببية في الكون، ليس اسمه في الحقيقة إلا قانون المقارنة المجردة؛ أسميناه كذلك لأنه ظهر لنا في مظهر السببية، واستقر كذلك في أخيلتنا"[2].

وإنَّ ما تعارف عليه الأشاعرة قديماً وحديثاً من القول بعقيدة العادة واقتران الأسباب بالمسببات بطريقة شكلية فقط ما هو إلا إنكار للطبائع، وجحد للضروريات، وتعطيل للشرع والجزاء كما سبق في قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ وذلك أن الله ﷻ شاءت حكمته بأن ركب هذا الكون بعضه على بعض، فجعل السبب له أكبر الأثر في المسبب، وهذا ما يراه الناس بأم أعينهم ويلمسونه عند إجرائهم لتجاربهم وتسجيلهم ملاحظاتهم، وأما ما اصطلح عليه أولئك القوم فلم يخرج عن كونه إنكاراً للمعجزات الإلهية باعتبارها خرقاً للعادة، كذلك فإن نَفْيَهُم للسبب في الشاهد يجرهم إلى نفي سبب فاعل في الغائب وهو الله ﷻ؛ لأن من سبل إثبات الغائب قياسه على الشاهد، حيث إن هذا أصل قام عليه مذهبهم في التوحيد، ويعجب ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهم فيقول:"ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد إيهام الناس أن التوحيد لا يتم إلا بإنكار الأسباب، فإذا رأى العقلاء أنه لا يمكن إثبات توحيد الرب سبحانه إلا بإبطال الأسباب ساءت ظنونهم بالتوحيد وبمن جاء به، وأنت لا تجد كتاباً من الكتب أعظم إثباتاً للأسباب من القرآن".[3]

---

(1) كبرى اليقينيات الكونية، وجود الخالق ووظيفة المخلوق، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ط دار الفكر– دمشق، ط التاسعة 1417 هـ، 288/1.

(2) المرجع السابق، 289/1.

(3) شفاء العليل، 534/2.

ويقسم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] الناس في نظرتهم إلى الأسباب والمسببات إلى فئات ثلاث، أولهم المغضوب عليهم، ثم الضالون، ثم الذين أنعم الله عليهم؛ فأما المغضوب عليهم فيطعنون في عامة الأسباب المشروعة وغير المشروعة، وأما الضالون فيتوهمون في كل ما يتخيل سبباً، وأما المهتدون فهم لا ينكرون ما أودعه الله ﷻ في الأجسام والأرواح من القوى والطبائع، إذ الجميع خلق الله ﷻ، ولكنهم يؤمنون بما وراء ذلك من قدرة الله التي هو بها على كل شيء قدير، ومن أنه يخرق العادات لأنبيائه لإظهار صدقهم ولإكرامهم وإلى غير ذلك مظاهر قدرته وحكمته.[2]

ثم إن القول بعقيدة العادة مبطلة لمبادئ العلوم القائلة بقانون السببية، فلا مناص من إثبات الأسباب، فلا يسع المسلم إنكارها أو تركها، ولهذا قال مَنْ قال من أهل العلم: "تكلم قوم في إنكار الأسباب؛ فأضحكوا ذوي العقول على عقولهم، وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد، فشابهوا المعطلة الذين أنكروا صفاتِ الرّب، ونعوت كماله، وعُلُوَّه على خلقه، واستواءَه على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لملائكته وعباده، وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد، فما أفادهم إلا تكذيب الله ورسله، وتنزيهه عن كل كمال، ووصفه بصفات المعدوم والمستحيل"[3]. ولأجل ذلك كله فإننا مع القول بوجود الأسباب المؤثرة وهذا هو ما يتفق والقرآن الكريم الذي ينبني عليه التوحيد الصحيح، ويستقيم مع الفطر السليمة، ويرقى إلى العلم التجريبي الذي يقوم على الدليل.[4]

ولقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الدعاء سبب لحصول الخير المطلوب؛ كسائر الأسباب المقدّرة والمشروعة، وسواء سمي سبباً أو شرطاً أو جزءاً من السبب، فالمقصود واحد؛ فإذا أراد الله ﷻ بعبد خيراً ألهمه دعاءه والاستعانة به، وجعل استعانته ودعاءه سبباً للخير الذي قضاه له في الأزل، وإذا أراد الله ﷻ أن يرحم عبداً من عباده يسَّره لعمل أهل الجنة حتى يدخلها،

---

(1) ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري نسبة إلى نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس عيلان بن مضر، الحَرَّانِي؛ وحَرَّانُ مدينة على طريق الموصل، الدمشقي الحنبلي، يكنى أبا العباس، ويلقب بشيخ الإسلام، ولد في حران عام 661 هـ، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وَطُلِبَ إلى مصر لأجل فتوى أفتى بها، وسجن على إثرها في الإسكندرية، ثم أطلق فسافر إلى دمشق عام 712 هـ، واعتقل بها سنة 720 هـ، وأطلق ثم أعيد، ومات رَحِمَهُ ٱللَّهُ معتقلاً بقلعة دمشق سنة 728 هـ، وكان كثير البحث في فنون الحكمة، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، وأفتى ودرَّس وهو دون العشرين. انظر: المقصد الأرشد، ترجمة رقم 89، 132/1-139.

(2) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، تحقيق: فؤاد بن علي حافظ، ط المكتب الإسلامي- بيروت، ط الرابعة 1429 هـ، 404/1.

(3) شفاء العليل، 534/2.

(4) لمزيد بيان انظر: عقيدة العادة، ص 177-208.

والمشيئة الإلهية اقتضت وجود الخيرات بأسبابها المقدَّرة لها؛ كوجود الولد بالوطء، والعلم بالتعلم، فمبدأ الأمور من الله ﷻ وتمامها عليه أيضاً؛ فالله ﷻ هو من جعل دعاء عبده سبباً لما يريده سبحانه من القضاء.[1]

وهذا ما يظهر جليا في الحديث الذي روته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال:(لا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، والدُّعَاء يَنْفَعُ مما نَزَلَ، ومما لَمْ يَنْزِلْ، وإنَّ البَلاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ[2] إلى يَوْمِ القِيَامَة)[3]. وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4] قال: قال رسول الله ﷺ:(لا يَرُدُّ القَدَرَ إلا الدُّعَاءُ، ولا يَزِيدُ فِي العُمُرِ إلَّا البِرُّ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصِيبُه)[5]. ويتبين مما سبق أن الاستخارة سبب شرعي، مرتبط بالمسبب الذي قدّره الله ﷻ في الغيب الذي استأثر به؛ فإذا تعاطى المسلم الاستخارة كما نص عليها رسول الله ﷺ، فقد بذل سبباً شرعياً أراده الله ﷻ ورسوله ﷺ، وترتب عليه خيرة الله له فيما استخاره فيه.

وبعد هذا؛ فإن الاستخارة وسيلة اتصال بين الإنسان وخالقه ﷻ، فإن الوحي قد انقطع بموت خاتم المرسلين محمد ﷺ، ولكن الاستخارة تفتح الباب واسعاً أمام المسلم ليركن إلى ربه ﷻ في كل أمر، والمسلم اليوم أمام تحدٍ كبير؛ فهموم الحياة قد أثقلت كاهله، وانطوت على كثير من

---

(1) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، 400/1-401. والداء والدواء، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد الزُّرْعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، ط دار المعرفة- المغرب، ط الأولى 1418 هـ، 15/1-17.

(2) يعتلجان: يتصارعان ويتدافعان. انظر: الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، لزين الدين محمد، عبد الرؤوف ابن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت1031 هـ، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وطالب عواد، ط دار ابن كثير دمشق- بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 32/1.

(3) المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، حديث رقم 1813، 669/1، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه.

(4) ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو مولى رسول الله ﷺ، يكنى أبا عَبْد الله. وقيل: أبو عَبْد الرحمن، والأولى أصح، وهو ابن بجدد، من أهل السراة، والسراة موضع بين مكة واليمن. وقيل: إنه من حمير. وقيل إنه حكمي من حكم بن سعد العشيرة، أصابه سباء فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، ولم يزل يكون معه في السفر والحضر إلى أن توفي رسول الله ﷺ، فخرج إلى الشام فنزل الرملة بفلسطين، ثم انتقل إلى حمص فابتنى بها داراً، وتوفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بها سنة أربع وخمسين. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 282، 218/1. وأسد الغابة، ترجمة رقم 624، 480/1.

(5) المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، حديث رقم 1814، 670/1، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه.

المحاذير الشرعية، وأصبح الناس مضطربي البال حيال ما يُسْتَجَدُّ من أمورٍ في حياتهم اليومية؛ ولهذا فهم بحاجة ملّحة إلى ما يهدئ من روعهم، ويطمئن قلوبهم ويملؤها يقيناً، وهذا ما يتجلى في الاستخارة؛ لأنها متضمنة لشرطي قَبُولِ العمل؛ وهما الإخلاص لله ﷻ، والمتابعة لرسوله ﷺ؛ حيث قال الله سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾[النساء: 125]؛ أي أخلص العمل لربه ﷻ، فعمل إيماناً واحتساباً، واتبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله ﷺ من الهدى ودين الحق؛ وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما.[1]

وتتبين مكانة الاستخارة في الإسلام إذا علمنا أنها تنضوي على صحيح التوكل على الله ﷻ، فإن المسلم يفوّض بها أمره إلى ربه، مع بذل سبب الدعاء، فقولك في الدعاء:(اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ) دليل على التفويض الخالص الذي يطمئن نفس المسلم الذي وثق بربه ﷻ؛ لأنه الخبير بما تؤول إليه الأمور، ولهذا قال تعالى:﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [غافر: 44].

ويقول ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"والمقصود أن الاستخارة توكل على الله، وتفويض إليه، واستقسام بقدرته وعِلْمه، وحسن اختياره لعبده، وهي من لوازم الرضا به رباً، الذي لا يذوقُ طَعْمَ الإيمان من لم يكن كذلك، وإنْ رضي بالمقدور بعدها، فذلك علامة سعادته"[2]، كما روى العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[3] أن

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت 774 ه، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1419 ه، 373/2.

(2) زاد المعاد في هَدْي خير العباد، لمحمد بن للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 ه، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، ط السابعة والعشرون 1415 ه، 445/2.

(3) العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هو ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم رسول الله ﷺ، يكنى أبا الفضل. أسن من رَسُول الله ﷺ بسنتين. أمه أول عربية كست البيت الحرام الحرير والديباج وأصناف الكسوة؛ وذلك أن العباس ضل وهو صبي فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت الحرام، فوجدته ففعلت ما نذرت، وكان العباس في الجاهلية رئيسا في قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية، فالسقاية معروفة، وأما العمارة؛ فإنه كان لا يدع أحدا يسب في المسجد الحرام، ولا يقول فيه هجراً، يحملهم على عمارته في الخير، لا يستطيعون لذلك امتناعاً؛ لأنه كان ملأ قريش قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك، فكانوا له أعواناً عليه، وسلموا ذلك إليه. كَانَ ممن خرج مع المشركين يوم بدر وأسر. أسلم قبل فتح خيبر، وكان يكتب إسلامه، ثم أظهره يوم فتح مكة. حضر مع النبي ﷺ العقبة يشترط له على الأنصار، وكان على دين قومه يومئذ، وتوفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالمدينة قبل مقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بسنتين. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 1378، 810/2–817. وأسد الغابة، ترجمة رقم 2799، 163/3–166.

رسول الله ﷺ قال: (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)(1)، ويكون التوكل على الله ﷻ بتجريد النفس من كل العلائق مما سواه، وإظهار الافتقار إليه في كل حال، واللجوء إليه في كل نازلة.

و"التوكل: محض الاعتماد والثقة، والسكون إلى من له الأمر كله. وعلم العبد بتفرد الحق تعالى وحده بملك الأشياء كلها، وأنه ليس له مشارك في ذرة من ذرات الكون من أقوى أسباب توكله وأعظم دواعيه؛ فإذا تحقق ذلك علماً ومعرفة، وباشر قلبه حالا، لم يجد بداً من اعتماد قلبه على الحق وحده، وثقته به، وسكونه إليه وحده، وطمأنينته به وحده، لعلمه أن حاجاته وفاقاته وضروراته، وجميع مصالحه كلها بيده وحده، لا بيد غيره، فأين يجد قلبُه مناصاً من التوكل بعد هذا؟ فَعِلَّةُ التوكلِ حينئذ التفاتُ قلْبِه إلى مَنْ ليس له شِرْكَةٌ في مُلْكِ الحقّ، ولا يملك مثقالَ ذرةٍ في السموات ولا في الأرض"(2). ولهذا فلابد للمؤمن أن يُخَلِّص نفسَه من هذه العلةِ المانعةِ له من صحيح التوكل على الله ﷻ؛ حتى يرتقي بنفسه إلى أسمى درجات العبودية.

ويظهر معنى الاستخارة في أنها تحوي إثبات صفات الكمال لله ﷻ؛ ومن ذلك صفات العلم والقدرة والحكمة اللاتي نص عليها الحديث، فالمسلم يتعبد بآثار هذه الأسماء الحسنى والصفات العليا، فهو يثبت أن لله ﷻ علماً وقدرة وحكمة، وفي نفس الوقت يسأل ربه ﷻ بعلمه، ويستقدره بقدرته أن يقدر له الخير حيث كان؛ وكل ذلك من باب حكمته في وضع الأشياء في نصابها الصحيح، كما لو أنه تَعَبَّد لله ﷻ باسمه الرزّاق مثلاً؛ فلن يعتمد في سؤال رزقه على أحد إلا على خالقه سبحانه، وهذا ما يورث في قلب المسلم الرضا بالقضاء.

وتتبين مكانة الاستخارة من خلال معالجتها للنقص الحاصل في فهم مسألة القضاء والقدر؛ الذي أشكل فهمه على بعض الناس في القديم والحديث، فالاستخارة تتضمن سؤال العبد لربه ﷻ أن ييسر له حاجاته، ثم يستقدره بقدرته المطلقة؛ أن يجعل له قدرة على الفعل أو الترك، أو أن يقدّر له الخير حيث كان، كل ذلك من باب علمه سبحانه بعواقب الأمور؛ وَيُعَدُّ هذا من باب القضاء والقدر الذي اختلفت فيه أغلب الفرق الإسلامية قديماً.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، حديث رقم 34، 38/1.

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط دار الكتاب العربي– بيروت، ط الثالثة 1416 هـ، 136/2.

فالقدرية نفاة القدر تندرج تحتهم المعتزلة[1] التي غلت في تقدير فعل الإنسان، وعطلت أفعال الرب ﷻ، وعدّوا هذا من الأصول الخمسة التي يقولون بها، والتي يلزم عنها أن الله ﷻ يكون في ملكه ما لا يريده؛ فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز! تعالى الله عن ذلك كلِّه[2].

وأما الجبرية فهي على النقيض من ذلك؛ فمنهم الجهمية[3] التي سلبت الإنسان كل صفات القدرة، وقالت بأن فعله بمنزلة طوله ولونه، فجعلته كالريشة في مهب الريح؛ لا تأثير له في شيء البتة، ويلزم عن قولهم الفاسد هذا تعطيل الثواب والعقاب، وإلا لكان الله ﷻ ظالماً؛ إذ كيف يعذب مَنْ ليس له قدرة على الفعل ابتداء[4].

وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى؛ فالجبرية غلوا في إثبات القدر، فنفوا صنع العبد أصلاً، وأما القدرية نفاة القدر فقد جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، فكل طائفة من الطائفتين تركت نوعاً من الحق لترتكب نوعاً من الباطل، بل

---

(1) المعتزلة: أسسها عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزّال وأصحابهما، وسُمّوا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في أوائل المائة الثانية، وكانوا يجلسون معتزلين، فَسُمّوا معتزلة، وقيل: إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول المذهب، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري، ولما كان زمن هارون الرشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصنّف لهم أبو الهذيل كتابين، وبيّن مذهبهم، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة التي سموها: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: الفرق بين الفرق، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، ت 429 هـ، ط دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط الثانية 1977م، 15/1.

(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد بن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، ت 792هـ، تحقيق: أحمد شاكر، ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السُّعودية، ط الأولى 1418هـ ،، 538/1.

(3) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وأن الكفر عكسه، وقال: لا فعل ولا عمل لأحدٍ غير الله ﷻ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز؛ كما يقال: زالت الشمس، أو دارت الرَّحى، وزعم أن علم الله ﷻ حادث، وقد كفّره أهل السنة وأكفرته القدرية في قوله بأن الله ﷻ خالق أفعال العباد؛ فاتفق أصناف الأمة على تكفيره. انظر: الفرق بين الفرق، 199/1.

(4) انظر: الملل والنحل، 86/1.

أنواعاً، فهدى الله ﷻ المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[1].

وبالتأمل في مقالة كل قوم؛ يتبيَّن أن "كل دليل صحيح تقيمه الجبرية، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، ... وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن،... وكل دليل صحيح يقيمه القدري، فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى، وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته، فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن، وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله، ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم".[2]

---

(1) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد ابن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، نسبة إلى عكبر وهي بلدة في العراق، ت 387 هـ، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، ط دار الراية للنشر – السعودية، ط الثانية 1418 هـ، 206/1.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، 439/1-440.

رابعاً: اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية بالاستخارة.

كان العرب في الجاهلية أهل شرك وضلال، يتعاطون كل محرَّم ولا يقفون عند حد، ومن جملة ما وقعوا فيه أنهم كانوا إذا أراد الواحد منهم سفراً قاصداً، أو نكاحاً أو نحوه، ذهب إلى سادن الكعبة ليستقسم عنده بالأَزْلام[1]؛ ولربما تعاطى العِيَافَةَ[2]، أو سعى إلى العرَّافين[3] الذين يدّعون معرفة الأمور بمقدمات يستدلون بها على المسروق ومكان الضالة[4]، أو الكُهَّان[5] الذين يخبرون عن الكوائن في المستقبل، ويدعون معرفة الأسرار؛ كل ذلك بقصد معرفة أمور الغيب، لتغليب المنفعة على المضرة في نظرهم.[6]

ولكنَّ الإسلام استعاض عن ذلك كلِّه باللجوء إلى الله ﷻ عند كلّ حادثة؛ امتثالاً لما أمر به سبحانه من وجوب تخصيصه بالاستخارة دون غيره، حيث يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"... فعوَّض عباده المؤمنين بالأذان عن الناقوس والطنبور، كما عوّضهم دعاءَ الاستخارة عن الاستقسام بالأزلام"[7]، وهذا كلّه من رحمة الله ﷻ بأهل الإسلام؛ فما حرم عليهم شيئاً إلا وأعاضهم بدلاً منه ما هو أرجى منه؛ وفي ذلك قال الله تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ

---

(1) الأزلام: قِداح كانت لقريش في الجاهلية، مكتوب على بعضها الأمر، وعلى بعضها النَّهي: افعل ولا تفعل، قد زُلِّمَتْ وسُوِّيتْ ووُضعتْ في الكعبة يقوم لها سَدَنَةُ البيت، فإذا أراد رجلٌ سفراً أو نكاحاً أتى السادِنَ فقال له: أَخْرِجْ لي زَلَمَا، فيُخْرِجه وينظره، فإنْ خرج قدح الأمْرِ مَضَى على ما عَزَم، وإنْ خرج قدح النَّهْي قَعَد عمَّا أراده، وربما كان معه زَلَمَان وضعهما في قِرَابه، فإذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما. انظر: تهذيب اللغة، باب زلم، 149/13. ولسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، ت 711 هـ، ط دار صادر– بيروت، ط الثالثة 1414 هـ، 269/12–270.

(2) العِيَافة: عاف يعيف عيافة وهو عائف، والعيافة زَجْر الطير؛ وهو أن يرى طائراً أو غراباً فيتطيَّر، وإن لم ير شيئاً فقال بالحَدْس كان عِيافةً أيضاً. انظر: تهذيب اللغة، باب عاف، 147/3. ولسان العرب، 261/9.

(3) العَرَّاف: هو الحازي، أو المنجّم الذي يدَّعي علم الغيب الذي استأثر الله ﷻ بعلمه. انظر: تهذيب اللغة، باب عرف، 209/2. ولسان العرب، 237/9.

(4) انظر: شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ت 516 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي– دمشق وبيروت، ط الثانية 1403 هـ، 182/12.

(5) الكهانة: كَهَنَ الرجلُ يَكْهَنُ كَهانةً، وقَلَّما يقال إلاّ تَكَهَّنَ الرجلُ، والكاهن في كلام العرب الَّذي يقوم بأمر الرّجل ويَسعَى في حاجته والقيام بما أَسنَد إليه من أسبابه. انظر: تهذيب اللغة، باب كهن، 18/6. ولسان العرب، 363/13.

(6) انظر: شرح السنة، 182/12.

(7) أحكام أهل الذمة، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، ط دار ابن حزم– السُّعودية، ط الأولى 1418 هـ، 1239/3.

﴿عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[غافر: 60]؛ أي وحّدوني أغفر لكم، وأعقب لكم ما هو خير، وخصوني بالدعاء، وأخلصوا لي العبادة دون ما تعبدون من الأوثان والأصنام، أستجب لكم وأثيبكم.[1]

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:(إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ العِبَادَةُ)[3]، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾[غافر: 60]"[4]؛ فالدُّعاء سبب لنيل الثواب من الله ﷻ، وسبيل دخول الجنة في الآخرة، وإنَّ الاستخارةَ دعاءٌ شرعه رسول الله ﷺ؛ وهي مما يرجى بها حصول النفع ودفع الضرر كذلك.

ثم إن المتدبر لآيات القرآن الكريم يجد أنها ذكرت الإيمان وحضت عليه، وجعلت الثواب الجزيل لِمَن هم مؤمنون حقاً، حيث قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤﴾[الأنفال: 2-4]، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ١٣٦﴾[النساء: 136]، وقال ﷻ: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ

---

(1) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، ت 310 هـ، تحقيق: أحمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى 1420 هـ، 406/21.

(2) النُّعْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو ابنُ بَشِيْرِ بنِ سَعْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ. الأَمِيْرُ، العَالِمُ، أَبُو عَبْدِ اللهِ، وَيُقَالُ: أَبُو مُحَمَّدٍ، الأَنْصَارِيُّ، الخَزْرَجِيُّ، وأمّه عمرة بِنْتُ رَوَاحة أُخْت عَبْدِ اللهِ بنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُسْنَدُهُ: مائَةٌ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ حَدِيْثاً؛ اتَّفَقَا لَهُ عَلَى خَمْسَةٍ، وانفَرَدَ البُخَارِيُّ بِحَدِيْثٍ، وَمُسْلِمٌ بِأَرْبَعَةٍ، شَهِدَ أَبُوْهُ بَدْراً. وَوُلِدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ؛ وَسَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَعُدَّ مِنَ الصَّحَابَةِ الصِّبْيَانِ بِاتِّفَاقٍ. قال علي بن المديني: قُتِلَ النُّعْمَانُ ابن بشير بحمص غيلة؛ قتله أهل حمص وهو والٍ لابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقِيْلَ: قُتِلَ بِقَرْيَةِ بِيْرِيْنَ من قرى حمص؛ قَتَلَهُ خَالِدُ بنُ خَلِيٍّ بَعْدَ وَقْعَةِ مَرْجِ رَاهِطٍ، فِي آخِرِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّيْنَ. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 2614، 1496/4-1500. وأسد الغابة، ترجمة رقم 5237، 310/5-311.

(3) الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، حديث رقم 714، 376/1، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح الأدب المفرد، حديث رقم 550، 265/1.

(4) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، للأستاذ حكمت بن بشير بن ياسين، ط دار المآثر- المدينة المنورة، ط الأولى 1420 هـ، 264/4.

﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[الحديد: 21]، والآيات متضافرة في بيان الإيمان وثواب من اتصفوا به قائمين وقاعدين.

ولأن الإيمان يلزمه التجديد كما يفهم من الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: (إنَّ الإيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الخَلِق، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ)(1)، كانت الاستخارة باباً من أبواب تجديد هذا الإيمان؛ حيث إن فيها من التوكل على الله ﷻ والطمأنينة والرضا بالقضاء ما يجعل المسلم مستشعراً قدرة الله وعلمه؛ والذي ينعكس على الأعمال فيما بعد، فتكون موافقة لما أراد الله سبحانه.

ثم إن الاستخارة تزيل الحَيْرَةَ(2)؛ لأنها تتضمن الاعتقاد بإصابة الحق وحصول الخير؛ لأن فيها تفويضاً خالصاً لله ﷻ، وخروجاً من محدودية علم الإنسان وقدرته بالكلية، فإذا عرض للمسلم أمران وأراد الترجيح بينهما فعل الاستخارة بشكلها الصحيح، فيظهر له أيُّ الأمرين أرجى نفعاً، وأحسن عاقبة، حيث قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ في ذلك:"... وَمَنْ يُرَجِّحُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ بِاسْتِخَارَةِ اللَّهِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُهُمْ السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ فَقَدْ أَصَابَ"(3)، فالاستخارة مبنية على التفويض الذي هو أساس التوكل؛ وهذا مما يعصم المؤمن التقي من وساوس الشيطان الرجيم، حيث يقول الله ﷻ: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠﴾[النحل: 98-100]، ويقول أيضاً: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾[الأعراف: 200-201].

---

(1) المستدرك، كتاب الإيمان، حديث رقم 5، 45/1، وقال الحاكم: هذا حديث لم يخرّج في الصحيحين ورواته مصريون ثقات. وقال الذهبي: رواته ثقات.

(2) الحَيْرَة: حالة الحَيَران؛ وهو الذي لا يهتدي إلى الصواب لإشكال الأمر عليه، والفعل منه حَارَ يَحَارُ كـ هَابَ يَهَابُ. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، ت 1031 هـ، ط عالم الكتب- القاهرة، ط الأولى 1410 هـ، 150/1.

(3) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ت 728 هـ، تحقيق: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم، ط مجمع الملك فهد- المدينة المنورة، بدون رقم الطبعة 1416 هـ، 471/10.

وكذلك فإن الشك[1] وسوء الظن[2] ملازمان للجهل بحقيقة الشيء؛ فالأمور إذا تشابهت واختلطت أُشْكِل فهمها على الإنسان ولم يبن له وجه الحق فيها، وخاف أن يقدم على الأمر فيكون له في العاقبة شراً، لذلك أمر رسول الله ﷺ بالاستخارة؛ لأنها تنفي ذلك كلّه، وتهدي إلى الحق الذي يريده الله ﷻ حيث يقول: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يونس: 35-36].

ويظهر اهتمام القرآن بالاستخارة في أنها طلب العلم من العليم ﷻ، والمسلم مأمور بذلك حيث يقول سبحانه: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه: 114]، ويظهر هذا العلم للمستخير عندما يدرك الحكمة من التيسير له في الأمر أو الصرف عنه، كرجل استخار الله ﷻ في زواج أو نحوه فصرفه عنه، ثم يسَّر له ما هو أفضل منه، وما كان ليدرك هذا الخير لولا استخارته ربَّه ﷻ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"... فَعَلَّمَنَا ﷺ أَنْ نستخير الله بعلمه، فَيُعَلِّمَنَا من علمه ما نعلم بهِ الخير، وَنَسْتَقْدِرَهُ بقدرته فَيَجْعَلَنَا قَادرين..."[3]، ويقول أيضاً:"وكذلك دعاء الاستخارة فإنه طلب تعليم العبد ما لم يعلمه وتيسيره له"[4].

والاستخارة تمنع المسلم من العُجْب والاستبداد بالرأي؛ لأنه يرجع أموره إلى علم خالقه ﷻ، فينفي عن نفسه خبثها، وقد قيل قديماً:"الأحمق من قطعه العُجْب عن الاستشارة، والاستبداد عن الاستخارة"[5].

---

(1) الشَّك: هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر. انظر: التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ت 816 هـ، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1403 هـ، 128/1.

(2) الظَّن: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، وقيل: الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان. انظر: التعريفات، 144/1.

(3) مجموع الفتاوى، 142/4.

(4) المصدر السابق، 330/8.

(5) نهاية الأَرَب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ت 733 هـ، تحقيق: مفيد قمحية وآخرون، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1424 هـ، 64/6.

والاستخارة طلب الهداية من الله ﷻ لما هو أرجى عاقبة، وهذا ما أمر الله تعالى به فيما رواه النبي ﷺ عنه ﷻ حيث يقول:(... يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، ...)[1]، قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]:"فقوله: (فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ)؛ أي اطلبوا مني الهداية أهدكم، والجملة في ذلك أن يعلم العبد أنه طلب الهداية من مولاه فهداه، ولو هداه قبل أن يسأله لم يبعد أن يقول: إنما أوتيته على علم عندي".[3]

ويفهم من الحديث أن العباد مفتقرون إلى رحمة الله ﷻ؛ لأنهم عاجزون عن جلب منافعهم ودفع مضارهم إلا بتيسير منه سبحانه، فالإنسان وإن رأى أنه يقدر على الأمر وقد سُهلت له جميع السبل إلى بلوغه، ولم يرد الله ﷻ له إتمام مأربه لم ينله، وإن بذل أقصى ما في وسعه؛ لذلك وجب على المسلم أن يبادر بطلب قضاء حاجاته من ربه ﷻ قبل الإقدام على خوض غمار أي أمر مهما يكن.

وكذلك فإن الحديث أورد طلب الهداية قبل طلب الطعام والشراب اللذين بهما قوام حياة البدن؛ لأنها قوام حياة الأبدان والأرواح على حد سواء، فالهداية لما هو خير ليست نابعة من هوى النفس، ولا مترتبة على قدرة الإنسان على الاختيار؛ بل هي مشروطة بطلبها من الله ﷻ فقط، وهذا ما يتجلى بكل وضوح في الاستخارة التي علَّمها النبي ﷺ أصحابه كما علَّمهم السورة من القرآن.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم 2577، 1198/2.

(2) ابنُ دَقِيقِ العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقي الدين القشيري، المعروف كأبيه وجدِّه بابن دقيق العيد، قاضٍ من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد. أصل أبيه من منفلوط بمصر، انتقل إلى قوص، وولد له في ينبع على ساحل البحر الأحمر فنشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة، وولي قضاء الديار المصرية سنة 695 هـ، وكان مع غزارة علمه ظريفاً له أشعار وملح وأخبار، وله تصانيف كثيرة؛ منها: إحكام الأحكام، والاقتراح في بيان الاصطلاح، وشرح الأربعين حديثاً للنووي، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالقاهرة سنة 702 هـ. انظر: ذيل التقييد، ترجمة رقم 355، 191/1-192.

(3) شرح الأربعين النووية، لتقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، ت 702 هـ، ط مؤسسة الريّان، ط السادسة 1424 هـ، 88/1-89.

الفصل الأول

بيان حقيقة الاستخارة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حديث الاستخارة بين النظرية والتطبيق.

المبحث الثاني: حديث الاستخارة رواية ودراية.

المبحث الأول

حديث الاستخارة بين النظرية والتطبيق

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية صلاة الاستخارة، والحكمة من فعلها.

المطلب الثاني: حث النبي ﷺ على الاستخارة وفعل الصحابة ﷺ لها.

المطلب الأول
أهمية صلاة الاستخارة، والحكمة من فعلها

أولاً: أهمية صلاة الاستخارة:

لقد استقر في العقول أن الإقدام على الأمور دون علم مسبق بها ينطوي على محاذير كثيرة، وأحوال الناس مصدقه لهذا أيما تصديق؛ فلذلك نجد الإنسان يعرض له الأمران أو أكثر، وهو بحاجة إلى أحدهما أو إليهما معاً ولكنه لا يدري بأيهما يأخذ أولاً؟، وأيهما يقدّم على الآخر؟، وأيٌّ منهما الأحق بصرف الهمة في طلبه دون تأخير؟، كل ذلك؛ لأن علمه قاصر، فلا يعلم عواقب ما هو مقدم عليه، فنراه يظهر الكراهية لأمر ما وقد تكون عاقبته خيراً، أو يظهر حبه له فتكون عاقبته شراً ووبالاً، وهو ما أخبر به ﷻ بقوله: ﴿ ..وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ [البقرة: 216]، وقوله ﷻ: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ ﴾[النساء: 19] ، فلذلك وجب على المسلم أن يبحث عمن لديه العلم اليقيني بما هو آتٍ؛ ليرسو على برّ الأمان ولا يبقى متردداً لا يثبت على حال.

وإن الإنسان مفطور على حب معرفة ما غُيِّب عنه؛ ليقدم لنفسه الأصلح في نظره، فيذهب يمنة ويسرة علّه يجد ما يروي ظمأه الدائم لمعرفة مستقبله، وهذا ما لا يستقيم له على حال أبداً دون استناده إلى من أحاط بالعلم كلِّه؛ ألا وهو الله ﷻ، وحتى لا يقدم المسلم على ما لا ينفعه في دنياه وآخرته عوضه الله ﷻ عن الذهاب إلى الكهنة والعرافين والضاربين بالرمل وتعاطي الطيرة[1] وغيرها بالاستخارة التي شرعها لنا رسوله ﷺ بما يعقبها من الدعاء الجامع لاستمطار الخير من الله ﷻ العليم الذي يقول: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢ ﴾ [الطلاق: 12] ، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ٩٨ ﴾[طه: 98]، وقوله ﷻ: ﴿ ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾

---

(1) الطِّيَرَةُ: من تَطَيَّرْتُ من الشّيءِ وبالشّيْءِ، والاسمُ منه الطِّيَرَةُ؛ مثال العِنَبةِ، وقد تُسَكَّنُ الياءُ، وقيل: اطَّيَّرَ معناه: تَشَاءَمَ وأَصْلُه تَطَيَّرَ. وقيل للشُّؤْمِ: طائِرٌ وطَيْرٌ وطِيَرَةٌ؛ لأَنّ العَرَبَ كان من شَأْنِها عِيَافَةُ الطّيرِ وزَجْرُها، والتَّطَيُّرُ ببَارِحِها ونَعِيقِ غُرَابِها، وأَخْذِها ذَاتَ اليَسَارِ إذا أَثارُوها؛ فَسَمَّوُا الشُّؤْمَ طَيْراً وطائِراً وطِيَرَةً لتَشَاؤُمِهِم بها. انظر: تاج العروس، 453/12-454.

[الأنعام: 59] ويقول الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] في تفسير هذه الآية:"جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة؛ لأنّ المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن المتوثق منها بالأغلاق والأقفال؛ ومن علم مفاتحها وكيف تفتح، توصل إليها، فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره، كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها، فهو المتوصل إلى ما في المخازن"[2]، وكذلك فإن رسول الله ﷺ بيّن أن الاستخارة سبب للوصول إلى ما قدره الله ﷻ في الأزل؛ فإن المؤمن يشرع له أن يصليها حتى يوفقه الله ﷻ إلى ما فيه صلاحه في دنياه وآخرته.

والأصل أن يبقى أهل الأرض على اتصال بالسماء، فلو تأملنا تعاقب الأنبياء في فترات متقاربة قبل رسولنا ﷺ حتى كان بعضهم في زمن بعض مع اختلاف في المكان، وهو ظاهر بنص القرآن حيث قال الله ﷻ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢ ﴾[العنكبوت: 31-32]، وقوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٧٥ ﴾[يونس: 75]، فإبراهيم ﵇ كان في زمن لوط ﵇، وموسى ﵇ وهارون ﵇ كانوا في زمن شعيب ﵇، وغيرهم ممن لا نعلمهم، وهذا يجعل للأمم سبيلاً لمعرفة الغيب بطريق الوحي.

والأمة اليوم بحاجة ماسة إلى شيء يوجهها كما في عهد رسول الله ﷺ؛ فما كانت حادثة إلا وينزل الوحي مبيناً لها ومعقباً عليها، ولما كان رسول الله ﷺ آخرَ الأنبياء، وشرائع الإسلام قد كملت، وموته حقيقة لا مراء فيها، كان لابد لهذه الأمة من وجود اتصال بينها وبين السماء، ولكن ليس بالضرورة بنزول جبريل ﵇ كما في عهد النبوة، لذلك شرع لنا رسول الله ﷺ صلاة الاستخارة، حتى لا تصبح الأمة في حيرة من أمرها إذا احتاجت إلى سلوك سبيل من السبل، فأكرم الله ﷻ عباده بالاستخارة بعد انقطاع الوحي، وهذه إحدى ميزات هذه الأمة التي قال فيها الله

---

(1) الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر، العلّامة، أبو القاسم الزَّمَخْشَرِيّ الخُوَارَزْميّ النَّحْويّ اللُّغَويّ المتكلم المعتزليّ المفسر. مصنّف الكشّاف في التّفسير، والمفصل في النّحْو، وولد في زَمَخْشَر من قُرى خُوارَزْم في رجب سنة سبعٍ وستّين وأربعمائة، وكان يقال له: جار الله؛ لأنّه جاوَرَ بمكَّة زمانًا. قال ابن السَّمْعانيّ: كان ممّن برع في علم الأدب والنَّحْو واللّغة، ولقي الكبار وصنَّف في التّفسير والغريب والنَّحْو، قال القاضي ابن خَلِّكان: كان إمام عصره وكان متظاهراً بالاعتزال، وقد استفتح الكشّاف بالحمد لله الّذي خلْق القرآن، فقالوا له: متى تركته هكذا هجره الناس، فغيرها بجعل القرآن، وهي عندهم بمعنى خَلَق. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة 538 هـ. انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير، 697/11.

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري، ت 538 هـ، ط دار الكتاب العربي– بيروت، ط الثالثة 1407 هـ، 31/2.

ﷻ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾[آل عمران: 110]، وهذا جلي في إظهار شأن أمة محمد ﷺ على باقي الأمم، فلقد فسر رسول الله ﷺ هذه الآية فقال:(أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ)[1].

وفي الاستخارة إظهار للضعف الإنساني، فوجب على المسلم أن يلجأ إلى خالقه في كل أمر ذي بال مع بذل الأسباب الشرعية المعينة له على تحقيق مراده؛ ليحقق عندئذ التوكل الذي أراده الله ﷻ ودعا إليه مرات عديدة حيث يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران: 159]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾[الأنفال: 2]. فالاستخارة سبب شرعي يعتمد عليه للوصول إلى المراد بأقصر الطرق؛ فهو التجاء حقيقي إلى من يملك مفاتح كل شيء.

وبالتأمل في قول جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند قوله:(كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ)[2] يتبين أن تعليمه ﷺ الصحابة صلاة الاستخارة تَطَلَّبَ منه التكرار مرات عديدة كحاله عند تعليمه لهم السورة من القرآن؛ فعلم الصحابةُ من بعدهم الدِّين كما تلقوه من النبي ﷺ كما أخبر ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[3]:(كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، لَمْ نَتَعَلَّمْ مِنَ الْعَشْرِ الَّذِي نَزَلَتْ بَعْدَهَا حَتَّى نَعْلَمَ مَا فِيهِ)[4]، فالصحابة الكرام لم يكونوا يجاوزون العشر آيات حتى

---

(1) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، حديث رقم 3001، 76/5، قال الترمذي: هذا حديث حسن، وقال الإمام الألباني: حسن. انظر: صحيح سنن الترمذي، حديث رقم 3001، 205/3.

(2) سبق تخريجه، راجع ص: ر.

(3) ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هو عبد الله بن مسعود بن غافل، أبو عبد الرحمن بن الهذلي، حليف بني زهرة، أسلم قبل عُمَر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بزمان. كانَ يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك، شهد بدراً والحديبية، وهاجر الهجرتين، وصلى القبلتين، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وبعثه عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى الكوفة مع عمار ابن ياسر، وكتب إليهم: إنِّي قد بعثت إليكم بعمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر، فاقتدوا بهما، واسمعوا من قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي. مات رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالمدينة سنة 32 هـ عن بضع وستين سنة، ودفن بالبقيع. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 1659، 987/3–994. وأسد الغابة، ترجمة رقم 3182، 381/3–386.

(4) المستدرك، كتاب فضائل القرآن، باب أخبار في فضائل القرآن جملة، حديث رقم 2047، 743/1، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرّجاه.

يتعلموا ما يتوجب عليهم علمه والعمل به، وهذا ظاهر في سياق حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ واظب على تعليمهم الاستخارة مرات عديدة مثل تعليمه لهم السور؛ خاصة وأن القرآن كان ينزل منجماً مستغرقاً الأوقات الكثيرة حتى تتم السورة منه، وهذا إنما يدل على جهده ﷺ المتواصل في ربط المؤمنين بربهم ﷻ حتى لا ينقطع لهم رجاء، ولا تضعف لهم عزيمة على مواصلة الحياة الدنيا؛ للتزود منها لآخرتهم.

وفي الاستخارة إشغال للعقل والقلب عن التعلق بالأهواء والشهوات عند طلب الاختيار؛ فمن سار وراء هواه وشهواته انتكس ولم يبن له قرار سديد؛ ولذلك قال ﷻ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[القصص: 50]، فبينتِ الآية أنه لا أضل ممن اتبع هواه بغير تسديد من الله تعالى، ولذلك شرع لنا رسوله ﷺ صلاة الاستخارة؛ لأنها تتضمن طلب الهداية من الله ﷻ لما فيه الخير في العاقبة؛ فالمسلم عندما يستخير إنما يتخذ من تعلقه بحبل الله ﷻ سبيلا للوصول إلى مراده بعيداً عن مواطن الزلل.

ثانياً: الحكمة من فعلها:

الاستخارة فيها "إرشاد نبوي كريم إلى أدب مع الله عظيم، وانكسار بين يدي رب كريم، وإظهار حاجاتنا إليه في كل شأن من شئون ديننا ودنيانا، واعتراف بعجزنا وضعفنا وافتقارنا إلى كرمه وفضله ورعايته وتسهيله وتيسيره؛ إذ لا سهل إلا ما سهله، ولا يسير إلا ما يسره، ولا قضاء حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا إذا أعان على قضائها، فمن استخار الله ﷻ فقد أوى إلى ركن شديد، وأنزل حاجته بخالق عظيم وقادر كريم يؤوي من أوى إليه، ويرحم ضعف من التجأ إليه، ويجيب دعوة المضطر إذا دعاه، ويقضي حاجة المحتاج، ويعلم مصالح الخلائق كلها في العاجل والآجل منها، فسبحانه وتعالى لا نحصي ثناءً عليه ولو حرصنا، بل هو كما أثنى على نفسه".[1]

وتتجلى الحكمة من الاستخارة في أنها تحقق الاطمئنان والسكينة عند الاختيار من بين الأمور، فالإنسان لم يزل في حيرة وتوجس ما هَمَّ باختيار، بل إنَّ الطِّيَرَةَ ما تكاد تفارق سبيله أبداً مصداقاً لما رواه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: قال رسول الله ﷺ: (الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ، وَمَا مِنَّا إِلاَّ،

(1) الأفنان الندية على شرح منظومة السبل السوية لفقه السنن المروية، لزيد بن محمد بن هادي المدخلي، ط دار علماء السلف، ط الثانية 1413 هـ، 242/2.

وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ)[1]، والحديث بيّن الدلالة على سبق الطيرة إلى القلب فقوله:(وَمَا مِنَّا إِلَّا) معناه: إلا وقد يعتريه التطير، ويسبق إلى قلبه الكراهية فيه، فحذفه من الحديث اختصاراً، واعتماداً على فهم السامع[2]، فالإنسان يبقى في شك واضطراب حتى يستبين ما قد غامر فيه، كل ذلك؛ لأنه ما خرج عن حدود علمه القاصر، أما المسلم فإن له بالاستخارة مخرجاً شرعياً؛ فبها يُنْزِل حاجاته وفاقاته بالله ﷻ العليم القادر على الهداية لما فيه الخير في العاقبة، والاستخارة تربي المسلم على التسليم لقضاء الله ﷻ مع بذل سبب الدعاء وهو عين التوكل الذي بينه النبي ﷺ في الحديث السابق.

والاستخارة تربي المسلم على تعظيم الله ﷻ؛ فالإنسان مجبول على الالتجاء إلى من هو أقوى منه وأعظم، والمسلم إذا أنزل حاجته بخالقه فقد أوى إلى ركن شديد عظيم، ولذلك جاء في الحديث:(...وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ...)، وكذلك فإن في الاستخارة إظهاراً لمنزلة علم الله ﷻ المحيط بكل شيء، فالمسلم إذا استخار فقد أيقن أن له رباً لا تخفى عليه خافية، وهذا الشعور له أعظم الأثر على القلب حال الدعاء.

والاستخارة فيها دليل على إثبات صفات الكمال التي تليق بالله ﷻ؛ ففيها إثباتٌ لصفتي العلم والقدرة، وهذا دليل قوي من أدلة أهل السنة في إثبات الصفات الخبرية[3]؛ حيث يقول الإمام

---

(1) سنن الترمذي، كتاب أبواب السير، باب ما جاء في الطيرة، حديث رقم 1614، 212/3، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وكان سليمان بن حرب رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في جملة:(وما منا، ولكن الله يذهبه بالتوكل) أنها من قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي، حديث رقم 1614، 216/2.

(2) انظر: شرح السنة، 178/12.

(3) الصفات الخبرية: تقسم صفات الله ﷻ حسب دليلها إلى قسمين؛ عقلية وخبرية؛ فالعقلية ما أمكن علمها بالعقل وإن لم يرد بها السمع؛ كالرحمة والحكمة والغضب، وصفات المعاني السبع وهي العلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والحياة والكلام، وأما الخبرية فهي ثابتة بطريق السمع، ولولا ورود الخبر بها لما أمكن العقل معرفتها؛ كالإتيان والنزول والاستواء والوجه واليدين. وصفات الله توقيفية؛ فلا نثبت لله ﷻ من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته، ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه: الأول التصريح بالصفة؛ كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين ونحوها. والثاني تضمن الاسم لها؛ مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع وهكذا. والثالث التصريح بفعل أو وصف دال عليها؛ كالاستواء على العرش. انظر: شرح الرسالة التدمرية، لمحمد ابن عبد الرحمن الخميس، ط دار أطلس الخضراء، بدون رقم الطبعة 1425 هـ، 347/1–348. والصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين بياناً وتفصيلاً، أ.د. جابر زايد السميري، ط الدار السودانية للكتب– السودان، ط الأولى 1416 هـ، ص 55، 58، 64.

البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:"وفي إثبات أسمائه إثباتُ صفاته؛ لأنه إذا ثبت كونه موجوداً، فوصف بأنه حي، فقد وصف بزيادة صفة على الذات هي الحياة، فإذا وصف بأنه قادر فقد وصف بزيادة صفة هي القدرة، وإذا وصف بأنه عالم فقد وصف بزيادة صفة هي العلم، كما إذا وصف بأنه خالق فقد وصف بزيادة صفة هي الخلق، وإذا وصف بأنه رازق فقد وصف بزيادة صفة هي الرزق، وإذا وصف بأنه محيي فقد وصف بزيادة صفة هي الإحياء، إذ لولا هذه المعاني لاقتصر في أسمائه على ما ينبئ عن وجود الذات فقط".[2]

وكذلك فإن فيها الدليل على التعبد بأسماء الله الحسنى؛ فمن أسماء الله العليم والقادر، والمسلم يسأل الله ﷻ بعلمه ويستقدره بقدرته، وفي هذا يقول الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"يشرع للمسلم أن يتوسل في دعائه باسم من أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى مثلاً، ويطلب بها تحقيق ما شاء من قضاء حاجة دنيوية؛ كالتوسعة في الرزق، أو أخروية؛ كالنجاة من النار، فيقول مثلاً: اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بأنك أنت الله الأحد الصمد، أن تشفيني أو تدخلني الجنة، ولا أحد يستطيع أن ينكر عليه شيئاً من ذلك".[3]

وتتجلى الحكمة من الاستخارة في أنها تبين أن الإنسان لا غنى له عن خالقه ﷻ، فالمسلم يستخير ربه في أخص أموره؛ لأنه لا يعلم مصلحة نفسه، فلله ﷻ الغنى المطلق، وفي المقابل فإن للإنسان الفقر المطلق، وهذا ما يزيد من حب المسلم لربه ﷻ، فلذلك هو يستخيره لما في قلبه من فيض حبه ورضاه بما يسر له وكتب، ويزداد بذلك درجة الطمأنينة التي يجنيها من وراء رجوعه إليه، ويتبين كذلك بأن سعادة المرء تكمن في رضا الله ﷻ؛ ولذلك ربط رسولنا ﷺ دعاء الاستخارة

---

(1) البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أَحْمد بن الْحُسَيْن بن عَليّ بن عبد الله بن مُوسَى الْحَافِظ أَبُو بكر الْبَيْهَقِيّ النَّيْسَابُورِي، الخِسْروجِرْدِيّ نسبة إلى قرى بيهق فى نواحى نيسابور. أحد أَئِمَّة الْمُسلمين فَقِيه جليل حَافظ كَبِير أصولي نحرير، ولد فِي شعْبَان سنة أَربع وَثَمَانِينَ وثلاثمائة. قَرَأَ علم الْكَلَام على مَذْهَب الْأَشْعَرِيّ، قال السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما كتاب الْأَسْمَاء وَالصِّفَات فَلَا أعرف لَهُ نظيرا، وَكَانَ الْبَيْهَقِيّ يَصُوم الدَّهْر من قبل أَن يَمُوت بِثَلَاثِينَ سنة، توفّي الْبَيْهَقِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنيسابور فِي الْعَاشِر من جُمَادَى الأولى سنة ثَمَان وَخمسين وَأَرْبَعمِائَة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت 771 هـ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط الثانية 1413 هـ، ترجمة رقم 251، 8/4-12. ووفيات الأعيان، 75/1-77.

(2) الأسماء والصفات، لأحمد بن الحسين ابن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، ت 458 هـ، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط مكتبة السوادي- السعودية، ط الأولى 1413 هـ، 276/1.

(3) التوسل أنواعه وأحكامه، 142/1.

بالصلاة، كحاله إذا حزبه أمر هُرِع إلى الصلاة، كما روى حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1] عنه حيث قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى)[2]، أي؛ إذا نابه وألمَّ به أمر شديد هُرع إلى الصلاة، ويستفاد من ذلك أن المرء إذا نزل به أمر يهمه يستحب له أن يصلي؛ فالصلاة صله بين العبد وربه ﷻ، وفيها التجاء إلى من بيده تسيير الأمور وعلم عواقبها؛ وهكذا ينبغي أن تكون العلاقة بين المسلم وخالقه ﷻ.[3]

(1) حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو ابن اليمان، يكنى أبا عبد الله، واسم اليمان حسيل بن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واليمان لقب، وأمه الرباب بنت كعب بن عدىّ ابن عَبْد الأشهل من الأوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. شهد حذيفة وأبوه وأخوه صفوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحدًا، وقتل أبوه يومها خطأ، وكان حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كبار أصحاب رسول الله ﷺ، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ يوم الخندق ينظر قريش فجاءه بخبرهم، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأله عن المنافقين، وهو معروف في الصحابة بصاحب سر رسول الله ﷺ، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينظر إليه عند موت من مات منهم؛ فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. شهد نهاوند وأخذ الراية فيها، وكان فتح همذان والري والدينور على يده، وكانت فتوحه كلها سنة اثنتين وعشرين، ومات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة 36 هـ. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 492، 334/1-335. وأسد الغابة، ترجمة رقم 1113، 706/1-707.

(2) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل، حديث رقم 1319، 35/2، قال الإمام الألباني: حسن. انظر: صحيح سنن أبي داود، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف- الرياض، ط الأولى 1419 هـ، حديث رقم 1319، 361/1.

(3) انظر: شرح سنن أبي داود، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العينتابي الحنفي، بدر الدين العيني، ت 855 هـ، تحقيق: أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري، ط مكتبة الرشد- الرياض، ط الأولى 1420 هـ، 226/5.

المطلب الثاني

حث النبي ﷺ على الاستخارة وفعل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لها

أولاً: حث النبي ﷺ على صلاة الاستخارة.

لقد تضافرت الأحاديث على أن النبي ﷺ دعا إلى صلاة الاستخارة كثيراً، وهذا بيّن في حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيها: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ....)[1]؛ فالظاهر من سياق حديثه أنه ﷺكررها مراراً وتكراراً كحاله عند تعليمه لهم السورة من القرآن، وما ضَرَب جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لتعليم النبي ﷺ لهم الاستخارة مثلاً بتعليمه لهم القرآن إلا لبروز أهميتها التي استشعرها منه ﷺ لما علمهم إياها، وعند استقصاء البحث في مصنفات الحديث لإيجاد حديث يثبت فيه أن النبي ﷺ استخار ربه ﷻ انحصرت الروايات في أربع، وفي الآتي إيرادها والحكم عليها، وذكر التعليلات المناسبة لها.

1. الروايات الواردة في أن النبي ﷺ فعل صلاة الاستخارة:

أ. عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ (أَنَّهُ كَانَ إِذَا اسْتَخَارَ اللَّهَ فِي الأَمْرِ يُرِيدُ أَنْ يَصْنَعَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا خَيْرًا لِي فِي أَمْرِ دِينِي وَخَيْرًا لِي فِي مَعِيشَتِي وَخَيْرَ مَا يُبْتَغَى فِيهِ الْخَيْرُ، وَخَيْرًا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِي، فَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ خَيْرًا لِي، فَاقْضِ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كَانَ، وَأَرْضِنِي بِقَضَائِكَ)[2].

---

(1) سبق تخريجه، راجع ص: ر.

(2) مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري، ت 327 هـ، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، ط دار الآفاق العربية– القاهرة، ط الأولى 1419 هـ، باب ما يستحب للمرء من استخارة الله ﷻ في الأمر يقصد له، حديث رقم 917، 299/1. والمسند، للإمام أبي سعيد الهيثم بن كُلَيْب بن سُرَيْج بن مَعْقِل الشاشي البِنْكَثي، ت 335 هـ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ط مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة، ط الأولى 1410 هـ، مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، باب ما روى علقمة ابن قيس النخعي أبو شبل عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم 359، 368/1. والدعاء، لسليمان بن أحمد بن أيوب ابن=

وهذا الحديث فيه دلالة واضحة على دعاء الاستخارة دون الصلاة المخصوصة لها التي نصت عليها الأحاديث الصحيحة من سؤال الله ﷻ بعلمه واستقداره بقدرته أن ييسر الأمر المختار عنده، والأرجى عاقبة للمستخير، ولكن هذا الحديث لا يحتج به لضعف في سنده؛ ففيه محمد ابن عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أبو عبد الرحمن، وهو ضعيف ضعّفه غير واحد؛ حتى قيل فيه: كان سيء الحفظ، شغل بالقضاء فساء حفظه، لا يتهم بشيء من الكذب، إنما ينكر عليه كثرة الخطأ، ويكتب حديثه ولا يحتج به.[1]

ب. روى أبو سعيد الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2] أن النبي ﷺ (رَكِبَ إِلَى قُبَاءَ وَعَلَى الْحِمَارِ إِكَافٌ[3]، فَقَالَ: أَسْتَخِيرُ اللَّهَ تَعَالَى فِي مِيرَاثِ الْعَمَّةِ وَالْخَالَةِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ لَا مِيرَاثَ لَهُمَا)[4]؛ وفي هذا

=مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، ت 360 هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1413 هـ، باب الاستخارة، حديث رقم 1301، 388/1. والمعجم الكبير، لسليمان ابن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، ت 360 هـ، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، ط مكتبة ابن تيمية– القاهرة، ط الثانية بدون سنة الطبع، باب العين، باب من روى عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجن، حديث رقم 10052، 91/10. والأسماء والصفات، حديث رقم 224، 300/1.

(1) انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبي الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، ت 742 هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، ط الأولى 1400 هـ، 624/25، وتهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، ط مطبعة دائرة المعارف النظامية– الهند، ط الأولى 1326 هـ، 303/9.

(2) أبو سعيد الخُدريّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عُبَيْد بن الأبجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخدري، وخدرة وخدارة أخوان بطنان من الأنصار، فأبو سعيد من خدرة، وَأَبُو مسعود من خدارة، وَأَبُو سعيد أخو قتادة بن النعمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لأمه. وَهُوَ خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأَنْصَارِيّ الخُدْرِيّ. كَانَ أَبو سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من الحفاظ المكثرين العلماء الفضلاء العقلاء، ومات رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سنة أربع وسبعين. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 2997، 1671/4–1672. وأسد الغابة، ترجمة رقم 5961، 138/6.

(3) إِكَاف: إِكافُ الحِمارِ، ككِتابٍ وغُرابٍ، ووِكافُهُ: بَرْذَعَتُهُ. انظر: النهاية في غريب الحديث، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير، ت 606 هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط المكتبة العلمية– بيروت، بدون رقم الطبعة 1399 هـ 504/2. والقاموس المحيط، 792/1.

(4) المستدرك، كتاب الفرائض، حديث رقم 7998، 381/4. والمراسيل، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق ابن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، ت 275 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، ط الأولى 1408 هـ، باب ما جاء في الفرائض، حديث رقم 361، 263/1. وسنن الدَّارَقُطْنِي، لأبي الحسن علي=

الحديث دلالة على أن الاستخارة تنعقد بالدعاء منفرداً دون الصلاة، وفيه أن النبي ﷺ قد أغناه الله ﷻ بالوحي عن الاستخارة بالصلاة والدعاء معاً فاقتصر على الدعاء، ولكن هذا الحديث استدركه الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المستدرك موصولاً عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، غير أن في سنده ضِرَارُ ابن صُرَّد؛ وهو متروك الحديث عند غير واحد من أرباب الجرح والتعديل؛ فمنهم من رماه بالتشيع، ومنهم من وصفه بالكذاب حتى قيل فيه: صدوق، صاحب قرآن وفرائض، يكتب حديثه، ولا يحتج به[1]، وباقي طرق هذا الحديث إنما هي من المراسيل؛ فالحديث ضعيف لا يرقى إلى الاحتجاج به، كما نص على ذلك ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التلخيص.[2]

جـ. عن أبي بكر الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[3] أن النبي ﷺ كان إذا أراد أمراً قال:(**اللَّهُمَّ خِرْ لِي وَاخْتَرْ لِي**)[4]، وهذا الحديث ضعيف لضعف سنده، فمداره على زَنْفَل بن عبد الله العَرَفِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو ضعيف عند أهل الحديث، وقد تفرد به، ولا يتابع عليه؛ قاله الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

=ابن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدَّارَقُطْنِي، ت 385 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، ط الأولى 1424 هـ، كتاب الفرائض والسير وغير ذلك، حديث رقم 4156، 173/5. والسنن الصغير، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، ت 458 هـ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط جامعة الدراسات الإسلامية– باكستان، ط الأولى 1410 هـ، كتاب الفرائض، باب الميراث بالولاء، حديث رقم 2302، 366/2.

(1) انظر: تهذيب الكمال، 303/13، وتهذيب التهذيب، 456/4.

(2) انظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1419 هـ، كتاب الفرائض، حديث رقم 1346، 183/3.

(3) أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هو عبد الله بن أَبِي قحافة، وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله. أول من أسلم من الرجال، وأول من صلى مع النبي ﷺ، وسمي الصديق لبداره إلى تصديق رسول الله ﷺ في خبر الإسراء. أسلم على يده: الزُّبَيْر، وعثمان، وطلحة، وعبد الرحمن بْن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، واستخلفه رسول الله ﷺ على أمته من بعده بالتعريض الذي يقوم مقام التصريح، وقام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقتال المرتدين. توفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على رأس سنتين وثلاثة أشهر واثنتي عشرة ليلة من موت رسول الله ﷺ، واستوفى بخلافته بعد رسول الله ﷺ سنَّ رسول الله ﷺ. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 1633، 963/3–978. وأسد الغابة، ترجمة رقم 3066، 310/3–331.

(4) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب 86، حديث رقم 3516، 418/5، قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث زَنْفَل: وهو ضعيف عند أهل الحديث، وتفرد به، ولا يتابع عليه. ومسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، ت 292 هـ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، ط مكتبة العلوم والحكم– المدينة المنورة، ط الأولى 1988– 2009م،=

د. أورد الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] عند تفسيره للآية التاسعة والعشرين من سورة التوبة حديثاً دون سند، فقال:(فِي سَنَةِ تِسْعٍ تَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِقِتَالِ الرُّومِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ وَأَظْهَرَهُ لَهُمْ، وَبَعَثَ إِلَى أَحْيَاءِ الْعَرَبِ حَوْلَ الْمَدِينَةِ فَنَدَبَهُمْ فَأَوْعَبُوا[2] مَعَهُ، وَاجْتَمَعَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَتَخَلَّفَ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي عَامِ جَدْبٍ ووقت قيظ وحر، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ الشَّامَ لِقِتَالِ الرُّومِ، فَبَلَغَ تَبُوكَ فَنَزَلَ بها وأقام بها قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ يَوْمًا، ثُمَّ اسْتَخَارَ اللَّهَ فِي الرُّجُوعِ فَرَجَعَ عَامَهُ ذَلِكَ؛ لِضِيقِ الْحَالِ وَضَعْفِ النَّاسِ)[3].

وهذا الحديث غير مقبول من دون سند، فلقد اصطلح المحدثون على اشتراط وجود الإسناد لقَبول أي حديث ابتداء، ثم تَنَاوِلِ رواته بالجرح والتعديل من حيث القبول والرد، وهذا الحديث من صور الحديث المعلق[4]، وقد عَدَّ العلماء التعليق سبباً لضعف الحديث؛ للجهل بحال الرواة المحذوفين، لجواز أن يكونوا غير ثقات، ولما كان هذا الاحتمال قائماً فلا يقبل الحديث؛ على سبيل

=مسند أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ما روت عائشة عن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، حديث رقم 59، 129/1، قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وزَنْفَل هذا قد حدث عنه غير إنسان، إلا أنه لا نعلم أن أحداً روى هذا الحديث غيره؛ فلذلك ذكرناه. ومسند أبي يعلى، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى ابن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، ت307 هـ، تحقيق: حسين سليم أسد، ط دار المأمون للتراث- دمشق، ط الأولى 1404 هـ، حديث رقم 44، 45/1، وقال حسين أسد: إسناده ضعيف، وقال الإمام الألباني: ضعيف. انظر: ضعيف سنن الترمذي، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف- الرياض، ط الأولى 1420 هـ، حديث رقم 3516، 385/1.

(1) ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن درع القرشي الأموي البصروي الشيخ عماد الدين المعروف بابن كثير صاحب التفسير والتاريخ. مولده سنة إحدى وسبعمائة في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة 706 هـ ورحل في طلب العلم، وتزوج ابنة المزّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلازمه وأكثر عنه، وتخرج بابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ. من مؤلفاته: البداية والنهاية في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وانتهى فيه إلى حوداث سنة 767 هـ، وشرح صحيح البخاري لم يكمله، وطبقات الفقهاء الشافعيين، التكميل وأحكام التنبيه، وغيرها الكثير. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدمشق في يوم الخميس سادس عشر شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة. انظر: ذيل التقييد، ترجمة رقم 918، 471/1-472. والأعلام، 320/1.

(2) أوعبوا: القوم إذا شخصوا جميعاً في غزو أو في غيره. انظر: غريب الحديث، 204/3.

(3) تفسير ابن كثير، 116/4.

(4) الحديث المعلق: التعليق لغة: قطع الاتصال، وفي الاصطلاح: هو الحديث الذي حذف من مبتدأ إسناده راوٍ واحد أو أكثر ولو كان السند كله. انظر: الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، لمحمد بن محمد بن سويلم أبي شُهبة، ت 1403 هـ، ط دار الفكر العربي، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 294/1.

الاحتياط للأحاديث وصيانتها عن التزيد والاختلاق أو الخطأ والغلط، وقد يحكم بصحة المعلق أو بحسنه إن عرف المحذوف؛ بأن يجيء مسمى من وجه آخر، وهذه الرواية قد تفرد بها الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم ترد بسند عنده أو عند غيره، وخلاصة القول: فالحديث على حاله هذه ضعيف لا يحتج به.

2. الحكمة من عدم فعل النبي ﷺ لصلاة الاستخارة:

الأصل ألا تخالف أفعالُ الأنبياء أقوالَهم أبداً؛ بل يجب عليهم أن يكونوا قدوة لغيرهم، حيث قال الله ﷻ على لسان رسوله شعيب ﷺ: ﴿ **قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾** ﴾[هود: 88]، فشعيب عليه السلام أمر قومه بالمعروف ونهاهم عن الفساد، وما أراد أن يخالفهم فيما يدعوهم إليه، بل عدّ نفسه سلفاً لهم في أي قول أو فعل، ولم يكن ليدعوهم إلى شيء ولا يأتيه، أو ينهاهم عن أمر ويأتيه، وهذا تجسيد فريد لمعنى الاقتداء؛ فمبتغى الأنبياء هداية الناس إلى صراط الله المستقيم دون سؤال الأجر منهم على ذلك حيث قال الله ﷻ: ﴿ **...قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾** ﴾[الشورى: 23].

ولقد بين الله ﷻ وجوب إتباع النبي ﷺ فيما يأمر وينهى، وجعل في إتباعه تحقيق محبة الله ﷻ ونوال المغفرة واستجلاب الهداية، كما بين ذلك على لسان نبيه ﷺ حيث قال: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾** ﴾[آل عمران: 31]، وقال سبحانه: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾** ﴾[النور: ٥٤]؛ فكل ما نحن فيه من خير أمور الدنيا والآخرة فمن الله تعالى بواسطة النبي ﷺ، ونعلم أن الله سبحانه تعبدنا بذلك[1]، ولقد قال سبحانه ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾** ﴾ [الأحزاب: 21]، أي؛ أن تتأسوا به وتكونوا معه

(1) انظر: نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي)، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت 911 هـ، ط جامعة أم القرى– السعودية 1424 هـ، 502/3.

حيث كان، ولا تتخلّفوا عنه، فإن من يرجو ثواب الله ﷻ ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه عن إتباعه، ولكنه تكون له به أُسوة في أن يكون معه حيث يكون هو.[1]

ولا ينبغي لمسلم رضي بالله ﷻ رباً، وبمحمد ﷺ رسولاً، وبالإسلام ديناً أن يعدل عما جاء به النبي ﷺ؛ فلقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] عن النبي ﷺ قوله:(كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)[3]، وقوله:(كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى) بفتح الموحدة، أي؛ امتنع، وظاهره أن العموم مستمر؛ لأن كلا منهم لا يمتنع من دخول الجنة، ولذلك قالوا:(وَمَنْ يَأْبَى) فبيَّن لهم أن إسناد الامتناع إليهم عن الدخول مجاز عن الامتناع عن سنَّته؛ وهو عصيان الرسول ﷺ".[4]

وهنا وبعد عرض حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصحيح في الاستخارة، وحصر الروايات التي تقول بأن النبي ﷺ فعل الاستخارة، وبيان ضعفها كلها؛ يستشكل الأمر، وفي الآتي تعليل ذلك:

- إن الله ﷻ قد كفى النبي ﷺ مئونة الاستخارة بالوحي بوساطة جبريل عليه السلام، فلم يحتج ﷺ أن يفعلها لنزول الوحي عليه مُعْلِماً إياه باختيار الله ﷻ الأفضل له من بين الأمور؛ حيث روى أبو سعيد الخُدْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال:(عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ

---

(1) انظر: تفسير الطبري، 235/20.

(2) أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اختلف في اسمه كثيراً؛ قال ابن عبد البر: محال أن يكون اسمه في الإسلام عبد شمس، أو عبد عمرو، أو عبد غَنْمٍ، أو عبد نَهمٍ، وهذا إن كان شيء منه فإنما كان في الجاهلية. وأما في الإسلام فاسمه عبد الله أو عبد الرحمن، والله أعلم، وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنما كنيت بأبي هريرة؛ لأني وجدت هرة فجعلتها في كمي، فقيل لي: ما هذه؟ قلت: هرة. قيل: فأنت أبو هريرة. أسلم عام خيبر، ولزم النبي ﷺ ليتعلم منه، فكانت يده مَعَ يد رَسُول الله ﷺ، وَكَانَ من أحفظ الصحابة، وكان يحضر ما لا يحضره سائر المهاجرين والأنصار، روى 5374 حديثاً، وتوفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة 59 هـ. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 3208، 1768/4−1772. وأسد الغابة، ترجمة رقم 3334، 457/3.

(3) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، حديث رقم 7280، 92/9.

(4) فتح الباري، 254/13.

خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، لَا تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ)[1]، فلو كان اختيار النبي ﷺ في غير محله لما أُقِرَّ عليه ولبيَّنه الله ﷻ له بالوحي مباشرة؛ كحاله عند فعله ﷺ لخلاف الأولى.

- أن النبي ﷺ ملزم ببيان أحكام الشريعة على وجه اليقين، ولا يتأتى ذلك مباشرة بالاستخارة؛ فإن المستخير يشاور أهل العلم والخبرة ثم يصلي الاستخارة، ثم يعزم على الأمر الذي شاور فيه وصلى من أجله، ولكن المشاورة قد لا تكون صواباً، ويكون المستخير قد صُرِفَ إلى ما هو دون المطلوب، وهذا يتعارض مع مقام النبوة التي من لوازمها بيان أمور الشريعة على أكمل وجه، وكذلك لو فعل الاستخارة وكان قد تعلق قلبه بأمر قبلها وفعله بعدها؛ لتعلقه به لأصبح كمن يرجم بالغيب، وهذا ما نهى الله ﷻ عنه فقال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء: 36]، أي؛ لا تتبع الحدس والظنون[2]، ومقام النبوة أرفع من يقال فيه بالظن؛ لمعارضته معنى العصمة، فلذلك كان النبي ﷺ مؤيداً بالوحي القاطع للحجة، والقول الفصل في الأمور كلها.

- أن الإيمان يخلق في القلوب كما يخلق الثوب؛ لما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال:(إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ)[3]، أما إيمانه ﷺ فلا يبلى؛ لأنه على اتصال دائم بالله ﷻ، وهذا من كمال إيمانه ﷺ، والعلاقة بين هذا وعدم فعله ﷺ للاستخارة؛ أن في الاستخارة من التوكل والأخذ بالأسباب، والرضا بالقضاء بعد الاختيار ما يجعل المسلم مستحضراً علم الله ﷻ المحيط وقدرته المطلقة، فينبني على ذلك عمل لا يخالف علمه، وكل هذا متوفر فيه ﷺ دون اللجوء إلى الاستخارة، وما كان من فعل رسول ﷺ حين قصد الهجرة إلا أن أخذ بالأسباب وتوكل على العليم ﷻ، ورضي بقضائه، مع إعلام الله ﷻ له بالوحي مسبقاً أن الهجرة خير في العاقبة.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب من فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم 2382، 1119/2، واللفظ له، وصحيح البخاري، كتاب المناقب، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى المدينة، حديث رقم 3904، 57/5.

(2) انظر: تفسير القرطبي، 77/13.

(3) سبق تخريجه، راجع ص: 27.

- أن النبي ﷺ معصوم من الرياء فلا يحتاج إلى الاطمئنان على إخلاص النية؛ لأنه لا يخرج عن شيء مما علّمه الله ﷻ بالوحي، لذلك قال ﷻ عنه﴿ ..قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾[الرعد: 36]، والنبي معصوم من إغواء الشيطان لقوله ﷻ على لسان إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[ص: 82-83].

ثانياً: فعل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لصلاة الاستخارة.

من المعلوم في الإسلام أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم خير أتباع النبي ﷺ؛ لأنهم حازوا شرف الصحبة التي لا يشاركهم فيها أحد بعد موت النبي ﷺ؛ ولذلك قال رسولُ الله ﷺ:(خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ)[1]؛ فالنبي ﷺ بيّن أن خير الناس من بعث فيهم من الصحابة ثم من يأتي بعدهم من التابعين وتابعيهم، وتلك هي الأجيال المفضلة؛ ولقد قال الله ﷻ في محكم كتابه عنهم: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾[الفتح: 29]، والآيات كثيرة متعاضدة في القرآن الكريم مدحاً في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأخلاقهم وأفعالهم، وكذلك الأحاديث من السنة النبوية المطهرة.

والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم ذلك الرعيل الأول الذي أوى ونصر ولم يدخر جهداً في مجاهدة نفسه في إتباع سنة رسوله ﷺ؛ لذلك كانوا الحريصين على تطبيق سنته ﷺ والتثبت مما يقال على لسانه قدر جهدهم، بل والعمل على نقل كلامه وتوجيهاته إلى مَن بعدهم كما سمعوها منه؛ وهذا ما أوصاهم النبي ﷺ به؛ فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال:(بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)[2]، وعن المغيرة

---

(1) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم 2533، 2/1177-1178، والحديث له متابعات وشواهد.

(2) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم 3461، 170/4.

ابن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)[2].

فاكتفى النبي ﷺ من المسلم أن ينقل آية سمعها أو فهمها إلى غيره؛ فلربما تكون سبباً في تغيير مسار حياة الآخرين، وحذر من الكذب على لسانه؛ لأن الكذب عليه ليس ككذب على أحد، فالكذب على لسان إنسان عادي يبقى محصوراً لا يتسع؛ ولكن الكذب على لسان النبي ﷺ له خطر كبير؛ إذ المسلمون مأمورون في متابعة نبيهم فيما قال أو فعل أو أقر أو أثر عنه، ولو كذب على لسانه أحدٌ فقد تسبب في إضلال غيره ممن تابع نبيه ﷺ فيما نُقل عنه.

ولقد روى أبو بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع: (فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ..)[3]؛ فأمرهم النبي ﷺ بأمانة تبليغ الدين إلى غيرهم فربما سمع إنسان كلاماً فنقله إلى غيره وهو غير مدرك لكامل ما يرمي الكلام إليه من معانٍ، وكان ذلك المنقول إليه أقدر على الفهم والاستنباط والربط والتحليل ممن نقله إليه؛ فيحصل بذلك ما أراده النبي ﷺ حين اجتهد قدر وسعه في تبليغ الدِّين؛ ولذلك استشعر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ذلك الأمر فأخذوا يتناقلون ما يسمعونه حتى لا يدرس العلم وتندثر المعالم؛ ومن ذلك تناقلهم لحديث الاستخارة وفعلهم لها كما علمهم الرسول ﷺ إياها، وفي الآتي إيراد ما يدل على شدة إتباعهم لرسول الله ﷺ:

---

(1) المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو ابن شعبة بن أَبِي عَامِر. من ثقيف، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أَبو عيسى. أسلم عام الخندق، وشهد الحديبية، وله في صلحها كلام مع عروة بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كان موصوفاً بالدهاء، وقال الشعبي: دهاة العرب أربعة: معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد، فأما معاوية فللأناة والحلم، وأما ابن العاص فللمعضلات، وأما المغيرة فللمبادهة، وأما زياد فللصغير والكبير. ولّاه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البصرة، ثم عزله، ثم ولاه الكوفة فلم يزل عليها حتى قتل عمر، فأقره عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عليها، ثم عزله، وشهد اليمامة، وفتوح الشام، وذهبت عينه باليرموك، وشهد القادسية ونهاوند، واعتزل الفتنة، وشهد الحكمين، ولما سلم الحَسَن الأمر إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا استعمل عبد الله بن عمرو بن العاص على الكوفة، فقال المغيرة لمعاوية: تجعل عَمراً علَى مصر والمغرب، وابنه على الكوفة، فتكون بين فكي أسد، فعزل عبد الله عن الكوفة، واستعمل عليها المغيرة، فلم يزل عليها إلى أن مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة خمسين. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 2483، 1445/4–1447. وأسد الغابة، ترجمة رقم 5071، 238/5.

(2) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، حديث رقم 1291، 80/2.

(3) المصدر السابق، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، حديث رقم 1741، 176/2.

1. لما أراد النبي ﷺ خِطبة زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[1] بعث إليها زوجها الأول زيد ابن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] ليسألها، فطلبت منه أن يتركها تستخير ربها ﷻ، وهذا ظاهر في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] حيث يقول:(لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْدٍ: فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ، قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي، حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي، وَنَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي، فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُكِ، قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ، . . . .)[4]، قَوْلُهَا:(مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا)،

---

(1) زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هي بنت جحش بن رئاب بن يعمر، أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ، تزوجها ﷺ فِي سنة خمس من الهجرة، وكانت قبله تحت زيد بْن حارثة، وذكر اللَّه ﷻ قصتها فِي القرآن بقوله:﴿فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها﴾[الأحزاب: 37]، وكانت تفخر عَلَى نساء النَّبِيّ ﷺ، فتقول:(إن الله أنكحني في السماء)(صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ﴾، حديث رقم 7421، 125/9)، وغضب عليها رسول الله ﷺ لقولها في صفية بنت حيي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تلك اليهودية؛ فهجرها لذلك ذا الحجة والمحرم وبعض صفر، ثم أتاها بعد وعاد إلى ما كان عليه معها. أول نساء النبي ﷺ وفاة بعده، وذلك في سنة عشرين. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 3355، 1849/4. وأسد الغابة، ترجمة رقم 6955، 126/7.

(2) زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو ابن حارثة بن شراحيل الكلبي، أصابه سباء في الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام لخديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فوهبته لرسول الله ﷺ فتبناه قبل النبوة، وبقي أهل زيد يبحثون عنه حتى وجدوه عند النبي ﷺ، فأتوا يفادونه فأرشدهم النبي ﷺ إلى أحسن من ذلك؛ فقال: أدعوه فأخيره، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فو الله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً، قالا: قد زدتنا على النصف، وأحسنت؛ فدعاه فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم، قال: من هذا؟ قال: هذا أبي. وهذا عمي. قال: فأنا مَن قد علمت ورأيت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما. قال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني مكان الأب والعم. فقالا: ويحك يا زيد! أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك، وعلى أهل بيتك! قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً. قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمؤتة سنة ثمان. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 843، 542/2. وأسد الغابة، ترجمة رقم 1829، 350/2.

(3) أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو ابن مالك بن الأنصاري الخزرجي النجاري البصري، خادم رسول الله ﷺ، يكنى أبا حمزة، سمي باسم عمه أنس بن النضر أمه أم سليم بنت ملحان الأنصارية، ولما قدم النبي ﷺ المدينة كان ابن عشر سنين، وتولى عنها وهو ابن عشرين، وشهداً بدراً، وولد له ثمانون ولدًا منهم ثمانية وسبعون ذكراً، والبنتان الواحدة تسمى حفصة والثانية تكنى أم عمرو، ومات سنة اثنتين وسبعين عن مائة وسبع سنين. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 84، 109/1–111. وأسد الغابة، ترجمة رقم 258، 294/1–296.

(4) صحيح مسلم، كتاب النكاح، بَابُ زَوَاجِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَنُزُولِ الْحِجَابِ، وَإِثْبَاتِ وَلِيمَةِ الْعُرْسِ، حديث رقم 1428، 1048/2.

"أيْ؛ موضع صلاتها من بيتها، وفيه استحباب صلاة الاستخارة لمن هَمَّ بأمر، سواء كان ذلك الأمر ظاهر الخير أم لا؛ وهو موافق لحديث جابر في صحيح البخاري:(قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . .)[1]، ....ولعلها استخارت لخوفها من تقصير في حقه ﷺ"، قاله النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.[2][3]

2. عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال:(لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَلْحَدُ، وَآخَرُ يَضْرَحُ، فَقَالُوا: نَسْتَخِيرُ رَبَّنَا، وَنَبْعَثُ إِلَيْهِمَا، فَأَيُّهُمَا سُبِقَ تَرَكْنَاهُ، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِمَا، فَسَبَقَ صَاحِبُ اللَّحْدِ؛ فَلَحَدُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ)[4]؛ وقوله: رجل يَلْحد؛ وَهُوَ أَبُو طَلْحَة الْأَنْصَارِيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[5]، وَآخر يَضْرَحُ، أي؛ يشق، وَهُوَ أَبُو عُبَيْدَة ابن الجراح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[6]؛ فإنه كان يشق في وسط القبر ويطلق عليه الشَّق وهو الضريح أيضاً،

---

(1) سبق تخريجه، راجع ص: ر.

(2) النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو يحيى بن شرف بن مري، النووي، الشافعيّ، أبو زكريا، محيي الدين. علّامة بالفقه والحديث. ولد في نوا من قرى حوران، بسورية عام 631 هـ، فيقال النووي، ويجوز كتابتها بالألف: نواوي، وكان يكتبها هو بغير الألف، وتعلم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً. له تصانيف كثيرة؛ منها: تهذيب الأسماء واللغات، والمنهاج في شرح صحيح مسلم، والأذكار النووية، ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، وتوفي بِنَوَا في سنة 676 هـ. انظر: طبقات الشافعية، ترجمة رقم 1288، 295/8.

(3) المنهاج، 228/9.

(4) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الشق، حديث رقم 1557، 496/1، قال الإمام الألباني: سنده حسن، وله شاهدان: الأول عن ابن عباس والثاني عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أخرجهما ابن ماجه؛ وكلاهما ضعيف، لكن الأول له طريق أخرى. وبمجموع الطرق يكون حديث ابن ماجه إسناده حسناً وربما أصبح صحيحاً. انظر: أحكام الجنائز، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط المكتب الاسلامي- بيروت، ط الرابعة 1406 هـ، 144/1-145.

(5) أبو طلحة الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام، الأَنْصَارِيّ النجاري الخزرجي. شهد العقبة، وبدرًا وما بعدها من المشاهد. كان آدم مربوعًا، وَكَانَ من الرماة المذكورين من الصحابة. قيل: إنه قتل يوم حنين عشرين رَجُلا وأخذ أسلابهم. وَكَانَ لا يخضب. كانت تحته أم سليم بنت ملحان وعَقِبه منها. اختلف في وفاته، غير أنه مات وهو ابن سبعين سنة، وصلى عَلَيْهِ عُثْمَان بْن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 3055، 1697/4-1699. وأسد الغابة، ترجمة رقم 6036، 178/6.

(6) أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هو عامر بن عبد الله بن الجراح. كان أهتم؛ لنزعه حلقتي المِغْفَر من وجه النبي ﷺ يوم أحد، فانتزعت ثنيتاه فحسّنتا فاه. هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً والحديبية. أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان يدعى في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ القوي الأمين، وكان موته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في طاعون عمواس بأرض الأردن وفلسطين سنة=

والضريح اسم للقبر سواء كان باللحد وبلا لحد، وهو من الضرح بِمَعْنى الدّفع، وَضَرَحَ لِلْمَيت حفر لَهُ ضريحاً، وَاخْتلفت الصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في أيهما يفعل للنبي ﷺ فاتفقوا على أن أَي الرجُلين جاء أولاً عمل عمله؛ فجَاء أَبُو طَلْحَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فلحد النبي ﷺ؛ فَلَا شكّ أن اللَّحد يكون هو الأفضل، ومع ذلك قيل: اللَّحد أفضل إن كانت الأرض صلبة، والشق أفضل إن كانت رخوة.[1] والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في هذا الحديث قد استخاروا الله ﷻ في كيفية دفن رسول الله ﷺ بدعاء الاستخارة دون الصلاة لها كما نصت أحاديث الاستخارة، وهذا خلاف الأصل، وهو جائز إذا تعذرت الصلاة لسبب من الأسباب.[2]

3. أن عبد الله بن الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[3] لما أراد هدم الكعبة وبناءها على أساسها الصحيح استخار في ذلك ثلاثة أيام، حيث قال:(...لَوْ كَانَ أَحَدُكُمُ احْتَرَقَ بَيْتُهُ، مَا رَضِيَ حَتَّى يُجِدَّهُ، فَكَيْفَ بَيْتُ رَبِّكُمْ؟ إِنِّي مُسْتَخِيرٌ رَبِّي ثَلَاثًا، ثُمَّ عَازِمٌ عَلَى أَمْرِي، فَلَمَّا مَضَى الثَّلَاثُ أَجْمَعَ رَأْيَهُ عَلَى أَنْ يَنْقُضَهَا...)[4].

=ثمان عشرة، مات فيه نحو خمسة وعشرين ألفاً.. وكانت سن أبي عبيدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يوم توفي ثمانية وخمسين سنة. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 1335، 795/2. وأسد الغابة، ترجمة رقم 6084، 201/6.

(1) انظر: شرح سنن ابن ماجه (مجموع من ثلاثة شروح) وهي؛ مصباح الزجاجة، للسيوطي، ت 911 هـ، وإنجاح الحاجة، لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي، ت 1296 هـ، وما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات، لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي، ت 1315 هـ، ط قديمي كتب خانة- كراتشي، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 112/1.

(2) انظر: الأذكار، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت 676 هـ، ط الجفان والجابي- دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط الأولى 1425 هـ، 230/1.

(3) عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: هو ابن الزُّبَيْر بْن العوام بْن خويلد. أمه أسماء بنت أبي بكر. أول مولود من المهاجرين بعد الهجرة. بويع له بالخلافة سنة أربع وستين عند موت يزيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولم يستوسق له الأمر، وحاربه عبد الملك ابن مروان حتى قتله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فاستقل بالخلافة عبد الملك وآله، واستوسق لهم الأمر، إلى أن قهرهم بنو العباس بعد ملك ستين عاماً. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 1535، 905/3-910. وأسد الغابة، ترجمة رقم 2949، 241/3.

(4) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، حديث رقم 1333، 970/2.

4. أَنَّ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] كتب في الجدّ والكَلَالَة[2] كتاباً، ومكث يستخير الله، يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنْ عَلِمْتَ فِيهِ خَيْرًا فَأَمْضِهِ، حَتَّى إِذَا طُعِنَ، دَعَا بِالْكِتَابِ فَمُحِيَ فَلَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَا كَانَ فِيهِ، فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ كَتَبْتُ فِي الْجَدِّ وَالْكَلَالَةِ كِتَابًا، وَكُنْتُ أَسْتَخِيرُ اللَّهَ فِيهِ، فَرَأَيْتُ أَنْ أَتْرُكَكُمْ عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ)[3].

وهذا الأثر مرسل؛ لأن ابن المسيِّب رَحِمَهُ اللَّهُ[4] لم يسمع من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكنه أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، واتفق علماء الجرح والتعديل على أن مرسلاته أصح المراسيل[5]، وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ:"ومراسيل سعيد مُحْتَجٌّ بها".[6]

ولكن ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عند عرضه لموضوع الكلالة قال:"لكثرة الاختلاف فيها صح عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لم أقل في الكلالة شيئاً"[7]، وهذا لا يتعارض مع الحديث السابق؛ لأنه يحتمل أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد استخار في الكتابة في الكلالة، ثم رأى أن يترك الناس على ما هم

---

(1) عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو ابن الخَطَّاب بن نُفَيْل القرشي العدوي، أَبُو حفص، ولد بعد النبي ﷺ بثلاث عشرة سنة. أسلم بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، وكان إسلامه عزاً. هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. ولي الخلافة بعد أَبِي بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفتح الله لَهُ الفتوح بالشام، والعراق، ومصر. دوّن الدواوين، وأرخ التاريخ الهجري، وهو أول من سمى بأمير المؤمنين، وكان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظاً يا عمر. قتله أَبو لُؤْلُؤَة المجوسي بست طَعَنَاتٍ إِحْدَاهُنَّ تَحْتَ سُرَّتِه. أتم ثلاثاً وستين سنة، ودفن بجانب رسول الله ﷺ وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 1878، 3/1144–1159. وأسد الغابة، ترجمة رقم 3830، 4/137–168.

(2) الكلالة: مَن لم يرثه أبٌ ولا ابن، وهو قول أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجمهور العلماء. انظر: فتح الباري، 8/268.

(3) المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، ت 211 هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط المكتب الإسلامي– بيروت، ط الثانية 1403 هـ، حديث رقم 19183، 10/301. ومصنف ابن أبي شيبة، كتاب الفرائض، باب اختلافهم في الجد، حديث رقم 31270، 6/268.

(4) سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ: هو ابنُ المُسَيِّبِ بنِ حَزْنٍ القُرَشِيُّ المَخْزُوْمِيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ القُرَشِيُّ، عَالِمُ أَهْلِ المَدِيْنَةِ، وُلِدَ لِسَنَتَيْنِ مَضَتَا مِنْ خِلاَفَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَأَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقيل: سمع منه، وسمع من الصحابة غيره؛ منهم: عثمان وعلي وزيد وأبو موسى وسعد وعائشة وأبو هريرة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. كَانَ زَوْجَ بِنْتِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِحَدِيْثِهِ، مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِيْنَ. انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم 88، 4/217–246.

(5) تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، تحقيق: محمد عوامة، ط دار الرشيد– سوريا، ط الأولى 1406 هـ، ترجمة رقم 2396، 1/241.

(6) انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم 88، 4/221.

(7) فتح الباري، 8/268.

عليه؛ فلم يقل فيها شيئاً بعدُ، وهكذا نرى أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا ملتزمين في الأخذ بوصية رسول الله ﷺ بتطبيقهم صلاة الاستخارة سواء بالصلاة والدعاء معاً، أو بالدعاء دون الصلاة، وهذا من مناقبهم وحسن اقتدائهم بسنته ﷺ في حياته وبعد مماته، والحرص على نقل ما أوصاهم به إلى مَن بعدهم؛ لأنهم استشعروا عظم الأمانة الملقاة على عاتقهم، خاصة وأن النبي ﷺ بين لهم واجب التبليغ وحثهم عليه فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:(نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ)[1].

(1) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، حديث رقم 2657، 331/4، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي، حديث رقم 2657، 60/3-61.

المبحث الثاني

حديث الاستخارة رواية ودراية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تخريج حديث الاستخارة من مظانه.

المطلب الثاني: شرح حديث الاستخارة.

المطلب الثالث: وقت صلاة الاستخارة وعلاقتها بالاستشارة.

المطلب الرابع: المفاهيم الخاطئة حول صلاة الاستخارة وتصحيحها.

المطلب الأول

تخريج حديث الاستخارة من مظانه

الأحاديث الواردة في الاستخارة جاءت من أكثر من طريق عن أكثر من صحابي، وهم (جابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وابن عباس، وابن مسعود، وأبو أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ)، وفيما يأتي ذكر رواية واحدة لكل صحابي منهم على حدة؛ إلا إذا اشترك صحابيان في الرواية، مع عزو الروايات إلى مظانها، والاكتفاء بالمقاربة بين المتون لمرويات كل منهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وبيان تخريجها كلها في الحاشية، وسيكون إيراد حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أولاً من صحيح البخاري بنصه، ثم إتباعه بالروايات الأخرى.

أولاً: رواية الصحابي جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

۞ عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ).[1]

وقد جاء حديث الاستخارة من طريق عبد الرحمن بن أبي المَوَالِ عن محمد بن المُنْكَدِرِ عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد استفاضت الطرق عنهم؛ فأخرجه ابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المصنف[2]،

---

(1) سبق تخريجه، راجع ص: ر.

(2) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد ابن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، ت 235 هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد- الرياض، ط الأولى 1409 هـ، كتاب الدعاء، باب الرجل يريد الحاجة ما يدعو به؟، حديث رقم 29403، 52/6 بنحوه.

وكذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المسند[1] ولكن بزيادة لفظة:(**وَمَعِيشَتِي**)، وعبد بن حميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسنده[2]، والبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه[3]، وكذلك في الأدب المفرد[4]، وأخرجه ابن ماجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه[5]، وأبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه[6] وبزيادة لفظة:(**وَمَعَادِي**)، وأخرجه الترمذي في سننه[7] ولكن بإبدال لفظة:(**وَمَعَاشِي**) إلى لفظة:(**وَمَعِيشَتِي**)، وأخرجه ابن أبي عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السنة[8] بحذف لفظة:(**وَمَعَاشِي**)، وأخرجه النسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه[9]، وابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه[10]

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت 241 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، ط مؤسسة الرسالة، ط الأولى 1421 هـ، مسند جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حديث رقم 14707، 55/23 بنحوه، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

(2) المنتخب من مسند عبد بن حميد، لأبي محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام، ت 249 هـ، تحقيق: صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، ط مكتبة السنة– القاهرة، ط الأولى 1408 هـ، من مسند جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حديث رقم 1089، 328/1 بنحوه، وإسناده صحيح.

(3) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، حديث رقم 6382، 81/8 بنحوه، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾[الأنعام: 65]، حديث رقم 7290، 118/9 بنحوه.

(4) الأدب المفرد، باب الدعاء عند الاستخارة، حديث رقم 703، 370/1 بنحوه، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح الأدب المفرد، حديث رقم 703، 261/1–262.

(5) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في صلاة الاستخارة، حديث رقم 1383، 440/1 بنحوه، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجه، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف– الرياض، ط الأولى 1417 هـ، حديث رقم 1144، 411/1.

(6) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في الاستخارة، حديث رقم 1538، 89/2 بنحوه، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 1538، 421/1–422.

(7) سنن الترمذي، كتاب الوتر، باب ما جاء في صلاة الاستخارة، حديث رقم 480، 345/2 به، قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، وقال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي، حديث رقم 480، 270/1.

(8) السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، ت 287 هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي– بيروت، ط الأولى 1400 هـ، حديث رقم 421، 183/1 بنحوه.

(9) سنن النسائي، كتاب النكاح، باب كيف الاستخارة، حديث رقم 3253، 80/6 به، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن النسائي، حديث رقم 3253، 424/2–425.

(10) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي، ت 354 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، ط الثانية، 1414 هـ، باب الأدعية، حديث رقم 887، 169/3 بنحوه، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الرحمن بن أبي الموال فمن رجال البخاري.

ولكن بإبدال لفظة:(فَاقْدُرْهُ) إلى لفظة:(فَقَدِّرْهُ)، وأخرجه البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأسماء والصفات[1] بزيادة لفظة:(وَمَعَادِي)، وأخرجه الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع[2]، وأبو يعلى الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسنده[3]، وأخرجه الطبراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدعاء[4].

ثانياً: رواية الصحابي أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

❁ عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:(إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَمْرًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا - مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي يُرِيدُ - لِي خَيْرًا فِي دِينِي، وَمَعِيشَتِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، وَإِلَّا فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، ثُمَّ قَدِّرْ لِيَ الْخَيْرَ أَيْنَمَا كَانَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)[5].

وهذا الحديث رجاله مُوَثَّقُون كما نص على ذلك الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجمع الزوائد[6]، وإسناده حسن؛ غير أن فيه عيسى بن عبد الله بن مالك، وهو مجهول كما قال ابن المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولم يرو عنه غير محمد بن إسحاق، وقال فيه ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التقريب: مقبول[7]، ولكن قد روى

---

(1) الأسماء والصفات للبيهقي، باب ما جاء في إثبات صفة العلم، حديث رقم 223، 298/1 بنحوه.

(2) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ت 463 هـ، تحقيق: د. محمود الطحان، ط مكتبة المعارف– الرياض، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، باب الاستخارة في السفر، حديث رقم 1715، 236/2 بنحوه.

(3) مسند أبي يعلى، مسند جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم 2086، 67/4 بنحوه.

(4) الدعاء، للطبراني، باب الاستخارة، حديث رقم 1301، 388/1 بنحوه.

(5) مسند أبي يعلى، مسند أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم 1342، 497/2. وأُخْرِج بنحوه في كل من: صحيح ابن حبان، باب الأدعية، حديث رقم 885، 167/3، وحديث رقم 886، 168/3. والدعاء، للطبراني، باب الاستخارة، حديث رقم 1304، 389/1. وشعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، ت 458 هـ، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ط مكتبة الرشد– الرياض، ط الأولى 1423 هـ، باب القدر خيره وشره من الله ﷻ، حديث رقم 202، 381/1.

(6) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت 807 هـ، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط مكتبة القدسي– القاهرة، بدون رقم الطبعة 1414 هـ، أبواب العيدين، باب الاستخارة، حديث رقم 3676، 281/2.

(7) انظر: تقريب التهذيب، ترجمة رقم 5304، 439/1.

عنه جمع من الثقات ترتفع بهم الجهالة عنه، وبهذا يكون حسن الحديث ما لم يخالَف؛ وإنه قد زاد في آخر هذا الحديث الحوقلة مخالفاً في ذلك كل أحاديث الاستخارة؛ وقد أخرجه ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً نحوه دون هذه الزيادة[1]، وكل الروايات الأخرى لحديث الاستخارة هي بمثابة شواهد لحديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي في صحيح البخاري، فتدعمه وتشهد لثبوته، في الوقت الذي تشهد فيه لنكارة هذه الزيادة في حديث أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذا.[2]

ثالثاً: رواية الصحابي أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

۞ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَمْرًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا خَيْرًا لِي فِي دِينِي، وَخَيْرًا لِي فِي مَعِيشَتِي، وَخَيْرًا لِي فِي عَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاقْدُرْهُ لِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ خَيْرًا لِي، فَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ مَا كَانَ، وَرَضِّنِي بِقَدَرِكَ)[3].

---

(1) صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الأدعية، حديث رقم 885، 167/3، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وقال الإمام الألباني: منكر. انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، للأمير أبي الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي، ت 739 هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط دار باوزير– السعودية، ط الأولى 1424 هـ، حديث رقم 882، 243/2. وأخرج ابن حبان حديثاً آخر في كتاب الرقائق، باب الأدعية، حديث رقم 886، 168/3، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وقال الإمام الألباني: حسن صحيح. انظر: التعليقات الحسان، حديث رقم 883، 244/2.

(2) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف– الرياض، ط الأولى 1412 هـ، حديث رقم 2305، 330/5–332.

(3) صحيح ابن حبان، حديث رقم 886، 168/3، قال الإمام الألباني: حسن صحيح. انظر: التعليقات الحسان، حديث رقم 883، 244/2. وأُخْرِج الحديث بنحوه في كل من: التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة البخاري، أبي عبد الله، ت 256 هـ، ط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، حديث رقم 2727، 257/4. والدعاء، للطبراني، باب الاستخارة، حديث رقم 1306، 389/1. وسبعة مجالس من أمالي أبي طاهر المخلّص، لمحمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي المخَلِّص، ت 393 هـ، ط دار البشائر الإسلامية– بيروت، ط الأولى 1425 هـ، المجلس الأول، حديث رقم 6، 50/1.

رابعاً: رواية الصحابيين عبد الله بن عمر[1] وابن عباس رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا:

۞ عن عبد الله بن عمر رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: عَلَّمَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الِاسْتِخَارَةَ، فَقَالَ: (يَقُولُ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، فَإِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا يُسَمِّي الْأَمْرَ بِاسْمِهِ، خَيْرًا لِي فِي دِينِي وَفِي مَعِيشَتِي، وَخَيْرًا لِي فِي عَاقِبَةِ أَمْرِي، وَخَيْرًا لِي فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، فَاقْدُرْهُ لِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ خَيْرًا لِي، فَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ وَرَضِّنِي بِهِ)[2].

وهذا حديث صحيح؛ لأن فيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا، وهو من الطبقة الوسطى من التابعين، وثّقه ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ في التقريب[3]، وقال عنه الذهبي رَحِمَهُٱللَّهُ: الفقيه[4]، وذكره ابن حبان رَحِمَهُٱللَّهُ في الثقات[5]، وقد روى عن عبد الله بن عمر رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي ﷺ، وأخرج الطبراني رَحِمَهُٱللَّهُ لعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا رواية أخرى فيها ذكر

---

(1) عبد الله رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ: هو ابن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن، أسلم مع أبيه وهو لم يبلغ الحلم، وهاجر قبله، وأول مشاهده الخندق. كان من أهل الورع والعلم، كثير الإتباع لآثار رَسُول الله ﷺ شديد التحري والاحتياط والتوقي فِي فتواه. كان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله ﷺ، ثم كان بعد موته مولعاً بالحج إلى أن مات، وكان ممن سكت في الفتنة زمن علي رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ حتى قال جابر رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ: ما منا أحد إلا مالت به الدنيا، ومال بها، ما خلا عمر وابنه عبد الله رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا. قبض رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ بمكة سنة ثلاث وسبعين. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 1612، 950/3. وأسد الغابة، ترجمة رقم 3082، 336/3.

(2) المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، ت 360 هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط دار الحرمين– القاهرة، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، حديث رقم 935، 287/1. وأخرج بنحوه في كل من: مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، ت 360 هـ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، ط الأولى 1405 هـ، حديث رقم 64، 61/1. وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد ابن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، 430 هـ، ط دار السعادة– مصر، بدون رقم الطبعة 1394 هـ، 248/5–249.

(3) انظر: تقريب التهذيب، ترجمة رقم 5489، 451/1.

(4) انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ترجمة رقم 210، 138/3.

(5) انظر: الثقات، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي، ت 354 هـ، ط دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن– الهند، ط الأولى 1393 هـ، ترجمة رقم 4951، 302/5.

الحديث إلى قوله ﷺ:(وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)، ثم زيادة غير موجودة في كل طرق حديث الاستخارة وهي قوله:(اللَّهُمَّ مَا قَضَيْتَ عَلَيَّ مِنْ قَضَاءٍ فَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ إِلَى خَيْرٍ)[1]، وهذه الرواية جاءت من طريق عبد الله بن هانئ بن أبي عبلة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"رواه الطبراني في الكبير وفيه عبدالله بن أبي عبلة، وقد ذكره ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الثقات[2]، وهو متهم"[3]. وقال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"قدمت الرملة، فذكر لي أن في بعض القرى هذا الشيخ وسألت عنه، فقيل: هو شيخ يكذب، فلم أخرج إليه، ولم أسمع منه"[4]، وعبد الله هذا يروي عن أبيه هانئ الذي قال فيه ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"هانئ ابن عبد الرحمن بن أبي عبلة عن عمه إبراهيم وعنه ابنه عبد الله ابن هانئ ربما أغرب".[5]

خامساً: رواية الصحابي عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

۞ عَنْ عبد اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فِي الِاسْتِخَارَةِ:(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ...)[6]، قال: الحديث.

وقع في روايات ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ زيادات لم ترد في طرق الاستخارة الأخرى، فوقعت زيادة لفظة (يَا رَحْمَانُ)[7] في آخر روايته حيث لم ترد من أي طريق أخرى، لكن رواتها ثقات كلهم،

---

(1) مسند الشاميين، حديث رقم 64، 61/1. والمعجم الكبير، حديث رقم 11477، 196/11. والدعاء، للطبراني، باب الاستخارة، حديث رقم 1305، 389/1.

(2) الثقات، ترجمة رقم 13854، 357/8.

(3) مجمع الزوائد، أبواب العيدين، باب الاستخارة، حديث رقم 3676، 281/2.

(4) الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، ت 327 هـ، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن- الهند، ودار إحياء التراث العربي- بيروت، ط الأولى 1271 هـ، ترجمة رقم 901، 194/5.

(5) لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، تحقيق: دائرة المعارف النظامية- الهند، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت- لبنان، ط الثانية 1390 هـ، ترجمة رقم 663، 186/6.

(6) تاريخ أصبهان، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ت 430 هـ، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1410 هـ، 307/2،

(7) الجامع، لمعمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبي عروة البصري، نزيل اليمن، ت 153 هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط المجلس العلمي- باكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي- ببيروت، ط الثانية 1403 هـ، باب الاستخارة، حديث رقم 20210، 164/11.

وجاءت رواية أخرى في مسند البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ بزيادة (وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ، فَإِنَّهُمَا بِيَدِكَ لَا يَمْلِكُهُمَا أَحَدٌ سِوَاكَ)[1]، وقال البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"وهذا الحديث لا نعلم رواه أحد من حديث الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله إلا صالح بن موسى، ولم نسمعه إلا من إبراهيم بن سعيد، وصالح فليس بالقوي".[2]

سادساً: رواية الصحابي أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

✿ عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ:(اُكْتُمِ الْخِطْبَةَ، ثُمَّ تَوَضَّأْ فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ، ثُمَّ صَلِّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ، ثُمَّ احْمَدْ رَبَّكَ وَمَجِّدْهُ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، فَإِنْ رَأَيْتَ لِي فُلَانَةَ تُسَمِّيهَا بِاسْمِهَا خَيْرًا لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي، فَاقْدُرْهَا لِي، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهَا خَيْرًا لِي مِنْهَا فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَآخِرَتِي، فَاقْضِ لِي بِهَا ،أَوْ قَالَ: فَاقْدُرْهَا لِي)[3].

وهذا الحديث جاء من طريق أخرى بمثله في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4]، وعلق الهيثمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الرواية بأن رجالها ثقات كلهم، وذكر رواية أخرى موقوفة، وذكر لها إسناداً آخر رجاله ثقات[5]. لكن نص هذا الحديث لم يأت فيه لفظ الاستخارة المعهودة في الأحاديث

---

(1) مسند البزّار، مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم 1528، 334/4، وحديث رقم 1835-1836، 227/5 بنحوه. وأخرج بنحوه في كل من: مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم 1301، 388/1. والمسند للشاشي، حديث رقم 359، 368/1. المعجم الصغير، حديث رقم 524، 316/1. المعجم الكبير، حديث رقم 10012، 78/10، وحديث رقم 10052، 91/10. والدعاء، للطبراني، حديث رقم 1301 و1302، 388/1. والأسماء والصفات، حديث رقم 224 و 225 و 226 و 241، 300/1-315.

(2) مسند البزّار، مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم 1528، 334/4.

(3) المستدرك، كتاب الوتر، باب فأما حديث عبد الله بن فروخ فإن لفظه عجب، حديث رقم 1181، 458/1، وقال الحاكم: ورواته عن آخرهم ثِقَاتٌ، ولم يُخَرِّجَاهُ، وقال الإمام الألباني: ضعيف. انظر: السلسلة الضعيفة، حديث رقم 2875، 409/6.

(4) مسند الإمام أحمد، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم 23596، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف. والمعجم الكبير، حديث رقم 3901، 133/4.

(5) انظر: مجمع الزوائد، أبواب العيدين، باب الاستخارة، حديث رقم 3671-3672، 280/2.

السابقة؛ ولكنه اشتمل على أغلب ألفاظ دعائها الوارد في الحديث الصحيح من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ويتبين مما سبق أن الأحاديث الواردة في صلاة الاستخارة وفي دعائها متضافرة متكاثرة، ولقد حاول الباحث قدر جهده أن يجمع شتاتها من كتب المتون ما أمكنه ذلك، واكتفى بأن يثبت الحديث من الصحيح ابتداء ثم يتبعه بما علق عليه المحدثون، ولم يتوسع في الحكم على باقي الأحاديث لرؤيته أن في الصحيح ما يغني عن الحكم على بقية الأحاديث الواردة كمتابعات وشواهد.

المطلب الثاني

شرح حديث الاستخارة

أولاً: نص الحديث:

عَنْ جابر بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: (إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ)(1).

ثانياً: شرح الحديث:

مما لا شك فيه أن معرفة معاني هذا الدعاء العظيم له أكبر الأثر في حضور القلب، فيكون عندئذ خارجاً من نفس مطمئنة موقنة بالإجابة فعن أبي هريرةرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ)(2)، فيجب على المسلم أن يعي ما يصدر منه حال الدعاء ليترتب على ذلك الأثر الذي يرغب حصوله، وفي الآتي شرح مفصل لمفردات الحديث، من حيث اللغة وتوجيه المعاني بما يتناسب ومقصوده ﷺ من صلاة الاستخارة، حتى يستقيم الفهم لمعاني هذا الحديث العظيم.

- قول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا)، أي؛ صلاتها، وهذا من تمام شفقته ﷺ على أمته، وحرصه على حصول الخير لهم، ودفع كل شر عنهم، وبمثل

---

(1) سبق تخريجه، راجع ص: ر.

(2) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، حديث رقم 3479، 394/5، قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث مستقيم الإسناد، ولم يخرّجاه (المستدرك، كتاب الدعاء، باب حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم 1817، 670/1)، وقال الإمام الألباني: حسن انظر: صحيح سنن الترمذي، حديث رقم 3479، 434/3.

هذا يعلم أنه ﷺ ما كان ليترك باب ما يعتقدونه في ربهم من الإيمان بأسمائه وصفاته ﷻ، وما يجب له، وما يمتنع عليه، ما كان ليترك ذلك بدون إيضاح وبيان لئلا يحصل معه التباس أو اشتباه، وهذا واضح جلي من دعوته ﷺ ومن حاله، وهو موجب الرسالة، ومن حالة أصحابه أيضاً.[1]

والاستخارة هي طلب تَيَسُّرِ الخير في الأمرين من الفعل أو الترك، من الخير وهو ضِدُّ الشر في الأمور التي نريد الإقدام عليها مباحة كانت أو عبادة[2]. وقَالَ ابن أَبِي جَمْرَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: قول جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:(فِي الأُمُورِ كُلِّهَا) هو عام أريد به الخصوص فإن الواجب والمستحب لا يستخار في فعلهما، والحرام والمكروه لا يستخار في تركهما؛ فانحصر الأمر في المباح وفي المستحب إذا تعارض منه أمران، أيهما يبدأ به ويقتصر عليه؟"[4]. وقيل: إن الأمور التي يستخار فيها على ثلاثة أقسام:[5]

---

(1) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، لعبد الله بن محمد الغنيمان، ط مكتبة الدار– المدينة المنورة، ط الأولى 1405 هـ، 205/1.

(2) عون المعبود، 277/4. وكشف المشكل من حديث الصحيحين، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي، ت 597 هـ، تحقيق: علي حسين البواب، ط دار الوطن– الرياض، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 51/3.

(3) ابن أبي جمرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مُوْسَى بنِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ وَلِيدِ بنِ أَبِي جَمْرَةَ الأُمَوِيُّ، مَوْلاَهُم الأَنْدَلُسِيُّ، سَمِعَ الكَثِيْرَ مِنْ وَالِدِهِ، عنِيَ بالرَأْيِ وَحفظهُ، وَوَلِيَ خُطَّةَ الشُّوْرَى –وهي منصب مفتي المدينة الكبيرة، والذي يختاره السلطان أو القاضي أو جمهور الناس، انظر: تكملة المعاجم العربية، لرينهارت بيتر آن دُوزِي، ت 1300 هـ، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، ط وزارة الثقافة والإعلام– الجمهورية العراقية، ط الأولى من 1979– 2000 م، 376/6.– وَهُوَ ابن نَيِّفٍ وعشرين سنة، وَذَلِكَ فِي سنة تِسْعٍ وَثَلاَثِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ، وَكَانَ بَصِيْراً بِمَذْهَبِ مَالِكٍ، وَعَاكفاً عَلَى نشرِهِ، فَصِيْحاً، حَسَنَ البيَانِ، عدلاً، جزلاً، عرِيقاً فِي النَّبَاهَةِ وَالوجَاهَةِ، وله تصانيف كثيرة منها، نَتَائِج الأَفكَارِ فِي معَانِي الآثَارِ، وإِقليدُ الإِقلِيدِ المُؤدِّي إِلَى النَّظَرِ السَّدِيْدِ، ومَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ، عَنْ نَيِّفٍ وَثَمَانِيْنَ سَنَةً. انظر: سير أعلام النبلاء، 398/21–399.

(4) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، شرح مختصر صحيح البخاري (جمع النهاية في بدء الخير والغاية)، للإمام المحدث الورع أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي، ت 699 هـ، ط مطبعة الصدق الخيرية– القاهرة، ط الأولى 1348 هـ، 87/2. وفتح الباري، 184/11.

(5) انظر: غاية الأماني في الرد على النبهاني، ت 1350 هـ (رداً على كتابه شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق)، لأبي المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، ت 1342 هـ، تحقيق: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي، ط مكتبة الرشد– الرياض، ط الأولى 1422 هـ، 444/1.

القسم الأول: ما يعلم كونه خيراً قطعاً؛ كالواجب المضيّق.[1]

القسم الثاني: ما يعلم كونه شراً قطعاً؛ كالمحرّم المجمع على تحريمه.

القسم الثالث: ما لا يعلم على القطع خيريته ولا شريته في وقت مخصوص؛ كالواجب الموسع[2] والمندوب[3]، والمباحات كلها، ولما كان معنى الاستخارة طلب خير الأمرين من الفعل في وقت معين أو تركه فيه؛ لم يكن القسمان الأولان محلين لها، إذ أولهما خير قطعاً فلا رخصة في تركه، وثانيهما شر قطعاً فلا رخصة في فعله، فليس محلاً لها إلا القسم الثالث.

والصحيح أن الاستخارة أوسع من أن تنحصر في المباحات والمستحبات كما يعتقد بعض الناس، بل الأولى أن تكون الاستخارة لمعظّمات الأمور؛ كالواجبات، وأما المستحبات والمباحات فبعد ذلك، والاستخارة فيما يتعلق بالواجباب لا من حيث أصل وجوبها، بل في زمن إيقاعها وكيفيتها على الوجه الأكمل كما يرضى الله ﷻ؛ كالحج مثلاً في هذه السنة لاحتمال عدو أو فتنة أو اختيار الرفقة في السفر أو غير ذلك؛ ولهذا عقب ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شرح ابن أبي جمرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن الاستخارة تدخل فيما عدا ذلك؛ في الواجب والمستحب المخير، وفيما كان زمنه موسعاً، وتتناول العموم العظيم من الأمور والحقير؛ فرب حقير يترتب عليه الأمر العظيم.[4]

والاستخارة تكون في كل شيء من الخير يبادر فيه، وإن كان ظاهر الخيرية، ودليله حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لما ذكرها النبي ﷺ للزواج، فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْدٍ: فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ، قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي، حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(1) الواجب المُضَيَّق: هو ما ألزم الشارع المكلف بفعله في وقت مساوٍ لوقت أدائه بلا زيادة ولا نقصان، كصيام يوم من رمضان، فالشارع ألزم المكلف الذي لا عذر له صيام ذلك اليوم، واليوم يبدأ من الفجر الصادق إلى غروب الشمس، وهذا الوقت الذي بينهما له لوحده لا يتسع لفعل شيء آخر معه، ولا يصح فعله قبل دخول وقته، وإذا فعله بعد خروج وقته يكون فعله هذا قضاء، ولا يمكن أن يقع معه في وقته غيرُه من جنسه. انظر: الْمُهَذَّبُ في علم أصول الفقه الْمُقَارَنِ، لعبد الكريم بن علي بن محمد النملة، ط مكتبة الرشد- الرياض، ط 1420 هـ، 159/1.

(2) الواجب الموسَّع: هو الفعل الذي طلب الشارع من المكلف إيقاعه وأداءه طلباً جازماً في وقت يسعه ويسع غيره من جنسه، كالصلوات الخمس؛ فصلاة الظهر مثلاً واجب موسَّع؛ حيث إنه يجوز أن يصليها المكلف في أول الوقت، أو في وسطه، أو في آخره. انظر: الْمُهَذَّبُ، 160/1.

(3) المندوب: المطلوب فعله شرعاً من غير ذم على تركه مطلقاً. انظر: الْمُهَذَّبُ، 234/1.

(4) انظر: فتح الباري، 184/11. وعون المعبود، 277/4. والمدخل، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، ت 737 هـ، ط دار التراث، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 213/4.

ذكرها، فولّيتها ظهري، ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب: أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ، فدخل عليها بغير إذن، ....)[1]، ولا شك أن زواجها من النبي ﷺ بيِّن الخير على التأكيد، ولعلها قدمت الاستخارة لخوفها من التقصير في حقه ﷺ.[2]

- وقوله:(كما يعلمنا السورة من القرآن)، دليل على الاهتمام بأمر الاستخارة، وأنه متأكد مرغّب فيه، وهذا من مناقب الإسلام الظاهرة التي خالف فيها أهل الجاهلية؛ فقد كان العرب قبل ذلك إذا هم أحدهم بأمر هُرع يستقسم بالأزلام، أو تطير، أو أتى كاهناً أو عرافاً، وكله من رجم الغيب، فعوّض الله ﷻ عباده بهذه الصلاة[3]، وقال بعض أهل العلم بوجوب صلاة الاستخارة اسْتِدْلَالا بتشبيه ذَلِك بتعليم السُّورَة من الْقُرْآن كَمَا اسْتدلَّ بَعضهم على وجوب التَّشَهُّد فِي الصَّلَاة بقول ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:(كان رسول الله يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن)[4]، والصحيح أن التشهد جزء من الصلاة التي أمرنا بها فقد روى مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[5] أن النبي ﷺ قال:(.. وصلوا كما رأيتموني أصلي..)[6]، وأما صلاة الاستخارة فلا تتفق والتشهدَ في الوجوب لدلالة الأحاديث الصحيحة في انحصار الصلوات في الخمس المفروضة؛ وهذا بيِّن في قوله ﷺ للرجل النَّجدي الذي أتاه يسأله عن الإسلام حيث قال له:(خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: هل علي غيرها ؟ قال: لا، إلا أن تطوع. قال رسول الله ﷺ: وصيام رمضان. قال: هل علي غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع. قال: وذكر له رسول الله ﷺ

---

(1) سبق تخريجه، راجع ص: 49.

(2) انظر: المنهاج، 228/9.

(3) انظر: شرح كتاب التوحيد، 205/1.

(4) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، حديث رقم 403، 189/1.

(5) مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو ابْن أشيم اللَّيْثِيّ. يختلفون فِي نسبته إِلَى لَيْث، ولم يختلفوا أَنَّهُ ليثي من بني لَيْث ابْن بَكْر بْن عبد مناة، يكنى أَبَا سُلَيْمَان. ويقال مَالِك بْن الْحَارِث. وقال شُعْبَة: مَالِك بْن حويرثة، والأول هُوَ الصحيح. سكن البصرة، ومات بها سنة أربع وتسعين. روى عَنْهُ أَبُو قلابة، وَأَبُو عطية، وسلمة الجرمي، وابنه عَبْداللَّهِ. انظر الاستيعاب، ترجمة رقم 2261، 1349/3. وأسد الغابة، ترجمة رقم 4586، 18/5.

(6) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر، حديث رقم 631، 128/1.

الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا ؟ قَالَ: لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ. قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ)[1].[2]

ويحتمل أن يكون التشبيه لعموم الحاجة في الأمور كلها إلى الاستخارة كعموم الحاجة إلى القراءة في الصلاة[3]، أو أن يكون التشبيه في تحفظ حروفها وترتب كلماتها ومنع الزيادة والنقص منها، وألا يبدل منها شيء بشيء كما هو القرآن يقرأ بالفاء والواو؛ لأن العلماء لم يختلفوا أن القرآن لا ينقل ولا يتلى إلا على وضعه بالفاء والواو، وممكن أن يكون من جهة الاهتمام بها والتحقق لبركتها والاحترام لها، أو من جهة كون كل منهما علم بالوحي[4]، والذي يظهر أنه لا تعارض بين كل ما تقدم، فلا غرابة أن يكون التشبيه يشمل جميع ما قد سبق وأكثر من ذلك.

- وقوله ﷺ:(إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ)، هل هي على وضعها عند أهل الخواطر، أو جاء بها النبي ﷺ من باب التوسعة في المخاطبة قاصداً بها النية، وفي الآتي تبيين أقسام ما يرد على القلب؛ لأنها على مراتب، ثم تعيين ما المقصود منها في الحديث، وهذه المراتب بالترتيب التالي:

1. الهَمَّة.
2. اللَّمة.
3. الخَطْرَة.
4. النِّيَّة.
5. الإرادة.
6. العزيمة.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، حديث رقم 46، 18/1.
(2) انظر: فتح الباري، 184/11. وعمدة القاري، 223/7. ونيل الأوطار، 88/3.
(3) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ت 449 هـ، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، ط مكتبة الرشد– الرياض، ط الثانية 1423 هـ، 123/10. وفتح الباري، 184/11.
(4) انظر: بهجة النفوس، 87/2.

والمراتب الثلاثة الأولى فغير مأخوذ بها، وأما الثلاثة الأخيرة فمأخوذ بها، وبعضها أشد من بعض[1]، وعند النظر إلى مقصود النبي ﷺ بعد معرفة تلك المراتب يمكن القول: إن الهَّم الذي قصده يحتمل أن يكون عند ورود الأمر على القلب مباشرة في بداياته الأولى؛ فيكون العبد قد أظهر عبوديته لربه ﷻ لمَّا أسند أمره إليه ابتداء، سائلاً إياه التوفيق والسداد فيما عنَّ لباله، ومن جهة أخرى أن هذا الوارد على قلبه لم يتمكن بعد، ولم تتعلق به النفس ولم تمل إليه ليصير له فيه نية وإرادة؛ فلا يظهر له الوجه الأرشد لميله للذي عزم عليه.

واحتمل أن يكون المراد بالهَمّ النية؛ ويكون وجه الفقه فيه أن النفس لا تخلو من الخطرات، وأكثرها لا تثبت ولا تستمر ولا يترتب عليها عمل، فلا يستخير إلا على شيء ينويه ويعزم عليه؛ لئلا يستخير في أمر لا يعبأ به فتضيع عليه أوقاته، كذلك كما لو أن سائلاً سأل وهو لا يعبأ بالسؤال، أو لم يعبأ بالإجابة عليه لعده الناس من سوء الأدب.[2]

ولذلك قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]:"(إِذَا هَمَّ) أي؛ إذا قصد"[4] الجائز فعلاً أو تركاً، وعلى هذا الوجه الأخير يظهر جلياً أن المراد بالهم هو حضور النية والإرادة والعزيمة، وهذا يُناسِبُ قولَه:(كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ)، فلا شك أن القرآن الكريم يُطْلَبُ فيه حضور القلب مصداقاً لما رواه جُنْدُب بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[5] أن النبي ﷺ قال:(اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا

---

(1) انظر: فتح الباري، 185/11. وبهجة النفوس، 88/2. وعون المعبود، 278/4.

(2) انظر: بهجة النفوس، 88/2.

(3) العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته). أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، ثم عكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي، وله تصانيف كثيرة منها؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، وشرح الشواهد، وشرح معاني الآثار وغيرها، وتوفي بالقاهرة سنة خمس وخمسين وثمانمائة. انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لعبد الرحمن ابن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت 911 هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط الأولى 1387 هـ، ترجمة رقم 53، 473/1. وسير أعلام النبلاء، 163/7.

(4) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العينتابي الحنفي، بدر الدين العيني، ت 855 هـ، ط دار إحياء التراث العربي– بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 223/7.

(5) جُنْدُب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هو ابن عَبْد الله بن سفيان البجلي العَلَقِيِّ، وعَلَقَةُ: بطن من بجيلة، يكنى أبا عَبْد الله، كان بالكوفة ثم صار إلى البصرة. ويقال عنه: جُنْدُبُ بنُ سُفْيَان، يَنْسِبُونَه إلى جده. ويقال عنه: جُنْدُبُ بن عَبْد الله، وهو جُنْدُبُ ابنُ عَبْدِ الله بن سُفْيَان، وله رواية عن أبيّ بن كعب وحذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقبض بعد الستين للهجرة. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 340، 256/1. وأسد الغابة، ترجمة رقم 6573، 401/6.

ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ)[1]، ومعنى قوله:(مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ) "أي؛ ما دمتم نشطين وقلوبكم حاضرة وخواطركم مجتمعة، وقوله:(فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ)؛ أي إذا اضطرب فهمكم لمعانيه بسبب الملل فاتركوا القراءة حتى يذهب عنكم ما أنتم فيه"[2].

❖ وقوله ﷺ:(فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ)، "أي؛ فليصلِّ ركعتين، وهو ذكر الجزء وإرادة الكل؛ لأن الركوع جزء من أجزاء الصلاة"[3]، وقوله ﷺ:(مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ)، فقد أجاز النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حصول صلاة الاستخارة بركعتين من السنن الرواتب، وتحية المسجد وغيرها من النوافل[4]، وهذا الأمر فيه نظر؛ فقوله ﷺ:(مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ)، فيه لحتراز عن صلاة الصبح مثلاً، ويحتمل أن يريد بالفريضة عينها وما يتعلق بها؛ فيحترز عن الراتبة كركعتي الفجر أيضاً؛ فالسنن تابعة للفرائض، وإذا استثنيت الفرائض تستثنى السنن معها، فيكون المراد عندئذ ركعتين من النافلة المحضة؛ وهذا هو الأولى؛ لأنه يتفق مع الحض على صلاة الاستخارة وحضور القلب عندها، وتهيئة النفس لها بصلاة مخصوصة لا تداخلها فيها غيرها من الصلوات؛ ولأن قوله ﷺ:(فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ) يدل على أنه لا سبب لهاتين الركعتين سوى الاستخارة وهذا الاحتمال قائم[5]؛ وهو وجه الدلالة أيضاً في اشتراط الصلاة عند الاستخارة مخالفة للأدعية الكثيرة التي تنفرد دون صلاة، وهذا يدل على أن صلاة الاستخارة تحتاج من العبد أن يجمع بين صلاح الدين والدنيا والآخرة؛ فهو يسعى إلى صلاح أمره بقرع باب الملك ﷻ بدخوله في الصلاة، ثم تلاوته لآي الذكر الحكيم، وما في ذلك من التعظيم لله ﷻ والثناء عليه بما هو أهل له، وفيه من الحكمة أن الأشياء تطلب بواسطة؛ لذلك:(كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى)[6][7]، وصلاة الاستخارة مما يشرع أداؤها في أوقات النهي؛ لأنها مقرونة بسبب كتحية المسجد وسجود التلاوة وصلاة

---

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، بَابُ اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، حديث رقم 5060، 198/6.

(2) حاشية المصدر السابق، تعليق مصطفى البُغَا على حديث رقم 5060، 198/6.

(3) عمدة القاري، 223/7.

(4) انظر: الأذكار، 230/1. وفتح الباري، 185/11. وشرح سنن أبي داود، 450/5.

(5) انظر: فتاوى أركان الإسلام، لمحمد بن صالح العثيمين، ت 1421 هـ، تحقيق: فهد السليمان، ط دار الثريا- الرياض، ط الأولى 1422 هـ، 362/1-363.

(6) سبق تخريجه، راجع ص: 38.

(7) انظر: بهجة النفوس، 88/2.

الكسوف[1]، وإن قيل: إنه قد نهى النبي ﷺ عن الصلاة في أوقات النهي لما رواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: (إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُزَ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ، وَلَا تَحَيَّنُوا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، أَوِ الشَّيْطَانِ)[2]، قيل: عِلَّةُ الكراهة عند طلوع الشمس وغروبها واستوائها وجود قرن الشيطان معها؛ وهو موجود سواء كانت الصلاة لها سبب أو لا، فَعِلَّة الكراهة موجودة مطلقاً. ولكن النبي ﷺ ما نهى عن الصلاة إلا لموافقة من يعبد الشمس، فإذا كان لها سبب أحيلت على سببها فخرجت عن الكراهة، وإذا لم يكن لها سبب أحيلت على الوقت فكرهت.[3]

- وقوله ﷺ: (ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ)، وهنا انتقال من حال الصلاة إلى حال الدعاء، واختلف في وقت إيقاع الدعاء، هل هو عقب الصلاة قبيل السلام أم بعده، فقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:"يَجُوزُ الدُّعَاءُ فِي صَلَاةِ الِاسْتِخَارَةِ وَغَيْرِهَا: قَبْلَ السَّلَامِ وَبَعْدَهُ، وَالدُّعَاءُ قَبْلَ السَّلَامِ أَفْضَلُ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَكْثَرُ دُعَائِهِ قَبْلَ السَّلَامِ، وَالْمُصَلِّي قَبْلَ السَّلَامِ لَمْ يَنْصَرِفْ، فَهَذَا أَحْسَنُ"[4]، وقيل: الأفضل أن تكون بعد السلام موافقة لظاهر النص، فإن (ثُمَّ) تفيد الترتيب مع التراخي وهو الأظهر؛ لأن النبي ﷺ لو أراد موضع الدعاء عقب التشهد وقبيل السلام لما أعجزه البيان وقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ﷺ قد قال: (إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)[5]، فقد بين ﷺ موطن هذا الدعاء، ولكن المستخير يقدم صلاة ركعتين مخصوصتين؛ لأجل هذا الدعاء، فلا يعد منصرفاً عنه لو سلم منهما، بل إن من الحكمة أن يقرع باب الملك ﷻ بالصلاة وتلاوة القرآن والثناء عليه، ثم يشرع في دعائه بعد فراغه من صلاته، ولا يضره تأخير الدعاء عن الصلاة ما لم يطل الفصل.[6]

---

(1) مجموع الفتاوى، 189/26.

(2) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم 3272–3273، 122/4.

(3) انظر: تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البُجَيْرَمِيّ على الخطيب)، لسليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي، ت 1221 هـ، ط دار الفكر– بيروت، بدون رقم الطبعة 1415 هـ، 116/2.

(4) مجموع الفتاوى، 177/23.

(5) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، حديث رقم 588، 265/1.

(6) انظر: فتح الباري، 186/11. وعمدة القاري، 224/7.

ثم قوله ﷺ:(اللَّهُمَّ)، فقد اختلف البصريون والكوفيون في الميم منها، هل هي عوض من حرف النداء أم لا؟، والصحيح أنها عوض، "لأن العرب إذا أدخلوا الميم حذفوا "يا"، فيستفاد من قولك "اللهم" ما يستفاد من قولك "يا الله" وهذا دليل على أن الميم عِوَضٌ من "يا"؛ لأن العِوَضَ ما قام مقام المُعَوَّضِ".[(1)]

وقوله ﷺ:(إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ)، فالاستخارة على معانٍ عدة؛ فهي تتضمن الاستعطاف والتفضيل والتفويض والصرف عن الشيء، والمعنى: إني أسألك بتفويض خالص أن تختار لي الخير الأحسن عاقبة كما أُفَضّل، وتصرف عني السوء الذي قدرته.[(2)] وقوله ﷺ:(بِعِلْمِكَ)، فالباء للتعليل؛ أي لأنك أعلم بما هو خير في العاقبة، أو أن الباء للاستعانة مثل قوله ﷻ:﴿ ۞وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾[هود: 41]، أو أنها للاستعطاف كقوله ﷻ حكاية عن نبيه موسى ﵇: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[القصص: 17]، وكل هذه الاحتمالات وثيقة الصلة، فالاستخارة فيها سؤال الله ﷻ؛ لأنه العليم بكل شيء، وفيها الاستعانة به؛ لأنه القادر ونحن الضعفاء، وفيها الدعاء بتذلل وخشوع واستعطاف.[(3)] وأما سؤاله بعلمه ففيه إثبات لصفة العلم التي دل عليها اسمه العليم ﷻ.

وقوله ﷺ:(وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ)، قال الكَرْمَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(4)]:"أي؛ أطلب منك أن تجعل لي قدرة عليه"[(5)]، أو أن تقدره لي كما شئت، والباء في (بِقُدْرَتِكَ) تحتمل ما احتملت سابقتها. وسؤاله

(1) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، البصريين والكوفيين، لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبي البركات، كمال الدين الأنباري، ت 577 هـ، ط المكتبة العصرية– بيروت، ط الأولى 1424 هـ، 281/1.

(2) انظر: تهذيب اللغة، 223/7. ومقاييس اللغة، 232/2. وتاج العروس، 234/11. والجراثيم، 310/2. والقاموس المحيط، 389/1.

(3) انظر: فتح الباري، 186/11.

(4) الكَرْمَاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، عالم بالحديث، ولد بكرمان في عام 717 هـ، واشتهر في بغداد، وتصدى لنشر العلم فيها ثلاثين سنة، وأقام مدة بمكة، وفيها فرغ من تأليف كتابه (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري)، وقال ابن قاضي شهبة: فيه أوهام وتكرار كثير ولاسيما في ضبط أسماء الرواة، ومات راجعاً من الحج في طريقه إلى بغداد سنة 786 هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية– حيدر أباد، الهند، ط الثانية 1392 هـ، ترجمة رقم 2183، 66/6.

(5) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، ت 717 هـ، ط دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط الثانية 1401 هـ، 210/6، 169/22، 110/25.

ﷻ بقدرته يتضمن إثبات القدرة الأزلية له سبحانه التي دل عليها اسمه القادر. وقوله ﷺ:(وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ)، ففيها الثناء على الله ﷻ بما هو أهل له؛ إذ أن كل عطائه فَضْلٌ ليس لأحد عليه حَقٌّ في نعمة، وكل مَا يهب فَهُوَ منه زِيَادَة مُبتَدأَة لم يقابلها منا عوض فِيمَا مضى، وَلَا يقابلها فِيمَا يسْتَقْبل، فَإِن وَفَّق للشكر وَالْحَمْد فَهُوَ نِعْمَة مِنْهُ وَفضل يفْتَقر إِلَى حمد وشكر عليهما، وَهَكَذَا إِلَى غير نِهَايَة، خلاف مَا تعتقده المبتدعة[1] الَّتِي تَقول: إِنَّه واجب على الله ﷻ أَن يبتدئ العبد بالنعمة[2]، والحق أنه ليس لأحد أن يوجب على الخالق ﷻ أن يفعل شيئاً مهما يكن؛ ولا يحق لأحد أن يسأل الله ﷻ عن أفعاله أبداً؛ ولذلك قال الله ﷻ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنبياء: 23]، وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية:"قَاصِمَةٌ لِلْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ... والمعنى: لا يسأله الْخَلْقُ عَنْ قَضَائِهِ فِي خَلْقِهِ وَهُوَ يَسْأَلُ الْخَلْقَ عَنْ عَمَلِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَبِيدٌ"[3]، والعظيم اسم من أسمائه الحسنى، وصفة لفضله ﷻ ولجميع صفاته ولذاته الجليلة، وهنا تظهر الحاجة إلى معرفة معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلا حتى يكون المسلم مستحضرا تلك المعاني فيكون ذلك أدعى للاستجابة عند التوسل بها.

- وقوله ﷺ:(فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ)، فيه التبرؤ من الحول والطول والقدرة والعلم، وفيه إذعان بالافتقار إلى الله ﷻ في كل الأمور، والتزام لذلة العبودية، فحال المسلم كأنه يقول: أنت يا رب تقدر قبل أن تخلق فيَّ القدرة وعندما تخلقها فيَّ وبعد ما تخلقها، وهذا رد على المبتدعة الذين يثبتون قدرة للإنسان منفصلة عن قدرة الله ﷻ.[4]

وقوله ﷺ:(وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ)، ففيها زيادة ثناء على الله ﷻ وأنه يعلم الغيب كله لا علم المسألة التي يستخار فيها فقط؛ وعلمه للغيب لا من باب الخرص والموافقة، بل هو علم لا يخالطه

---

(1) المبتدعة: البِدْعة: كلّ مُحْدَثة. وَيُقَال: سِقَاء بَدِيع؛ أَي؛ جَدِيد، والبِدْعُ فِي الشرّ وَالْخَيْر. والمبتدعة؛ هم الَّذِين يَأْتون أمراً على شِبْه لم يكن ابتداُه غيرهم. انظر: تهذيب اللغة، 142/2-143. وهو معنى قَول الله تَعَالَى:[قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ][الأحقاف: 9]، أَي؛ مَا كنتُ أول مَنْ أرسِل؛ فقد أرسِل قبلي رُسُلٌ كثير. ومنه قول النبي ﷺ:(..فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ..)(صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم 867، 385/1).

(2) انظر: عمدة القاري، 224/7. وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبي العباس، شهاب الدين، ت 923 هـ، ط المطبعة الكبرى الأميرية- مصر، ط السابعة 1323 هـ، 332/2.

(3) تفسير القرطبي، 189/14.

(4) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، 123/10. وعمدة القاري، 224/7.

شك. وهذا الثناء على الخالق ﷻ يعكس معنى الافتقار إليه والاضطرار إلى منّه وكرمه؛ وهذا من أنجح الوسائل لنيل المقصود.[1]

- وقوله ﷺ:(اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ-)، فقد أعاد النبي ﷺ النداء بقوله:(اللَّهُمَّ)، لبيان ما فيها من الخير والرغبة إلى الله ﷻ والإلحاح عليه.

وقوله ﷺ:(إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ)، فلا تعني البَدَاءَ[2] على الله ﷻ كما تقول الرَّافِضَة[3]، وإنما استشكل الكَرْمَاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإتيان بها بصيغة الشك هنا، ولا يجوز الشك في كون الله ﷻ عالماً بكل شيء، وأجاب بأن الشك في أن العلم متعلق بالخير أو الشر لا في أصل العلم[4]. وقالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[5]:"معناه اللَّهُمَّ إِنَّكَ تعلم؛ فأوقع الكلامَ موقع الشَّكِّ على معنى

(1) انظر: بهجة النفوس، 89/2.

(2) البَدَاء: هو اسْتِصْواب شَيْءٍ عُلم بعدَ أَنْ لَمْ يُعْلَم، وهذا عَلَى اللَّهِ ﷻ غَيْرُ جَائِزٍ. انظر: النهاية في غريب الحديث، 109/1.

(3) الرافضة: هي إحدى فرق الشيعة التي رفضت إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على إمامة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ باسمه وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد النبي ﷺ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف، وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام في حال التَّقِيَّة أن يقول: أنه ليس بإمام، وأبطلوا جميعاً الاجتهاد في الأحكام، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس، وزعموا أن علياً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان مصيباً في جميع أحواله، وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري، ت 324 هـ، تحقيق: نعيم زرزور، ط المكتبة العصرية- بيروت، ط الأولى 1426 هـ، 33/1-34.

(4) انظر: الكواكب الدراري، 169/22. وفتح الباري، 186/11.

(5) الطِّيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الْحُسَيْن بن مُحَمَّد بن عبد الله الطَّيِّبِيّ الإِمَام الْمَشْهُور صَاحب شرح الْمشكاة وَغَيره، لم يزل يُنْفق فِي وُجُوه الْخيرَات إِلَى أَن كَانَ فِي آخر عمره فَقِيرا، قَالَ: وَكَانَ كَرِيمًا متواضعاً حسن المعتقد شَدِيد الرَّد على الفلاسفة والمبتدعة مظْهرا فضائحهم مَعَ استيلائهم فِي بِلَاد الْمُسلمين حِينَئِذٍ، شَدِيد الْحبّ لله وَرَسُوله، كثير الْحيَاء ملازماً للْجَمَاعَة، آيَة فِي استِخْرَاج الدقائق من الْقُرْآن وَالسّنَن، وشرح الْكَشَّاف شرحاً كَبِيرا وَأجَاب عَمَّا خَالف مَذْهَب السّنة أحسن جَوَاب، وقضى نحبه مُتَوَجها إِلَى الْقبْلَة يَوْم الثُّلَاثَاء ثَالِث عشر من شعْبَان سنة 743 هـ. انظر: الدرر الكامنة، ترجمة رقم 1613، 185/2-186.

التفويض إليه وَالرِّضَا بعِلْمِهِ فِيهِ، وهذا النوع يُسَمِّيهِ أهل البلاغة تَجَاهُلَ العارف، ومزج الشَّكِّ بِالْيَقِينِ؛ يُحْتَمَلُ أَن الشَّكَّ في أنَّ العلم مُتَعَلِّقٌ بالخير أو الشَّرِّ لا في أصل العلم".[1]

وقوله ﷺ:(خَيْرٌ لِي فِي دِينِي)، فنرى أنه قدم أمر الدِّين على ما سواه؛ لأنه قوام حياة الأرواح والأبدان على حد سواء، ولأنه الأهم في جميع الأمور؛ فإنه إذا سَلِمَ الدِّين فالخير حاصِلٌ لا محالة، تَعِبَ صاحبهُ أو لم يتعب، ولذلك قال رسول الله ﷺ:(مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ...)[2]، أما إذا اختل الدِّين فلا خيرَ ولا بقاءَ بعده.

وقوله ﷺ:(وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ-)، فأما العيش فهو الحياة لما وقع في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ (وَمَعَاشِي)[3]، ويحتمل أن المعاش مَا يُعاشُ بِهِ[4]، لما وقع في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:(مَعِيشَتِي)[5]، وقوله:(وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ-)، وفيه شك من الراوي، ولم تختلف الطرق في ذلك، وكل طرق حديث الاستخارة اشتملت على ذكر الدِّين والمعيشة والعاقبة والعاجل والآجل[6]، وإيراد الحديث مشتملاً على لفظ الشك من الراوي دليل على حرص الرواة على التحري عند النقل، وهذا من مناقب علماء المسلمين التي تحسب لهم ويشكرون عليها؛ فجزاهم الله خير الجزاء.

وقوله ﷺ:(فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ)، فقوله:(فَاقْدُرْهُ) وردت بضم الدال وكسرها، أي؛ قدِّره لي من التقدير، والدعاء هنا يتناول ما يستقبل من الزمان، ولا استئناف للمشيئة التي تعني أن الأمر المستخار فيه لم يسبق لله ﷻ فيه قدر ولا علم، وأن الله ﷻ يعلمه بعد وقوعه كما هو البداء[7]، ولكن الصحيح أن كتابة المقادير وقعت جميعها في الأزل، وقد جعل الله ﷻ الخلق مرتكزا على الأسباب، فلا يجوز الامتناع عن الدعاء بدعوى أن الأقدار مكتوبة، وكأن يمتنع عن

---

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ت 1014 هـ، ط دار الفكر – بيروت، ط الأولى 1422 هـ، 986/3.

(2) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، حديث رقم 71، 25/1.

(3) سبق تخريجه، راجع ص: ر.

(4) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت 458 هـ، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1421 هـ، 213/2.

(5) سبق تخريجه، راجع ص: 39.

(6) انظر: إرشاد الساري، 333/2. وعمدة القاري، 224/7. وفتح الباري، 186/11.

(7) انظر: المنهاج، 156/1.

الدواء بدعوى أن الأعمار مقدرة، ولذلك ما ترك رسول الله ﷺ الدعاء قط، فقد دعا ﷺ لصحابته؛ فروى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ دخل الخَلاء، فوضع عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له وَضوءاً فقال النبي ﷺ: (مَنْ وَضَعَ هَذَا فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)[1]، وقد دعا ﷺ على أقوام بالهلاك والويل والثبور؛ فقد روى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في ذلك أن النبي ﷺ قال: (اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ)[2]، ولو كان الأمر كما تقول القدرية[3]: "لا قَدَرَ وأنَّ الأَمْرَ أُنُفٌ" لَمَا كلّف النبي ﷺ نفسه فعل شيء لا ينفع وقد قال في الحديث الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)[4]. قال القَرَافي رَحِمَهُ اللَّهُ[5] في

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، حديث رقم 143، 41/1.

(2) المصدر السابق، كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة، لم تفسد صلاته، حديث رقم 240، 57/1.

(3) القدرية: هم الذين ينكرون علم الله الْمُتَقَدِّمَ وَكِتَابَتَهُ السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهي، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، بَلْ الْأَمْرُ أُنُفٌ: أَيْ مُسْتَأْنَفٌ. وهذا القول أول ما حدث في الإسلام زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير وبين بني أمية، وكان أول من ظهر عنه ذلك بالبصرة مَعْبَد الجُهَنِي، فلما بلغ الصحابةَ قَوْلُ هؤلاء تَبَرَّءُوا منهم، وأنكروا مقالتَهم، وقال فيهم الأئمة كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم: إنَّ الْمُنْكِرِينَ لعلم الله الْمُتَقَدِّمِ يكفرون. ثم كثر خوض الناس في القدر فصار جمهورُهم يُقِرُّ بالعلم الْمُتقدِّم والكتاب السابق، لكن ينكرون عمومَ مَشِيئة الله، وعموم خلقه وقدرته، ويظنون أنه لا معنى لمشيئته إلا أمرُه، فما شاءه فقد أمر به، وما لم يشأه لم يأمر به؛ فَلَزِمَهُمْ أنْ يقولوا: إنَّه قد يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، وأنكروا أن يكون الله تعالى خالقاً لأفعال العباد أو قادراً عليها. انظر: التحف في مذاهب السلف، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت 1250 هـ، تحقيق: سيد عاصم علي، ط دار الصحابة للتراث- مصر، ط الأولى 1409 هـ، 17/1. ومجموع الفتاوى، 450/8-451. والمنهاج، 156/1.

(4) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، حديث رقم 2664، 1229/2.

(5) القَرَافي رَحِمَهُ اللَّهُ: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الصِنْهَاجِيَ نسبة إلى القبيلة المشهورة بالمغرب، البهنسي نسبة إلى قرية البَهَنْسَا في الصعيد الأدنى غربي نهر النيل، مصري المولد والمنشأ والوفاة، انتهت إليه رياسة المالكية في عصره، وبرع في الفقه وأصوله والعلوم العقلية، ولازم الشيخ عز الدين بن عبد السلام الشافعي، وأخذ عنه أكثر فنونه. ألف التصانيف الشهيرة كالذخيرة والقواعد وشرح المحصول والتنقيح في الأصول وشرحه وغير ذلك، ومات رَحِمَهُ اللَّهُ سنة 684 هـ. انظر: ذيل التقييد، ترجمة رقم 782، 399/1.

كتابه أنوار البروق على أنواء الفروق:"يَتَعَيَّنُ أَنْ يَعْتَقِدَ –المستخير– أَنَّ التَّقْدِيرَ هَاهُنَا أُرِيدَ بِهِ التَّيْسِيرُ "[1]. وقوله:(ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ)، أي؛ "أدمه وضاعفه"[2].

❖ وقوله ﷺ:(وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي –أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ– فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ)، أي؛ وإن كان في علمك الغيب أن هذا الأمر شر لي، والأولى أن يُصْرَفَ عني أو أصرف عنه، فأنت مفوض تفويضاً خالصاً ألا تعلق نفسي به، ثم اقدر لي ما هو خير منه وأرجى عاقبة. ثم إنه أعقب صرف الأمر المستخار فيه بصرف نفس المستخير وهذا فيه دلالة عظيمة؛ فقد يصرف الله ﷻ عن المستخير أمراً ما فينقطع عندئذ شوقه إلى وقوعه، ولكن هذا الأمر يطلب صاحِبَه وربما أدركه وهو لا يدري، وربما حدث العكس بأن صرف الله ﷻ الأمر ذاته عن المستخير ولكن نفس العبد متلهفة إلى حصوله، متشوقة إلى وقوعه، ولذلك جاء في الحديث (فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ)، ولا يحدث الكمال إلا بصرف كليهما عن بعض[3].

وقوله ﷺ:(وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ) أي؛ "اجعلني راضياً به؛ لأنه إذا قُدِّر له الخيُر ولم يرضَ به كان منكد العيش آثماً بعدم رضاه بما قدره الله له مع كونه خيرا له"[4]، وهذا واقع ملحوظ؛ فمن الناس من يستخير في الأمر ثم يصرفه الله ﷻ عنه فيظل ساخطاً على قضاء ربه تعالى، وما يلبث أن ينظر في العاقبة فيعلم أن الله ﷻ قد اختار له الأولى، ولذلك قال عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:(إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْتَخِيرُ اللَّهَ فَيَخْتَارُ لَهُ فَيَتَسَخَّطُ عَلَى رَبِّهِ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْعَاقِبَةِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خِيرَ لَهُ)[5]. وجاء من طريق أخرى عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقوله

---

(1) الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، ت 684 هـ، ط عالم الكتب، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 290/4.

(2) عمدة القاري، 224/7.

(3) انظر: عمدة القاري، 224/7.

(4) إرشاد الساري، 333/2.

(5) انظر: الرضا عن الله بقضائه، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، ت 281 هـ، تحقيق: ضياء الحسن السلفي، ط الدار السلفية– بومباي، ط الأولى 1410 هـ، 83/1، وهذا الأثر على الأقل: حسن لذاته؛ لأنه موقوف على ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهو من طريق مكحول الأزدي الذي وثقه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل منهم؛ يحيى ابن معين وابن حبان، وقال ابن حجر: صدوق، وروى له البخاري حديثاً في الأدب المفرد. انظر: تهذيب الكمال، 476/28.

ﷺ:(ثُمَّ رَضِّنِي)[1]، وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقوله ﷺ:(ثُمَّ أَرْضِنِي)[2]، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وبقوله:(وَرَضِّنِي بِقَدَرِكَ)[3]، وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقوله ﷺ:(وَرَضِّنِي بِقَدَرِكَ)[4]، والسر في هذا التنوع ألا يتعلق قلب العبد بالأمر الذي استخار فيه؛ فلا يطمئن عندئذ خاطره ولا تسكن نفسه، ولذلك كان النبي ﷺ يدعو بقوله:" وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ الْقَضَاءِ"[5]، وهذا؛ لأنَّ الرِّضا قبل القضاء عزمٌ على الرِّضا، والرِّضا بعد القضاء هو الرِّضا[6]، وفي الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على أمته، وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.[7]

قال ابن بطال رَحِمَهُٱللَّهُ[8]:"وفي هذا الحديث –حديث الاستخارة– حجة على القدرية الذين يزعمون أن الله ﷻ لا يخلق الشر، تعالى الله عما يفترون، وقد أبان النبي ﷺ في هذا الحديث أن الله تعالى هو المالك للشر والخالق له؛ إذ هو المدعو لصرفه عن العبد، ومحال أن يسأله العبد أن يصرف عنه ما يملكه العبد من نفسه، وما يقدر على اختراعه دون تقدير الله عليه"[9]، وقوله:(قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ)، أي؛ في أثناء الدعاء عند ذكرها بالكناية في قوله ﷺ:(إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ).[10]

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، حديث رقم 6382، 81/8.

(2) سبق تخريجه، راجع ص: ر.

(3) سبق تخريجه، راجع ص: 57.

(4) الدعاء، للطبراني، باب الاستخارة، حديث رقم 1306، 389/1، وإسناده حسن بالشواهد، راجع ص: 57.

(5) سبق تخريجه، راجع ص: 12.

(6) انظر: مدارج السالكين، 175/2.

(7) انظر: فتح الباري، 187/11.

(8) ابن بَطَّال رَحِمَهُٱللَّهُ: هو أَبُو الحَسَنِ عليُّ بنُ خلَفِ بنِ بَطَّالٍ البكْرِيُّ، القُرْطُبِيُّ، ثُمَّ البَلَنْسِيُّ، وَيُعْرَفُ: بِابْنِ اللَّجَّامِ. كَانَ مِنْ كِبَارِ المَالِكِيَّة، شَارِحُ صَحِيْحِ البُخَارِيِّ، قَالَ ابْنُ بَشْكُوَال: كَانَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالمَعْرِفَة، عُنِي بِالحَدِيْثِ العنَايَةَ التَّامَّة؛ شرح الصَّحِيْح فِي عِدَّة أَسفَار، رَوَاهُ النَّاس عَنْهُ، وطلب قاضياً بِحِصْن لُوْرَقَةَ؛ وهي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير. وتُوُفِّيَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة. انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم 20، 47/18-48.

(9) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، 123/10.

(10) انظر: إرشاد الساري، 333/2. وعمدة القاري، 224/7.

المطلب الثالث

وقت صلاة الاستخارة وعلاقتها بالاستشارة

أولاً: وقت الصلاة:

تمثل صلاة الاستخارة أنموذجاً من بين العبادات التي ترتبط بسبب من الأسباب؛ فهي مشروعة لكي يسأل المسلم ربه ﷻ أن ييسر له أموره كلها. وصلاة الاستخارة تشرع إذا قصد المسلم أمراً من الأمور الواجبة أو المباحة أو المستحبة؛ غير أن الواجب يستخار في زمن فعله لا في أصله. وزمن صلاة الاستخارة يتحدد من قول النبي ﷺ في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه:(إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ)[1]، فقال بعض أهل العلم: إن وقت صلاة الاستخارة يتعين عند الهم المجرد؛ فإذا جاءه الهم بأمر ما قدم الاستخارة مباشرة، وفي هذا الرأي نظر[2]؛ فليس كل أمر يكون ذا بال، فربما خطر على باله أكثر من شيء في نفس الوقت، أو أن همومه وخواطره لا تثبت ولا تستقر؛ فكيف يستخير فيما لا يثبت عليه؟

والذي ظهر رجحانه من بين الآراء أن الاستخارة تكون عند حضور النية وتمكن الإرادة ثم العزيمة على فعل شيء، فقول النبي ﷺ:(إِذَا هَمَّ)، أي؛ إذا قصد؛ وهو الذي يتناسب ومكانة الاستخارة في الإسلام، فإنها سؤال رب العالمين ﷻ تيسير الأمور؛ وكيف يُسْأل سبحانه عن هموم وخواطر ليس لها قيمة عند صاحبها؟.

ثانياً: الجمع بين الاستخارة والاستشارة:

لقد تجلت حكمة الله ﷻ عندما خلق الخلق أن ميز بعضهم عن بعض؛ فمنح أفراداً عقلاً راجحاً، ونظراً ثاقباً، ورأياً حصيفاً، ورصيداً من التجارب، وامتن على أفراد بصحة وعافية ومال وفير، وابتلى آخرين بصنوف الابتلاء؛ كل ذلك ليختبرهم ولتسير الحياة على نسق فريد لا خلل فيه، ولذلك قال الله ﷻ:﴿ **ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾** ﴾ [الإسراء: 21] ، والمسلم مأمور بأن يسعى إلى ما فيه مصلحته في دينه ودنياه؛ فإذا هم بأمر شرع له أن يستشير غيره من أهل الصلاح والاستقامة حتى يزيد من ثقته بما سيعزم عليه من أمره، فمن المعلوم أن الإسلام حض في أكثر من آية في القرآن الكريم على مبدأ الشورى؛ فقال ﷻ:﴿ **فَٱعْفُ**

---

(1) سبق تخريجه، راجع ص: ر.

(2) راجع ص: 67.

﴿عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[آل عمران: 159]، وقد عد القرآن الكريم الشورى لازما من لوازم الإيمان بالله تعالى؛ فذكرها عند تعداد صفات المؤمنين فقال ﷻ: ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾[الشورى: 36–39]، ولقد علق الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] عند تصويره لجو غزوة أحد بأن النبي ﷺ كان يرى عاقبة المعركة بالوحي، ولكنه في الوقت ذاته كان يُمضي نظام الشورى، ونظام الحركة بعد الشورى، فلقد كان يربي أمة؛ والأمم تربى بالأحداث، وبرصيد التجارب الذي تتمخض عنه الأحداث، ثم لقد كان يُمضي قدر الله، الذي تستقر عليه مشاعره، ويستقر عليه قلبه، فيمضي وفق مواقع هذا القدر، كما يحسها في قلبه الموصول[2].

وعطفاً على ما مضى من أن النبي ﷺ مؤيد بالوحي الصادق؛ فإنه غير مفتقر إلى الاستخارة، ولكنه مع ذلك أعمل مبدأ الشورى، ورأى أن فيها جمعاً بين الآراء والخبرات، فكان يشاور أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كثيراً؛ فقد شاورهم في أسارى بدر كما روى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:(.. مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، ...)[3]، وشاور ﷺ الصحابة في أمر عائشة

---

(1) سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، أديب ومفكر إسلامي مصري، ولد في صعيد مصر عام 1906م، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وتخرج من دار العلوم عام 1933م. وعمل بوزارة المعارف وابتعثته إلى أمريكا، وفي عام 1950م انضمّ إلى جماعة الإخوان المسلمين، وحوكم بتهمة التآمر على نظام الحكم وصدر الحكم بإعدامه. له ما يقرب من ستة وعشرين مؤلفاً، منها؛ في ظلال القرآن، التصوير الفني في القرآن، معالم في الطريق. وتم تنفيذ حكم الإعدام بحقه سنة 1966م. انظر: تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان، لعبد العزيز بن باز، ت 1420 هـ، تحقيق: عبد العزيز قاسم، ط مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية– السعودية، ط الأولى 1430 هـ، 39/1. والموسوعة العربية العالمية: (سيد قطب) www.mawsoah.net.

(2) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ت 1385 هـ، ط دار الشروق– بيروت والقاهرة، ط السابعة عشر 1412 هـ، 461/1.

(3) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، حديث رقم 1763، 1461/2.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حديث الإفك فقال في خُطبة خطبها:(مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي، مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ....)[1]، وأعمل ﷺ مبدأ الشورى في مواطن كثيرة لا يسع المقام لسردها.[2]

وللشورى أهمية كبيرة في حياة الأفراد والجماعات؛ ففيها تحقيق الطمأنينة للنفوس وغشيان السكينة للقلوب، إذ القلوب مفطورة على الركون إلى من كثرت خبراته وتجاربه في الحياة. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:(حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ)[3]، ومن المعلوم أن طلب المشورة من النصيحة التي أمرنا بها، ولابد أن تكون النصيحة خالصة لله ﷻ لا دخن فيها، وهو معنى قوله ﷺ:(الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)[4]، وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه:"وَقِيلَ: النَّصِيحَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ نَصَحَ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ إِذَا خَاطَهُ؛ فَشَبَّهُوا فِعْلَ النَّاصِحِ فِيمَا يَتَحَرَّاهُ مِنْ صَلَاحِ الْمَنْصُوحِ لَهُ بِمَا يَسُدُّهُ مِنْ خَلَلِ الثَّوْبِ،... وَقِيلَ: إِنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ نَصَحْتَ الْعَسَلَ إِذَا صَفَّيْتَهُ مِنَ الشَّمْعِ؛ شَبَّهُوا تَخْلِيصَ الْقَوْلِ مِنَ الْغِشِّ بِتَخْلِيصِ الْعَسَلِ مِنَ الْخَلْطِ".[5]

وقرر النووي رَحِمَهُ اللَّهُ أن الاستشارة لمن يُعْلَمُ من حاله النصيحة والشفقة والخبرة ويشهد له بدينه ومعرفته مقدمة على الاستخارة[6]، وهو رأي ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ[7] حيث قال:"حَتَّى

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: 38]، حديث رقم 7370، 113/9.

(2) لمزيد أمثلة انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبدلسلام ابن تيمية، ت 728 هـ، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية، ط الأولى 1406 هـ، 391/8-392.

(3) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم 2162، 1035/2.

(4) المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم 55، 44/1.

(5) المنهاج، 37/2.

(6) انظر: الأذكار، 365/1.

(7) ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ: هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس. فقيه باحث مصري، مولده عام 909 هـ في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته، والسعدي نسبة إلى بني سعد من عرب الشرقية (بمصر). تلقى العلم في الأزهر، ومات بمكة، وله تصانيف كثيرة منها؛ مبلغ الأرب في فضائل العرب، والجوهر المنظم، والصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة، وغيرها الكثير، وتوفي سنة 974 هـ. انظر: شذرات الذهب، 541/10-543. والأعلام، 234/1.

عِنْدَ التَّعَارُضِ (أَيْ تَقَدُّمِ الاِسْتِشَارَةِ)؛ لِأَنَّ الطُّمَأْنِينَةَ إِلَى قَوْل الْمُسْتَشَارِ أَقْوَى مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ؛ لِغَلَبَةِ حُظُوظِهَا وَفَسَادِ خَوَاطِرِهَا، وأَمَّا لَوْ كَانَتْ نَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةً صَادِقَةً إِرَادَتُهَا مُتَخَلِّيَةً عَنْ حُظُوظِهَا، قَدَّمَ الاِسْتِخَارَةَ".[1]

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ينبغي للمسلم أن يجمع بين وجوه الخير بأن يقدم الاستخارة ويردفها بالاستشارة فقال:"ما نَدِمَ مَنْ اسْتَخَارَ الخَالِقَ، وَشَاوَرَ المَخْلُوقِينَ، وَثَبَتَ فِي أَمْرِهِ"[2]، فبيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الاستخارة تقدم على ما سواها، ثم تكون الاستشارة لأهل العلم والاستقامة والصلاح والتجارب، ثم يكون العزم على ما استخار فيه وشاور غيره من أجله.

وبإمعان النظر في الشورى يتبين مَن أخذ رأي نفسه فقد فكر بعقل واحد، ومن شاور غيره فقد ضم إلى عقله عقول من شاورهم، وما يكاد رأي الجماعة يخطئ أبداً، وفي هذا قال الشاعر حافظ إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]:

رَأيٌ الجَمَاعَةِ لا تَشْقَى البِلادُ بِه .... رَغْمَ الخِلافِ وَرَأيُ الفَرْدِ يُشْقِيهَا[4]

وقال الإمام أبو بكر الأرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[5]:

شَاوِرْ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ .... يَوْمَاً وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ المَشُوُرَاتِ

---

(1) الموسوعة الفقهية الكويتية، لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، ط دار السلاسل– الكويت، ط الثانية 1404 هـ، 243/3.

(2) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، جمعه وطبعه: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ت 1421 هـ، ط الأولى 1418 هـ، 113/3.

(3) حافظ إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولد في عام 1872 م إبان حكم أسرة محمد علي، وكان من قدره أن عاش بؤس مصر كلها، وذاق مرارتها، وتجرع غصصها حتى الثمالة، وشارك في الجهاد الوطني بأوفى نصيب حينما سخر شعره وأوقفه على قضايا وطنه وقضايا العروبة والإسلام حتى لقي ربه راضياً مرضياً سنة 1932 م. انظر: ديوان حافظ إبراهيم، للشاعر حافظ إبراهيم، ت 1932 م، ط الهيئة العامة للكتاب– مصر، ط الثالثة 1987 م، 14/1–18.

(4) ديوان حافظ إبراهيم، 91/1.

(5) الأرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أَحْمد بن مُحَمَّد بن الْحُسَيْن القَاضِي أَبُو بكر الأرجاني الشَّاعِر الملقب نَاصح الدّين، كَانَ قَاضِي مَدِينَة تُسْتَرَ بخوزستان، وشاعر عصره، وأَصله من شيراز، ولد فِي حُدُود سنة سِتِّينَ وَأَرْبَعمِائَة، وَسمع الحَدِيث بأصبهان من ابن مَاجَه، وتوفّي بتستر سنة أَربع وَأَرْبَعين وَخَمْسمِائة، وَمن شعره:

(أَنا أشعر الْفُقَهَاء غَيْرَ مُدَافِعٍ ... فِي الْعَصْرِ أَوْ أَنَا أَفْقَهُ الشُّعَرَاءِ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى، 52/6. ووفيات الأعيان، 151/1.

فَالعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَأَى .... وَلا تَرَى نَفْسَـــــــهَا إلا بِمِرْآةِ[1]

ولكن مع اختلاف الآراء في أيهما يبدأ أولاً؛ بالاستخارة أم بالاستشارة، فيتبين بالتأمل في حديث الاستخارة؛ فإنه قد أمر بالاستخارة بعد إرادة الأمر لا عند مجرد الهم كما هو ظاهر الحديث، ولا تكون الإرادة كاملة إلا عند الاطمئنان إلى ما هو مقبل على الاستخارة فيه؛ بأن شاور فيه غيره فانفتح له من الأبواب ما كان أمامه مغلقاً، وبدا له من الأمور القليل والكثير، فعندئذ يفعل الاستخارة ثم يعزم مسألته، ولو كانت الاستخارة مقدمة على الاستشارة لَمَا أعمل النبي ﷺ الشورى وهو قد أغناه الله ﷻ بالوحي، بل قد حرص ﷺ على بيان كل خير لأمته، فداوم على الشورى، وأمر بالاستخارة، وفي هذا جمع بين أطراف الخير، وهو الأكمل بإذن الله ﷻ.

ثالثا: صفات أهل الشورى:

لابد لمن يتصدى باقتراح الآراء على طلابها أن ينعم بخصال تميزه عمن جاء يسأله في أمر من أموره، وهذه الصفات أوردها الإمام ابن الحاج المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2] في كتابه المسمى بالمدخل، فقال: فَإِذَا عَزَمَ عَلَى الْمُشَاوَرَةِ ارْتَادَ لَهَا مِنْ أَهْلِهَا مَنْ اسْتَكْمَلَتْ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ:[3]

1. عَقْلٌ كَامِلٌ مَعَ تَجْرِبَةٍ سَابِقَةٍ؛ فَإِنَّهُ بِكَثْرَةِ التَّجَارِبِ تَصِحُّ الرَّوِيَّةُ، فقد كَانَ يُقَالُ: إيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ رَجُلَيْنِ؛ شَابٌّ مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ قَلِيلُ التَّجَارِبِ فِي غِرَّةٍ، وَكَبِيرٌ قَدْ أَخَذَ الدَّهْرُ مِنْ عَقْلِهِ كَمَا أَخَذَ مِنْ جِسْمِهِ. ومن المعلوم أن أولي الألباب مقدمون على من سواهم في هذا الباب، وإذا انضاف إلى ذلك رصيد تجاربهم كان له أكبر الأثر في تبلور الفكرة ونضوجها عند المستشير؛ فالبشر مختلفون ويعيشون واقعهم على اختلاف في مستوياتهم الاجتماعية

---

(1) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، لمحمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم، ت 940 هـ، ط دار القلم العربي– حلب، ط الأولى 1423 هـ، 105/1.

(2) ابن الحاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شَيْخُ الأَنْدَلُس، وَمُفتيهَا، وَقَاضِي الجَمَاعَةِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ خَلَفِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ ابنِ لُبِّ التُّجِيْبِيّ، وتجيب قبيلة من كندة ومحلة بمصر، القُرْطُبِيّ، المَالِكِيّ، ابْن الحَاج. تَفَقَّه بِأَبِي جَعْفَرِ بن رزق، وَتَأَدَّب بِأَبِي مَرْوَانَ بنِ سِرَاجٍ، وَسَمِعَ الكَثِيْرَ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ الغَسَّانِيِّ، وَمُحَمَّدِ بنِ الفَرَجِ، وَخَازِمِ بنِ مُحَمَّدٍ، وَعِدَّةٍ. قَالَ ابْنُ بَشْكُوَال: كَانَ مِنْ جِلَّةِ العُلَمَاءِ، مَعْدُوْداً فِي المُحَدِّثِيْنَ وَالأُدبَاء، بَصِيْراً بِالفَتْوَى، كَانَتِ الفَتْوَى تَدورُ عَلَيْهِ لِمَعْرِفَتِهِ وَدِيْنِهِ وَثِقَتِهِ، وَكَانَ مُعتَنِياً بِالآثَارِ، جَامِعاً لَهَا، ضَابِطاً لأَسْمَاءِ رِجَالِهَا وَرُوَاتِهَا، مُقَيِّداً لِمعَانِيْهَا وَغرِيبِهَا، ذَاكراً لِلأَنسَاب وَاللُّغَة وَالنَّحْو. وقَيَّدَ العِلْمَ عُمُرَه كُلَّه، مَا أَعْلَمُ أَحَداً فِي وَقته عُنِيَ بِالعلم كعنَايته، سَمِعْتُ مِنْهُ، وَكَانَ ليِّناً حليماً مُتَوَاضِعاً، لَمْ يُحْفَظْ لَهُ جَوْرٌ فِي قَضِيَّة، وَكَانَ كَثِيْرَ الْخُشُوع وَالذِّكر، قُتِلَ ظُلماً يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَهُوَ سَاجِد، فِي صَفَرٍ، سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ، وَلَهُ إِحْدَى وَسَبْعُوْنَ سَنَةً. انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم 361، 614/19.

(3) انظر: المدخل، 42/4–43.

والاقتصادية والسياسية وغيرها؛ فما يراه بعضهم سهلاً يراه آخرون صعباً، وما يراه البعض منهم صواباً يرى آخرون ما هو أصوب منه وهكذا، فمشاورة من كمل عقله وكثرت تجاربه يعزز فرص الفلاح.

2. أَنْ يَكُونَ ذَا دِينٍ وَتُقًى؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عِمَادُ كُلِّ صَلَاحٍ وَبَابُ كُلِّ نَجَاحٍ، وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الدِّينُ فَهُوَ مَأْمُونُ السَّرِيرَةِ مُوَفَّقُ الْعَزِيمَةِ، ولا يخفى أن الدين رأس مال المسلم التقي؛ فالوازع الديني يصرف صاحبه عن المكر والخديعة والدخن في النصيحة.

3. أَنْ يَكُونَ نَاصِحًا وَدُودًا؛ فَإِنَّ النُّصْحَ وَالْمَوَدَّةَ يجردان الْفِكْرَةَ وَيُمَحِّصَانِ الرَّأْيَ، والنصيحة المجردة عن المودة لا تجذب إلى المستنصح انتباهاً، ولا تسترعي منه سمعاً، ولا تقع من منه موقعا يرضاه؛ ولذلك لابد للمستشير أن يطلب النصح من صاحب دين وخلق، فإنه إن نصح فبأدب جم وخلق دمث يسبي القلب ويؤثر في النفس.

4. أَنْ يَكُونَ سَلِيمَ الْفِكْرِ مِنْ هَمٍّ قَاطِعٍ وَغَمٍّ شَاغِلٍ؛ فَإِنَّ مَنْ عَارَضَتْ فِكْرَتَهُ شَوَائِبُ الْهُمُومِ لَمْ يَسْلَمْ لَهُ رَأْيٌ وَلَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ خَاطِرٌ، وهذا بين في أحوال الناس؛ فلا تخرج الأفكار الفريدة إلا في لحظات الصفو الهادئة، أما مع ازدحام الهموم وتدافع الغموم فلا انبلاج للآمال.

5. أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ فِي الْأَمْرِ الْمُسْتَشَارِ فِيهِ غَرَضٌ يُتَابِعُهُ، وَلَا هَوًى يُسَاعِدُهُ؛ فَإِنَّ الْأَغْرَاضَ جَاذِبَةٌ، وَالْهَوَى صَادٌّ، وَالرَّأْيُ إذَا عَارَضَهُ الْهَوَى وَجَاذَبَتْهُ الْأَغْرَاضُ فَسَدَ؛ ومن شاور ذا غرض صده عما يستشيره فيه بدعاوى مختلفة مختلقة، ولو سانده في ذلك هواه زاد الأمر تشتتاً، فَإِنَّ رَأْيَ غَيْرِ ذِي الْحَاجَةِ أَسْلَمُ وَهُوَ مِنْ الصَّوَابِ أَقْرَبُ؛ لِخُلُوصِ الْفِكْرِ وَخُلُوِّ الْخَاطِرِ مَعَ عَدَمِ الْهَوَى وَارْتِفَاعِ الشَّهْوَةِ.

وإِذَا أُسْتُكْمِلَتْ هذه الخصال الخمس في رجل كان أهلاً للمشورة وَمَعْدِنًا للرأي؛ فلا يعدل عن استشارتِهِ اعتماداً على ما يتَوَهَّم من فضل الرأي، وعلى هذا فمن ترك الجمع بين الاستخارة والاستشارة يُخَافُ عليه من التعب؛ لدخوله في الأمور دون الامتثال للسنة المطهرة وما أحكمته في ذلك؛ إذْ إنَّهَا لَا تُسْتَعْمَلُ في شيء إلا عمته البركات، ولا تترك من شيء إلا حصل فيه ضِدُّ ذلك.

المطلب الرابع

المفاهيم الخاطئة حول صلاة الاستخارة وتصحيحها

كلما ابتعد الناس عن نور الوحيين اللذين أوصانا النبي ﷺ بالتمسك بهما بقوله:(...وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟...)[1]، قل الإيمان في القلوب، وفشا الكذب، وانتشرت الترهات؛ فأصبحت طائفة غير قليلة من المسلمين لا يفرقون بين الغث والسمين، وتراهم ينسبون الأقوال والحث على الأفعال إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وهما بريئان مما ألحقها بهما مما لم يأمرا به، ولا حضا عليه، وهكذا زمناً بعد زمن.

وفي زماننا هذا انتشرت قاصمات كثيرة تدور في فلك الرجم بالغيب الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾[سبأ: 53]، وصار بعض الناس يلجئون إلى الاستخارات البدعية التي لا تحاكي الاستخارة المشروعة لا شكلاً ولا مضموناً، حتى قال الإمام ابن الحاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"وَلْيَحْذَرْ مِمَّا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِمَّنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، أَوْ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ مَعْرِفَةٌ بِحِكْمَةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ فِي أَلْفَاظِهِ الْجَامِعَةِ لِلْأَسْرَارِ الْعَلِيَّةِ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يَخْتَارُونَ لِأَنْفُسِهِمْ اسْتِخَارَةَ غَيْرَ الِاسْتِخَارَةِ –المشروعة–، وَهَذَا فِيهِ مَا فِيهِ مِنْ اخْتِيَارِ الْمَرْءِ لِنَفْسِهِ غَيْرَ مَا اخْتَارَهُ لَهُ مَنْ هُوَ أَرْحَمُ بِهِ، وَأَشْفَقُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَوَالِدَيْهِ، الْعَالِمُ بِمَصَالِحِ الْأُمُورِ الْمُرْشِدُ لِمَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالنَّجَاحُ وَالْفَلَاحُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ"[2].

وفيما يأتي بيان ما استحدثه الناس من البدع والخرافات في باب الاستخارة، وتفنيد كل أمر منها بالدليل الشرعي؛ ليستقيم الفهم صحيحاً، فيستوي معنى الاستخارة المشروعة على سوقه كما أراد رسول الله ﷺ:

1. اشتراط انشراح الصدر أو انقباضه: لقد جرى في عادة بعض الناس أن يقدم الاستخارة المشروعة ثم ينتظر علامة على ما اختاره الله ﷻ له؛ فعلامة الفعل عنده انشراح الصدر وطمأنينة النفس، وعلامة الصرف انقباض الصدر وعدم السكينة، وهذا الأمر مما يفتقر إلى دليل، وليس له أصل في كل طرق حديث الاستخارة الصحيحة.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم 1218، 556/1-558.

(2) المدخل: 37/4.

قال ابن الزملكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:"إذا صلى الْإِنْسَان رَكْعَتي الاستخارة لأمر فَلْيفْعَل بعْدهَا مَا بدا لَهُ، سَوَاء انشرحت نَفسه لَهُ أم لَا؛ فَإِن فِيهِ الْخَيْر وَإِن لم تَنْشَرِح لَهُ نَفسه، قَالَ: وَلَيْسَ فِي الحَدِيث اشْتِرَاط انْشِرَاح النَّفس"[2]، ولكن الصرف لَمْ يُخَالِفْ فِيه أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ؛ وَعَلاَمَاتُ الصَّرْفِ: أَلاَّ يَبْقَى قَلْبُهُ بَعْدَ صَرْفِ الأَمْرِ عَنْهُ مُعَلَّقًا بِهِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ:(فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ).[3]

والخلاصة: لا يشترط حصول انشراح الصدر أو انقباضه علامة على ما هو المختار بعد تقديم الاستخارة المشروعة؛ فحديث الاستخارة واضح بيّن الدلالة في عدم اشتراط ذلك؛ فما هو المختار عند الله ﷻ فسييسر العبد إليه أو يصرفه عنه، ولكن ما انتشر في أوساط العامة من اشتراط انشراح الصدر أو انقباضه فلا يستند إلى دليل؛ وما افتقر إلى الدليل فلا يرقى للاعتماد عليه في تقرير الأمور؛ سواء الدينية أو الدنيوية.

2. اشتراط الرؤيا: لقد شاع في أوساط الكثير من الناس أنه ينبغي تقديم الاستخارة المشروعة ثم انتظار رؤيا تدله على الفعل أو الترك، وعلق ابن الحاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذلك فقال:"وَبَعْضُهُمْ يَسْتَخِيرُ الِاسْتِخَارَةَ الشَّرْعِيَّةَ وَيَتَوَقَّفُ بَعْدَهَا حَتَّى يَرَى مَنَامًا يَفْهَمُ مِنْهُ فِعْلَ مَا اسْتَخَارَ فِيهِ أَوْ تَرْكَهُ، أَوْ يَرَاهُ غَيْرُهُ لَهُ، وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الْعِصْمَةِ ﷺ قَدْ أَمَرَ بِالِاسْتِخَارَةِ وَالِاسْتِشَارَةِ لَا بِمَا يُرَى فِي الْمَنَامِ، وَلَا يُضِيفُ إلَى الِاسْتِخَارَةِ الشَّرْعِيَّةِ غَيْرَهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِدْعَةٌ وَيَخْشَى مِنْ أَنَّ الْبِدْعَةَ إذَا دَخَلَتْ فِي شَيْءٍ لَا يَنْجَحُ أَوْ لَا يَتِمُّ"[4].

وبالتأمل في كل طرق حديث الاستخارة لم يذكر فيها –تصريحاً ولا تلميحاً– اشتراط الرؤيا بعد الاستخارة، ولكن هذا أمر شاع بين الناس حتى صاروا يتعاطونه دون سؤال عن أصله استناداً إلى أن ما شاع وانتشر كان صحيحاً بالضرورة؛ وهذا خطأ فادح نبه الله ﷻ إليه بقوله:﴿ **وَلَا تَقْفُ**

(1) ابن الزملكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو العلامة كمال الدين محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري. مولده بدمشق في شوال سنة سبع وستين وستمائة، وقرأ الأصول على الصفي الهندي، والنحو على بدر الدين بن مالك، وألف عدة تصانيف، وطلب لقضاء مصر، فقدم ومات ببلبيس في السادس عشر من رمضان سنة سبع وعشرين وسبعمائة، وحمل إلى القاهرة ودفن قريباً من قبر الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر: حسن المحاضرة، 320/1–321. والأعلام، 284/6.

(2) طبقات الشافعية الكبرى، 206/9.

(3) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، 247/3.

(4) المدخل، 37/4.

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء: 36]، أي؛ لا تقل رأيتُ ولم ترَ، وسمعتُ ولم تسمع؛ فإن الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك كله.[1]

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الرؤى لا يؤخذ منها حكم شرعي، ولا ينبني عليها عمل دنيوي، وإنما هي تعبير عما أمكن حدوثه[2]، وهي للبشرى والاستئناس لا أكثر؛ وهو معنى قوله ﷺ:(لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ)[3]، ولذلك لما عبر أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رؤيا رآها في منامه لم يجزم بها؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ كَانَ نَحَلَهَا جَادَّ[4] عِشْرِينَ وَسْقاً[5] مِنْ مَالِهِ بِالْغَابَةِ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ:(وَاللَّهِ يَا بُنَيَّةُ مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ غِنًى بَعْدِي مِنْكِ، وَلَا أَعَزُّ عَلَيَّ فَقْرًا بَعْدِي مِنْكِ، وَإِنِّي كُنْتُ نَحَلْتُكِ جَادَّ عِشْرِينَ وَسْقًا، فَلَوْ كُنْتِ جَدَدْتِيهِ وَاحْتَزْتِيهِ كَانَ لَكِ. وَإِنَّمَا هُوَ الْيَوْمَ مَالُ وَارِثٍ، وَإِنَّمَا هُمَا أَخَوَاكِ، وَأُخْتَاكِ، فَاقْتَسِمُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ كَذَا وَكَذَا لَتَرَكْتُهُ، إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ، فَمَنِ الْأُخْرَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ذُو بَطْنِ بِنْتِ خَارِجَةَ، أُرَاهَا جَارِيَةً)؛ فقول أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:(أُرَاهَا جَارِيَةً) على الظن من غير جزم؛ فإلهام وتعبير غير المعصوم غير معصومَيْن.[6]

وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[7] في الموافقات:"فَإِذَا لَاحَ لِأَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ الْغَيْبِ؛ فَلَا يَكُونُ عَلَى عِلْمٍ مِنْهَا مُحَقَّقٍ لَا شَكَّ فِيهِ، بَلْ عَلَى الْحَالِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا: أَرَى وَأَظُنُّ، فَإِذَا

---

(1) انظر: تفسير الطبري، 446/17.

(2) انظر: موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى، للدكتور يوسف القرضاوي، ط مكتبة وهبة- مصر، ط الأولى 1415 هـ، 115/1-126.

(3) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات، حديث رقم 6990، 31/9.

(4) جادّ: الجَادّ بِمَعْنَى المَجْدُود، أَيْ؛ نخْل يُجَدّ مِنْهُ مَا يَبلغ مائةَ وسْق. انظر: النهاية في غريب الحديث، 244/1.

(5) وسقاً: الوسق هُوَ الحِمْل؛ وقدَّره الشرعُ بِستِّينَ صَاعاً. انظر: النهاية في غريب الحديث، 380/2.

(6) الموطأ، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، ت 179 هـ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط مؤسسة زايد آل نهيان- الإمارات، ط الأولى 1425 هـ، كتاب الأقضية، باب ما لا يجوز من النِحل، حديث رقم 2783، 1089/4. ومصنف عبد الرزاق، كتاب الوصايا، باب النحل، حديث رقم 16507، 101/9. ورواة هذا الحديث كلهم ثقات.

(7) الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي،. أصولي حافظ محدث، لغوي مفسر، ولد سنة عشرين وسبعمائة. له استنباطات جليلة، ودقائق منيفة، وفوائد لطيفة، وأبحاث شريفة، وقواعد محررة محققة، وله تآليف نفيسة منها: الاعتصام والموافقات والمجالس شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري، وغيرها. وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شعبان سنة تسعين وسبعمائة. انظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج=

وَقَعَ مُطَابِقاً فِي الْوُجُودِ وَفُرِضَ تَحَقُّقُهُ بِجِهَةِ الْمُطَابَقَةِ أَوَّلًا، وَالِاطِّرَادِ ثَانِيًا؛ فَلَا يَبْقَى لِلْإِخْبَارِ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ حُكْمٌ؛ لأنه قد صَارَ مِنْ بَابِ الْحُكْمِ عَلَى الْوَاقِعِ"[1]. أي؛ لأنه يبقى على عدم العلم، بل على مجرد ظن أو شك حتى يقع، فبعد وقوعه مطابقًا لا يبقى للإخبار به فائدة في بناء حكم عليه، ويكون الحكم -إن كان هناك حكم- مبنيّاً على الواقع نفسه.

والخلاصة: لا يشترط لمن هَمَّ بأمر أن يعوّل في معرفة ما استخار الله ﷻ فيه على رؤية رؤيا في المنام تدله على الفعل أو الترك، وإنما عليه أن يستخير ربه ﷻ ثم يعزم على ما استخار فيه دون تردد.

3. الطِّيَرَةُ: يقدم بعض الناس الاستخارة المشروعة ثم ينتظر ما يبشره ويحثه على المضي قدما فيما استخار فيه، ولكنه قد يرى أو يسمع شيئاً فيتشاءم به، فلا يعزم على شيء بعد الاستخارة لأجل ذلك؛ وكأن هذا الذي رآه أو سمعه صرفه عن الامتثال للسنة النبوية المطهرة بدعوى أنه علامة شر، وهذا كله من تلبيس إبليس والعياذ بالله ﷻ، فلقد قال رسول الله ﷺ:(لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ، قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ)[2]، وقال ﷺ:(لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ، قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ)[3]، فالنبي ﷺ قد نهى عن الطيرة ونفى تأثيرها في الحوادث، وبين أن من اعتقد أن لها تأثيراً في مجريات الحياة فقد أشرك؛ لأنه رجم بالغيب من حيث لا يدري، ولهذا قال الله ﷻ:﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[النمل: 65]، وقال ﷺ:(الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ، وَمَا مِنَّا إِلاَّ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ)[4]؛ فنهى النبي ﷺ عن الاعتقاد بتأثير الطيرة في الحوادث ولم يقف عند هذا الحد، ولكنه بث الأمل في النفوس بأن تتفاءل بالخير وتتوقع حصوله، وأن تستبشر بالكلمة الصالحة في ذلك؛ فعنه ﷺ أنه:(كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَ عَنِ اسْمِهِ، فَإِذَا أَعْجَبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنِ اسْمِهَا فَإِنْ أَعْجَبَهُ

=والتربية، لأبي سهل محمد ابن عبد الرحمن المغراوي، ط المكتبة الإسلامية- القاهرة، ط الأولى بدون سنة الطبع، 404/8. والأعلام، 75/1.

(1) الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ت 790 هـ، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط دار ابن عفان، ط الأولى 1417 هـ، 473/4.

(2) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الطيرة، حديث رقم 5754، 135/7.

(3) المصدر السابق، كتاب الطب، باب لا عدوى، حديث رقم 5776، 139/7.

(4) سبق تخريجه، راجع ص: 36.

اسْمُهَا فَرِحَ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهَا رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ)[1]، وهذا من تمام هديه ﷺ أنه لا يترك الناس بعد النهي دون توجيه ولا إرشاد صحيحين.

والخلاصة: ما يعتقده بعض الناس من تأثير الطيرة في الأعيان أو الأزمان شرك في توحيد الربوبية[2]؛ لأن الواجب نسبة القضاء والقدر إلى الله ﷻ لا إلى غيره، وهذا من كمال التوحيد، فيجب على المسلم أن يفعل الاستخارة المشروعة وألا يتطير بشيء مهما يكن، ولكن يشرع له أن يتوقع حصول الخير من باب حسن الظن بالله ﷻ فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول:(لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ)[3].

4. استشارة العَرَّافِين والكُهَّان: وهو الذهاب لمن يدّعي علم الغيب بالنظر في النجوم واتفاق سيران الكواكب وافتراقها، وأن الأفلاك العلوية لها تأثير في الحوادث الأرضية؛ وهذا من الشرك بالله ﷻ حيث قال رسول الله ﷺ:(هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ)[4]؛ والنَّوْءُ فِي أَصْلِهِ لَيْسَ هُوَ نَفْسُ الْكَوْكَبِ وإنما مَصْدَرُ نَاءَ النَّجْمُ يَنُوءُ نَوْءًا؛ أَيْ سَقَطَ وَغَابَ، وَقِيلَ: أَيْ نَهَضَ وَطَلَعَ[5]، ففي هذا الحديث بيان أن من اعتقد أن الكواكب لها تأثير في شيء من الحوادث الأرضية؛ كنزول المطر، وأنه سيولد لفلان وسيموت فلان مثلا فهو كافر لما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال:(مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)[6]، ومن اقتصر في ذهابه إلى العرافين على السؤال دون التصديق لهم فلا تقبل له صلاة

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الطيرة، حديث رقم 3920، 19/4، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 3920، 477/2.

(2) سيأتي بيانه كاملاً في الفصل الثاني.

(3) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، حديث رقم 2877، 1316/2.

(4) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة: 82]، حديث رقم 1038، 33/2.

(5) انظر: المنهاج، 61/2. وعمدة القاري، 137/6.

(6) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن إتيان الحائض، حديث رقم 639، 209/1، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم 644، 198/1.

أربعين ليلة لما صح عن بعض أزواج النبي ﷺ أنه قال:(مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً).[(1)] والعرافة والكهانة من السبع الموبقات باندراجها تحت السحر والشعوذة، مصداقاً لما رواه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ:(مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ)[(2)]، أي؛ زاد إثمه كلما زاد اقتباسه، ولقد نبه النبي ﷺ أن الجن يسترقون السمع من السماء الدنيا مما قُدِّر ويقذفون به إلى العرافين والكهان، فيخلطون مع الصدق كذباً ويزيدون فيه مما ليس منه؛ فقد روت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال:(إِنَّ المَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ: وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ، فَتُوحِيهِ إِلَى الكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ).[(3)]

والخلاصة: لا يجوز بحال من الأحوال أن يستدل باقتران النجوم والكواكب وافتراقها على الحوادث الأرضية من مجريات حياة الأفراد والجماعات؛ لأنه كله رجم بالغيب، فما النجم أو الكوكب بعالمٍ شيئاً عما سيحدث؛ وإنما قدر سيرانهما واقترانهما وافتراقهما بتقدير العلي القدير ﷻ، فينبغي للمسلم الذي يبغي صلاح دينه ودنياه أن يتقرب إلى الله ﷻ بما شرع وبه أمر، ولا يقرب شيئاً مما نهى عنه ورسولُه ﷺ، وإن الله ﷻ خلق هذه النُّجُومَ لأمور ثلاث: جعلها زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلاماتٍ يُهْتَدَى بها في ظلمات البر والبحر، فقال ﷻ: ﴿ **وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴿١٦﴾ ﴾[النحل: 16]. قال قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ[(4)]: "فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا –أي النجوم– بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لاَ عِلْمَ لَهُ بِهِ".[(5)]

---

(1) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث رقم 2230، 1062/2.

(2) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في النجوم، حديث رقم 3905، 15/4، قال الإمام الألباني: حسن. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 3905، 473/2.

(3) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم 3210، 111/4.

(4) قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: هو ابن دعامة السَدُوْسِي نسبة إلى سدوس بن شيبان؛ وهي قبيلة كبيرة كثيرة العلماء، البصري الأكمه، أبو الخطاب. ولد سنة ستين. تابعي وعالم كبير. كان يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد، فدخل مسجد البصرة، فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت أصواتهم، فأمهم وهو يظن أنها حلقة الحسن، فلما صار معهم عرف أنها ليست هي، فقال: إنما هؤلاء المعتزلة، ثم قام عنهم، فمذ يومئذ سموا المعتزلة. وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة سبع عشرة ومائة. انظر: وفيات الأعيان، ترجمة رقم 541، 85/4–86.

(5) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب في النجوم، 107/4.

5. **الاستقسام بالأزلام:** وهي قِدَاحٌ كانت للعرب مكتوب فِي أحدها افعل وفي الثاني لا تفعل؛ فإذا أرادت فعل شيء استقسمت بها؛ وذلك بأن تُجِيلَهَا ثم تلقيها؛ فإن خرج السهم الذي فيه افعل أقدمت على الفعل، وإن خرج السهم الذي فيه لا تفعل امتنعت منه، فقد قال سُرَاقَة بن مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] إذ أدرك النبيَّ ﷺ وأبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في طريق الهجرة إلى المدينة:(فَرَفَعْتُهَا -يَعْنِي فَرَسَهُ- حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، وَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهُ الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا؛ أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا؟، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ؛ فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ، حتى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتْ الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا وَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فناديتهم بالأمان).[2]

ولا تدخل القرعة التي تعمل لتعيين ذات أو نصيب من بين أمثاله إذا لم يكن تعيينه بحجة تحت هذا الباب، وصِفَةُ القرعة أن تقطع رقاع صغار مستوية، ويكتب في كل رقعة اسم ذي السهم، ثم تجعل في بنادق[3] طين مستوية لا تفاوت فيها، ثم تجفف قليلاً، ثم تلقى في ثوب رجل لم

---

(1) سراقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو ابن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرّة ابن عبد مناة بن علي بن كنانة المدلجي الكناني، يكنى أبا سفيان. كان ينزل قديداً. يعد في أهل المدينة. ويقال: إنه سكن مكة. لحق النبي ﷺ وصاحبه في الهجرة يطلبهما، ووعده رسول الله ﷺ بسوارَيْ كسرى، وألبسه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السوارين لما فتح الله بلاد الفرس. كان سُرَاقَةُ شاعراً مجوّداً وهو القائل لأبى جهل:

أَبَا حَكَمٍ وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ شَاهِدًا ... لأَمْرِ جَوَادِيَ إِذْ تَسُوخُ قَوَائِمُهُ

عَلِمْتَ وَلَمْ تَشْكُكْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا ... رَسُولٌ بِبُرْهَانٍ فَمَنْ ذَا يُقَاوِمُهُ

عَلَيْكَ بِكَفِّ الْقَوْمِ عَنْهُ فَإِنَّنِي ... أَرَى أَمْرُهُ يَوْمًا سَتَبْدُو مَعَالِمُهُ

بِأَمْرٍ يَوَدُّ النَّاسُ فِيهِ بِأَسْرِهِمْ ... بِأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ طُرًّا يُسَالِمُهُ

ومات سُرَاقَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ فِي صَدْرِ خِلافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ مَاتَ بَعْدَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 916، 581/2–582. وأسد الغابة، ترجمة رقم 1955، 412/2–414.

(2) المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، ت 474 هـ، ط السعادة– مصر، ط الأولى 1332 هـ، 297/7. وهذا حديث أصله في صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، حديث رقم 3906، 60/5. وانظر: السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام ابن أيوب الحميري المعافري، أبي محمد، جمال الدين، ت 213 هـ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ الشلبي، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده– مصر، ط الثانية 1375 هـ، 489/1.

(3) بنادق: جمع بندق؛ وهي كرات تصنع من طين للرمي بها؛ كالحجارة. انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت 393 هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين– بيروت، ط الرابعة 1407 هـ، 1452/4. وتاج العروس، 100/25.

يحضر ذلك، ويغطي عليها ثوبه، ثم يدخل يده ويُخْرِج واحدة، فإذا أخرج اسم رجل أعطي الجزء الذي أقرع عليه، وهذا لا خلاف في جوازه؛ لأنه يختلف عن الاستقسام بالأزلام وقد فعله ثلاثة من الأنبياء وهم؛ يونس عليه السلام وزكريا عليه السلام ومحمد ﷺ؛ وكفى بذلك دليلاً على جوازه إذ لم ينه عنه ﷺ.[1]

ويندرج تحت الاستقسام بالأزلام بعض الاستخارات المبتدعة أيضاً؛ وهي:

أ. **استخارة الرقاع**[2]: وأصلها عند الشيعة[3]، وصورتها أن يأخذ الشخص المستخير رقعة ويكتب فيها دعاء مخصوصاً ثم يسمي الأمر الأول الذي يستخير فيه، ثم يأخذ رقعة أخرى ويكتب فيها مثل الأول ولكن يسمي الأمر الثاني، ثم يأخذ رقعة ثالثة ويكتب فيها مثل ما في الأولين ولكن يكتب بالحبس؛ أي التوقف، ثم يدفع الرقاع إلى بعض الأصحاب ليسترها عنه، ثم يدخل المستخير يده ويستخرج واحدة من الثلاث رقاع ويفعل الأمر الذي خرج فيها.[4]

ب. **استخارة الخَطّ**: وهو ما يخطه من يدّعي علم الغيب بالرمل، وفي الحديث أن النبي ﷺ سأله رجل فقال: (. . . إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: فَلَا تَأْتِهِمْ قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ –أو قال: فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ- قَالَ قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ، قَالَ: كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ. . . . .)[5]، وقَوْلُهُ: (كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ) اختلف العلماء في معناه؛ والصحيح فيه أن مَن وافق خَطُّه فهوَ مباح له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة؛ فلا يباح، والمقصود أنه حرام؛ لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها، وإنما

---

(1) انظر: تفسير القرطبي، 87/4.

(2) الرقاع: رَقَعْتُ الثَّوْبَ رَقْعًا مِنْ بَابِ نَفَعَ إذَا جَعَلْتَ مَكَانَ الْقَطْعِ خِرْقَةً وَاسْمُهَا رُقْعَةٌ وَجَمْعُهَا رِقَاعٌ. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس، ت 770 هـ، المكتبة العلمية– بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 235/1.

(3) الشيعة: اسم يطلق على كل من شايع علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخصوص، وقال بإمامته وخلافته نصاً ووصية؛ إما جلياً وإما خفياً، واعتقد أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. انظر: الملل والنحل، 145/1.

(4) انظر: بحار الأنوار، لمحمد باقر المجلسي، ت 1111 هـ، إعداد: المجمع العالمي لأهل البيت، (كتاب الكتروني)، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 226/88–227.

(5) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته، حديث رقم 537، 242/1–243.

قال النبي ﷺ (فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ)، ولم يقل هو حرام بغير تعليق على الموافقة؛ لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذلك النبي الذي كان يخط، فحافظ النبي ﷺ على حرمة ذاك النبي مع بيان الحكم في حقنا، فالمعنى؛ أن ذلك النبي لا منع في حقه، وكذا لو علمتم موافقته، ولكن لا علم لكم بها، وهذا الحديث يحتمل النهي هن هذا الخط إذا كان عَلَما لنبوة ذاك النبي، وقد انقطعت فنهينا عن تعاطي ذلك، والمختار أن معناه: أن من وافق خطه فذاك الذي يجدون إصابته فيما يقول، لا أنه أباح ذلك لفاعله، ويحتمل أنَّ هذا نُسِخَ في شرعنا؛ فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن.[1]

ج. استخارة السبحة أو الحصا: وأصلها عند الشيعة، وصورتها أن من أراد الاستخارة قرأ الفاتحة عشر مرات ثم دعا بدعاء مخصوص، ثم يأخذ كفا من الحصى أو سبحته، ويقصد بقلبه أنه إن خرج عدد حبات السبحة أو عدد الحصا فردياً كان افعل، وإن خرج زوجياً كان لا تفعل، أو أن يجعل نفسه والحصا أو السبحة بمنزلة اثنين يقترعان؛ ثم يقصد بقلبه أمراً؛ فمثلاً إن خرجت القرعة على نفسه كان افعل، وإن خرجت على الحصا أو السبحة كان لا تفعل، وكذلك من صورها أن يأخذ سبحة ويصلي على النبي ﷺ ثلاث مرات ويقبض على السبحة ويعد اثنتين اثنتين؛ فإن بقيت واحدة فهو افعل، وإن بقيت اثنتان فهو لا تفعل.[2]

د. استخارة الفنجان: وهي أن يشرب الشخص فنجاناً من القهوة ثم بعد الانتهاء منه يقلب الفنجان؛ لِتُحْدِثَ رواسبُ القهوة على جدرانه الداخلية أشكالاً ورسومات، ثم يدفع الفنجان إلى قارئه؛ فيأخذ ذلك القارئ للفنجان بتخيل ما سيحدث للمستخير شارب الفنجان، ثم يخبره بذلك على الجزم أنه سيحصل.

هـ. استخارة الكف: وهي نوع من الكهانات القديمة التي كانت منتشرة عند الإغريق والهنود والصينيين والعرب قبل الإسلام؛ وحقيقتها أن بالكفين خطوطاً متعرجة كثيرة، فيأخذ القارئ للكف كف المستخير وينظر فيها، ثم يتوقع له ما سيحدث معه بناء على خطوط كفيه.[3]

و. استخارة القرآن: وتكون بأن يمسك المستخير المصحف ثم يفتحه على صفحة دون تعيين منه، ثم يسقط بصره أو يضع إصبعه على آية من الآيات دون تعيين كذلك؛ فإن كانت الآية آية

(1) انظر: المنهاج، 23/5.
(2) انظر: بحار الأنوار، 247/88، 250.
(3) انظر: أسرار السحر والاستخارة وضرب الرمل وقراءة الفنجان والكف، لعلي أحمد عبد العال الطهطاوي، ط مكتبة الروضة– مصر، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 75/1.

رحمة أو فيها بشارة كان دليلاً على الأمر بالفعل، وإن كانت الآية من آيات الترهيب كان النهي بألا يفعل. [1]

ز. **الاستخارة على اسم الداخل:** وهي من الاستخارات الجاهلية[2]؛ ودليلها أن قريشاً لما أعادت بناء الكعبة ووصلت إلى موضع الحجر الأسود اختلفت فيمن يضعه؛ فتوافقوا على تحكيم أول داخل عليهم من الفج، فلما دخل رسول الله ﷺ استبشروا ورضوا به حكماً بينهم.[3]

والخلاصة: تعاطي الناس للاستخارة عن طريق الاستقسام بالأزلام وما يندرج تحته ضرب من ضروب الجاهلية التي جاء الإسلام ليضرب عليها صفحاً ويقطع دابرها، وكلها من المحرمات ولا يجوز تعاطيها بحال من الأحوال؛ لأن فيها اختلافاً شاسعاً وبوناً واسعاً عن الاستخارة المشروعة؛ فالاستخارة فيها إسناد الأمور إلى من بيده علم مفاتيح الغيب كلها، أما الاستقسام بالأزلام وما نحا منحاه فلا يعتمد على علم؛ بل على المصادفة أو الموافقة، وما كان بطريق المصادفة فلا يرقى أن يعتمد عليه في أمور الدين ابتداء أو الدنيا أخيراً.

فالاستخارة بالرقاع أو الخط أو السبحة أو المصحف استخارة بدعية شركية؛ لأن فيها قدحاً في توحيد الربوبية؛ ففيها نسبة التقدير إلى المصادفة أو الموافقة، وهي من الاستقسام بالأزلام التي كانت من أعراف الجاهلية وقد جاء الإسلام لطمس آثارها إلى الأبد. وقراءة الفنجان يستحيل عقلاً أن تكون دليلاً على الغيب؛ فانكفاء الفنجان يحدث تلك الرواسب على جدرانه الداخلية شأنه شأن أي إناء إذا انكفأ، وأما قراءة الكف كأنها قراءة للغيب فمخالفة للعقل والحس؛ فخطوط الكفين متشابهة إلى حد بعيد عند الناس، ولا نقصد هنا بصمات الأصابع؛ بل تلك الخطوط التي تكون بباطن الكفين، وتسمى عند أهل العلم بخطوط الثني؛ لأنها ناتجة عن ثني الكف وفرده، ولا علاقة لها بحالة الإنسان الصحية أو العقلية أو النفسية كما يزعم الكهان، وما الكفان وما فيهما بدليل على ما في الغيب من تقدير العلي الكبير ﷻ، والاستخارة على اسم الداخل لا يحتج بها كذلك؛ لكون رسول الله ﷺ يومها لم يكلف بالرسالة بعد، ولم يؤثر عنه أنه استخدمها في أمر ذي بال.[4]

---

(1) انظر: الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان، لأبي المنذر محمود ابن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، ط مكتبة ابن عباس- مصر، ط الأولى 1426 هـ، 298/1.

(2) انظر: المدخل، 38/4.

(3) انظر: مسند الإمام أحمد، مسند المكيين، حديث السائب بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حديث رقم 15504، 261/24-262. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير هلال بن خباب فمن رجال السنن، وهو ثقة.

(4) لمزيد بيان حول الاستخارات البدعية، انظر: أسرار السحر والاستخارة، 14/1-19.

الفصل الثاني

دلالة حديث الاستخارة على مسائل العقيدة الواردة فيه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: دلالة حديث الاستخارة على أقسام التوحيد.

المبحث الثاني: دلالة حديث الاستخارة على الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الأول

دلالة حديث الاستخارة على أقسام التوحيد

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دلالة حديث الاستخارة على توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: دلالة حديث الاستخارة على توحيد الألوهية.

المطلب الثالث: دلالة حديث الاستخارة على توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الأول

دلالة حديث الاستخارة على توحيد الربوبية

أولاً: تعريف توحيد الربوبية لغة واصطلاحاً، وفهم السلف له.

1. توحيد الربوبية لغةً واصطلاحاً:

أ. **التوحيد لغة:** مصدر وَحَد يُوَحِّد، اَلْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالدَّالُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الِانْفِرَادِ؛ أي أفرد الأمر يفرده فلم يضم إليه سواه، ومِنْ ذَلِكَ الْوَحْدَةِ.[1]

وَالْوَاحد فَاعل من وَحّدَ يُوَحِّدُ؛ وَهُوَ الَّذِي لَا يَنْقَسِم فِي وهم وَلَا وجود، وَأَصله الِانْفِرَاد فِي الذَّات.[2] و"والواحِدُ بُني على انقطاعِ النَّظِيرَ وعَوَزِ المِثْلِ، والوحِيدُ بني على الوَحْدَةِ والانفرادِ عَنِ الْأَصْحَاب؛ من طَرِيق بَيْنُونَتِه عَنْهم".[3]

و"التَوْحيد: الإيمانُ بِالله وحْدَهُ لَا شريك لَهُ، وَالله الْوَاحِدُ الْأَحَد ذُو الوحْدانيَّة والتَّوَحُّدِ"[4]؛ فالمتوحد هو المنفرد بالوصف المباين لغيره، والفرق بين الوحدة والوحدانية؛ أن الأولى تفيد التخلي، والأخرى تفيد نفي الأشكال والنظراء؛ ولا يستعمل في غير الله ﷻ، وَلَا يُقَال لله ﷻ وَاحِد من طَرِيق الْعدَد، ولا يجوز أَن يُقَال أَنه ثَانٍ لزيد؛ لِأَن الثَّانِي يسْتَعْمل فِيمَا يتماثل، ولا مثيل لله ﷻ.[5]

وبإجالة النظر في معاجم اللغة المتقدمة تبين أن كل معاني التوحيد ترد إلى أصل واحد وهو الانفراد دون التثنية، وهذا حقيقة مصطلح التوحيد.

ب. **التوحيد اصطلاحاً:** إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه من أنواع الكمال في العبودية والربوبية والأسماء الحسنى والصفات العليا؛ فالله ﷻ هو المستحق للعبادة دون غيره؛ كما في قوله:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[الفاتحة: 5]؛ حيث قدم المفعول به "إياك" على فعل العبادة والاستعانة دلالة على أن كليهما لا ينصرفان إلا له وحده الذي لا شريك له ينازعه، ولا ند له يضاهيه ويناوئه، ولذلك قال ﷻ

---

(1) انظر: مقاييس اللغة، 90/6.

(2) الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ت 395 هـ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، ط دار العلم والثقافة– القاهرة، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 142/1.

(3) تهذيب اللغة، 126/5.

(4) المصدر السابق، 125/5. والعين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ت 170 هـ، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، ط دار ومكتبة الهلال، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 281/3.

(5) انظر: الفروق اللغوية، 141/1. والملل والنحل، 40/1.

أيضاً: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[الإخلاص: 1-4].

والله ﷻ المتفرد في الربوبية؛ حيث قال سبحانه: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ....۝١٦﴾ [الرعد: 16]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١﴾[يونس: 31]، فنفى الله ﷻ الشريك عن نفسه في الخلق والإيجاد والرزق والتقدير والتدبير؛ وهذا كله من مستلزمات توحيده في الربوبية.

والله ﷻ هو المتوحد في أسمائه وصفاته، فلا يشابهه أحد من خلقه في شيء منها البتة حيث قال ﷻ: ﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[الشورى: 11]؛ فالله ﷻ قد أثبت لِذَاتِهِ مِثْلًا، ثُمَّ نَفَى عَنْ ذَلِكَ الْمِثْلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُمَاثِلٌ؛ كِنَايَةً عَنْ نَفْيِ الْمُمَاثِلِ لِذَاتِ الله ﷻ عن طريق لَازِمِ اللَّازِمِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا نَفَى الْمِثْلَ عَنْ مِثْلِهِ فَقَدِ انْتَفَى الْمِثْلُ عَنْهُ، إِذْ لَوْ كَانَ لَهُ مِثْلٌ لَمَّا اسْتَقَامَ قَوْلُكَ: لَيْسَ شَيْءٌ مِثْلَ مِثْلِهِ.(1)

ج. **الربوبية لغة:** الرَّبُّ يُطْلَقُ فِي اللُّغة عَلَى المالِك، وَالسَّيِّدِ، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنْعِم، وَلَا يُطلَقُ غيرَ مُضاف إلاَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا أُطلِقَ عَلَى غَيره أُضِيف، فيُقَال: هُوَ رَبّ الدابّة، ورَبُّ الدّار وهكذا.(2)

والرب هو الله تبَارك وتَعالى، هُوَ رَبُّ كُلّ شَيْء؛ أَي مَالِكه، وَله الرّبُوبيّة على جَميع الخَلْق لَا شَرِيك لَهُ، وكُل مَن مَلك شَيْئا فَهُوَ رَبُّه، والرُّبوبِيَّة: كالرِّبابة، وعِلْمٌ رَبُوبيٌّ: منسوبٌ إِلى الرَّبِّ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ.(3)

د. توحيد الربوبية اصطلاحاً:

يتوقف تعريف توحيد الربوبية في الاصطلاح على معرفة المدلول اللغوي له؛ فلقد ورد لفظ الرب في اللغة على معان عدة؛ فمرة يأتي بمعنى المالك والسيد، وأخرى يأتي بمعنى المربي والمصلح، وتارة يأتي بمعنى المعبود بحق.

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت 1393 هـ، ط الدار التونسية للنشر– تونس، بدون رقم الطبعة 1984 هـ، 46/25.

(2) انظر: النهاية في غريب الحديث، 179/2.

(3) انظر: تهذيب اللغة، 128/15. والعين، 256/8. ولسان العرب، 399/1. وتاج العروس، 459/2.

والتوحيد هو "إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفات وأفعالاً، فلا تقبل ذاتُه الانقسام بوجه، ولا تشبه صفاته الصفات ولا تنفك عن الذات، ولا يدخل أفعاله الاشتراك، فهو الخالق دون من سواه".[1] ولذلك يطلق لفظ الرب على الله ﷻ إطلاقاً حقيقياً، ويطلق على غيره من قبيل المجاز؛ بصورة إضافية ليس إلا. وعليه؛ فتوحيد الربوبية هو: الإقرار بأن الله ﷻ خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وإن هذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما أخبر الله ﷻ عنهم: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴿١٠﴾ ﴾[إبراهيم: 10]، فيستلزم توحيد الربوبية نفي الشريك عن الله ﷻ في صفات الربوبية الحقة؛ وهي الخلق والرزق والملك والتدبير، والإحياء والإماتة، والنفع والضرر، وما إلى ذلك من لوازم تلزم عنه.[2]

2. فهم السلف لتوحيد الربوبية:

أ. **تعريف السلف لغة:**"السِّينُ وَاللَّامُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمٍ وَسَبْقٍ. مِنْ ذَلِكَ السَّلَفُ: الَّذِينَ مَضَوْا. وَالْقَوْمُ السُّلَّافُ: الْمُتَقَدِّمُونَ. وَالسُّلَافُ: السَّائِلُ مِنْ عَصِيرِ الْعِنَبِ قَبْلَ أَنْ يُعْصَرَ. وَالسُّلْفَةُ: الْمُعَجَّلُ مِنَ الطَّعَامِ قَبْلَ الْغَدَاءِ".[3]

والسلف هم مَن تَقدَّمك من آبَائِك وذَوِي قَرَابَتك الَّذين هم فوقَكَ فِي السنّ والفَضْل، وواحدهم سالِف، وَمِنْه قولُ طُفَيل الغَنَوِيّ[4] يرثي قومه:

---

(1) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ت 1188 هـ، ط مؤسسة الخافقين ومكتبتها- دمشق، ط الثانية 1402 هـ، 57/1.

(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، 28/1. والمفيد في مهمات التوحيد، للدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، ط دار الأعلام، ط الأولى 1423هـ، 56/1. ومجمل اعتقاد أئمة السلف، لعبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية، ط الثانية 1417 هـ، 135/1. وعقيدة المؤمن، لأبي بكر الجزائري، ط دار العقيدة، ط الأولى 2004 م، ص53-54.

(3) مقاييس اللغة، 95/3.

(4) طفيل الغنوي: هو طفيل بن عوف بن كعب، من بني غني، من قيس عيلان: شاعر جاهلي فحل، من الشجعان. وهو أوصف العرب للخيل، وربما سمي طفيل الخيل؛ لكثرة وصفه لها. ويسمى أيضاً المحبّر؛ لتحسينه شعره. عاصر النابغة الجعديّ، وزهير بن أبي سلمى، ومات بعد مقتل هرم بن سنان. وله ديوان شعر صغير، وكان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: خلوا لي طفيلاً، وقولوا ما شئتم في غيره من الشعراء، وتوفي سنة 610 م. انظر:=

مَضَوا سَلَفاً قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمُ...... وصَرْفُ المنَايا بالرِّجَال تَقَلَّبُ

أَرَادَ أَنهم تقدَّمونا، وقَصْدُ سبيلنا عَلَيْهِم، أَي؛ نَموت كمَا ماتُوا فنَكون سلَفاً لمن بعدَنا كَمَا كَانُوا سلَفاً لنا. وقَالَ الفرّاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] فِي قولُ الله ﷻ: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [الرعد: 56]؛ أي جعلناهم سَلَفاً متقدِّمين ليتّعظ بهم الآخِرون.[2]

ب. تعريف السلف اصطلاحاً:"هم الْعلمَاء الْعُدُول الوارثون عَن رَسُول الله ﷺ الْحَقَائِق والمعارف والعقائد، وَيُمكن أَن يُقَال: هم السَّادة الأخيار إِلَى نِهَايَة الْمِائَة الثَّالِثَة من الْهِجْرَة النَّبَوِيَّة الشَّرِيفَة الْمُبَارَكَة.... وأعني بأولئك السَّادة الأخيار كبار الْأَئِمَّة الْفُقَهَاء والمحدثين والأصوليين والمفسرين وأمثالهم من عُلَمَاء الْإِسْلَام وتلامذتهم وأتباعهم فِي عصرهم وبعدهم وَعَلِيهِ الْكثير من الْعلمَاء وأتباعهم إِلَى يَوْمنَا هَذَا وَإِلَى مَا شَاءَ الله تَعَالَى".[3]

وبناء على ما سبق بيانه يتضح أن إطلاق مصطلح السلفية يراد به معنيان[4]:

=المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، ت 370 هـ، تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط دار الجيل- بيروت، ط الأولى 1411 هـ، 190/1. والأعلام، 228/3.

(1) الفَرَّاءُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بنُ زِيَادِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ مَنْظُوْرٍ الأَسَدِيُّ مَوْلاَهُمْ، الكُوْفِيُّ، النَّحْوِيُّ، صَاحِبُ الكِسَائِيِّ. عُرِفَ بِالفَرَّاءِ لأَنَّهُ كَانَ يَفْرِي الكَلاَمَ، ووَرَدَ عَنْ ثَعْلَبٍ: أَنَّهُ قَالَ: لَوْلاَ الفَرَّاءُ، لَمَا كَانَتْ عَرَبِيَّةٌ، وَلَسَقَطَتْ؛ لأَنَّهُ خَلَّصَهَا، وَلأَنَّهَا كَانَتْ تُتَنَازَعُ وَيَدَّعِيْهَا كُلُّ أَحدٍ، وَنَقَلَ أَبُو بُدَيْلٍ الوَضَّاحِيُّ: أَنَّ المَأْمُوْنَ أَمَرَ الفَرَّاءَ أَنْ يُؤَلِّفَ مَا يُجْمَعَ بِهِ أُصُوْلُ النَّحْوِ، وَأُفْرِدَ فِي حُجْرَةٍ، وَقَرَّرَ لَهُ خَدَماً وَجَوَارِيَ، وَوَرَّاقِيْنَ، فَكَانَ يُمْلِي فِي ذَلِكَ سِنِيْنَ. قَالَ: وَلَمَّا أَمْلَى كِتَابَ (مَعَانِي القُرْآنِ)، اجْتَمَعَ لَهُ الخَلْقُ، فَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهِم ثَمَانُوْنَ قَاضِياً، وَأَمَلَّ (الحَمْدَ) فِي مائَةِ وَرْقَةٍ. وَكَانَ المَأْمُوْنُ قَدْ وَكَّلَ بِالفَرَّاءِ وَلَدَيْهِ يُلَقِّنُهُمَا النَّحْوَ، فَأَرَادَ القِيَامَ، فَابْتَدَرَا إِلَى نَعْلِهِ، فَقَدَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ فَرْدَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ المَأْمُوْنَ، فَقَالَ: لَنْ يَكْبُرَ الرَّجُلُ عَنْ تَوَاضُعِهِ لِسُلْطَانِهِ وَأَبِيْهِ وَمُعَلِّمِهِ، ومَاتَ الفَرَّاءُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِطَرِيقِ الحَجِّ، سَنَةَ سَبْعٍ وَمائَتَيْنِ، وَلَهُ ثَلاَثٌ وَسِتُّوْنَ سَنَة. انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم 12، 118/10-121.

(2) انظر: تهذيب اللغة، 299/12. ولسان العرب، 158/9. والصحاح تاج اللغة، 1376/4.

(3) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لأبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، ت 733 هـ، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، ط دار السلام للطباعة والنشر- مصر، ط الأولى 1410 هـ، 40/1.

(4) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان بن علي حسن، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض، ط الثانية 1413 هـ، 35/1.

الأول: حقبة تاريخية معينة اختصت بالقرون الثلاثة الهجرية المتقدمة، لقول النبي ﷺ:(خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...).[1]

الثاني: الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان، من التمسك بكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، وتقديمهما على ما سواهما.

فالسلفية بالمعنى الأول تكون مرحلة تاريخية انتهت بموت رجالها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبالمعنى الثاني تكون منهاجاً باقياً إلى يوم القيامة، ولا يصح الانتساب إلى من عاش في الزمن الأول إن كان من أرباب البدع والضلال والأهواء، وشرط الانتساب إلى السلف مقترن بالالتزام بقواعدهم المستقاة من الكتاب والسنة؛ لما رواه ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال:(لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)[2]، فالسلف سبقونا بالزمن وبما اعتقدوا، ولا خلاف في أن الخلف سيكونون سلفاً لمن بعدهم، فيبقى الأمر متوقفاً على العقيدة، فمن وافق في اعتقاده ما كان عليه السلف المتقدمون له كان سلفياً وإن بعد عنهم في الزمن.[3]

ج. فهم السلف لتوحيد الربوبية: إن اختيار الباحث تقرير فهم السلف للتوحيد بأقسامه وفي جميع مفردات هذا البحث دليل إتباع لا ابتداع، وهو إحياء لقول الصحابي ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال:"مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ ﷻ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَنَقْلِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ فَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ".[4]

والكلام على توحيد الربوبية متوقف على الإقرار بوجود الله ﷻ بداية، ولذلك أودع الله ﷻ الكون ما لا يحصى من الأدلة الدالة على وجوده؛ وأولها أن جعل الإقرار به أمراً فطرياً في الإنسان؛ فكل الناس يقرون بوجوده ﷻ، ولا يماري في ذلك إلا مكابر انحرف عن الفطرة بنفسه أو

---

(1) سبق تخريجه، راجع ص: 46.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ:(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)، حديث رقم 1920، 925/2.

(3) انظر: شرح العقيدة السفارينية، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت 1421 هـ، ط دار الوطن للنشر – الرياض، ط الأولى 1426 هـ، 19/1–20. ووسطية أهل السنة بين الفرق، لمحمد با كريم محمد با عبد الله، ط دار الراية– السعودية، ط الأولى 1415 هـ، 101/1.

(4) شرح السنة، 214/1.

اجتالته الشياطين عنها، ولم يذكر القرآن الكريم عن أحد أنه أنكر الرب ﷻ إلا عن فرعون، فجحود الصانع لم يكن ديناً غالباً على أمة من الأمم قط، وإنما كان دين الكفار الخارجين عن الرسالة هو الإشراك، ولكن فرعون كما قال الله ﷻ عنه: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ...﴿٥٤﴾ ﴾[الزخرف: 54]، وقال ﷻ عنه: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ...﴿٣٨﴾ ﴾[القصص: 38]، ثم أعلن فرعون بعد ذلك بقوله: ﴿ .. أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[النازعات: 24]، وفي الحقيقة إن فرعون كان عارفاً بوجود الصانع في قرارة نفسه، وإنما استكبر وأنكر وجوده ﷻ رغم فطرته الذي جبل عليها، ولهذا قال له موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[الإسراء: 102]، ولما أنكر الصانع وكانت له آلهة يعبدها بقي على عبادتها لم يصفه الله ﷻ بالشرك، وإنما وصفه بجحود الصانع وعبادة آلهة أخرى.(1)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"وتأمل حال العالم كله، عُلْوِيِّهِ وَسُفْلِيِّهِ، بجميع أجزائه: تجده شاهداً بإثبات صانعه وفاطره ومليكه، فإنكارُ صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العلم وجحده، لا فرق بينهما، بل دلالة الخالق على المخلوق، والفعَّال على الفعل، والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزكية المشرقة العلوية، والفطر الصحيحة أظهر من العكس"(2).

ومن الناس من يستدل بالصنعة على الصانع وهو كثير، ولكن العارفين أرباب البصائر يستدلون بالصانع على المصنوع، والخالق على المخلوق، وكلا الاستدلالين حق لا ريب فيه، والقرآن الكريم يشملهما، وكيف يحتاج مَن هو دليل على كل شيء إلى دليل على وجوده، ولذلك كان ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتمثل كثيراً بهذا البيت من الشعر:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ ... إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ(3)

فالإقرار بالخالق ﷻ والاعتراف به مستقر في قلوب الخلق جميعاً، فهو من لوازم خلقهم؛ لذلك لم يكثر القرآن الكريم ولا السنة النبوية من الحديث عن توحيد الربوبية؛ لأنه واضح بين، ولما كان في الخلق شرذمة انحرفت فطرتها، وكابرت في الإنكار؛ كفرعون، أقام الله ﷻ الأدلة القاطعة

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى، 631/7.

(2) مدارج السالكين، 82/1.

(3) هذا البيت لأبي الطيب المتنبي، ت 354 هـ. انظر: الأمثال السائرة من شعر المتنبي، لإسماعيل بن عباد ابن العباس، أبي القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد، ت 385 هـ، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط مكتبة النهضة- بغداد، ط الأولى 1385 هـ، 46/1.

والبراهين الساطعة الدالة على وجوده، والتي لا يملك أرباب العقول إلا التصديق بها والانقياد لها، ولذلك لم يكثر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون لهم بإحسان الخوض في إثبات وجود الله ﷻ؛ لأنه من القضايا المسلمة عندهم، ولاستقراره في الفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها، ولذلك اقتصروا عند الحديث في تقرير وجوده ﷻ على دليل الفطرة والآيات الكونية والنفسية التي يدركها الناس بعقولهم المتفاوتة[1]، وفيما يأتي تناول هذه الأدلة بشيء من التفصيل لتتضح القضية أكثر:

1. دليل الفطرة: والفطرة هي الخِلْقَةُ الَّتِي يُخلق عَلَيْهِا الْمَوْلُود فِي بطن أمه[2]، ولذلك كان أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ)[3]، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿...فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا....﴿٣٠﴾﴾[الروم: 30]. والمراد بالفطرة "تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة، والتهيؤ لقَبول الدين؛ فلو تُرِك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها؛ لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد"[4]؛ فالتنشئة الاجتماعية هي التي تحدد دين المولود؛ فإن كان أبواه مسلمَين فهو تابع لهما، وإن كانا يهوديين فهو مثلهما، وإن كانا نصرانيين فهو كذلك، وهلم جرا.

والفطرة تستدعي من الإنسان أن يشعر دائماً بالافتقار إلى خالقه ﷻ، كمن يكون وسط البحر وقد لعبت به الريح وهاجت من حوله الأمواج، وظن أن لا مُصْرِخَ له من بني البشر، إلا أنه يشعر في قرارة نفسه بوجود من يستطيع أن ينقذه مما هو فيه، وذلك هو الله ﷻ؛ ولذلك تجد الإنسان عند الاضطرار يقصد جهة العلو ولو بالقلب حين الدعاء، وهذا ما يجرنا إلى ذكر مسألة[5]

---

(1) انظر: أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان، لعبد العزيز بن عبد الله المبدل، ط دار التوحيد– الرياض، ط الأولى 1424 هـ، 44/1.

(2) انظر: تهذيب اللغة، 222/13.

(3) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، حديث رقم 1358، 94/2–95. وصحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، حديث رقم 2658، 1226/2.

(4) فتح الباري، 249/3.

(5) انظر: العرش، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت 748 هـ، تحقيق: محمد ابن خليفة بن علي التميمي، ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية– المدينة المنورة، ط الثانية 1424 هـ، 153/1.

أسكتت إمام الحرمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] عن الإجابة حين سأله أبو جعفر الهمذاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2] في قوله ﷻ: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[طه: 5]، وقد كان تكلم إمام الحرمين فيها بنفي صفة العلو بقوله: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان، فقال الهمذاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أستاذ دعنا من ذكر العرش –لأن ذلك إنما جاء في السمع–، وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا؛ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو؛ لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف تدفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ فلطم أبو المعالي على رأسه، وقال: حيرني الهمذاني، حيرني الهمذاني.

ونص شيخ الإسلام على أن المعرفة الأولية الفطرية تحصل بلا دليل، وأن ما يعلم بالدليل إنما يعلم إذا علم أن الدليل مسلتزم له ليكون دليلاً عليه في الواقع، ولهذا فإن دليل الفطرة لا يعلو عليه دليل؛ لأنه متمكن في أصل الخلقة عند جميع البشر، فلا يستطيع أحد منهم إنكاره، وإن حاول الإنكار فإنه في أحلك اللحظات يجد من داخله شيئاً ينادي باسم الخالق ﷻ ليعلن أنه الرب المتفرد في الخلق والتدبير سبحانه.[3]

---

(1) إمام الحرمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ أَبُو المَعَالِي عَبْدُ المَلِكِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ يُوْسُفَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَيُّوَيْه الجُوَيْنِيُّ، ثُمَّ النَّيْسَابُوْرِيُّ، ضِيَاءُ الدِّيْنِ، الشَّافِعِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. وُلِدَ فِي أَوّل سَنَة تِسْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَع مائَة، وتَفَقَّهَ عَلَى وَالِده، وَتُوُفِّيَ أَبُوْهُ وَلأَبِي المَعَالِي عِشْرُوْنَ سَنَةً، فَدرَّس مَكَانه، وَكَانَ يَترَدَّدُ إِلَى مدرسَة البَيْهَقِيّ، ثم اضطر إلى السفر إِلَى بَغْدَادَ، فَصَحِبَ الوَزِيْرَ أَبَا نَصْر الكُنْدُرِيّ مُدَّة يَطُوْفُ مَعَهُ، وَيلتقِي فِي حضرَتِهِ بكِبَارِ العُلَمَاءِ، وَيُنَاظرهُم، فَتَحَنَّك بِهِم، وَتهذَّب، وَشَاعَ ذِكْرهُ، ثُمَّ حَجَّ، وَجَاوَرَ أَرْبَعَ سِنِيْنَ يَدرِّس، وَيُفْتِي، وَيَجمَعُ طُرُقَ المَذْهَب، ثم رَجَعَ إِلَى بَلَده، فَدرَّس بنظَامِيَّة نَيْسَابُوْر، وَاسْتقَام الأَمْر، وَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ ثَلاَثِيْنَ سَنَةً غَيْر مُزَاحَم وَلاَ مُدَافَع، مُسَلَّماً لَهُ المِحْرَابُ وَالمِنْبَر وَالخُطبَة وَالتدريس، وَمَجْلِسُ الْوَعْظ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَظَهرت تَصَانِيْفُهُ، وَحضر دَرسه الأَكَابِرُ وَالجمعُ العَظِيْم مِنَ الطَّلَبَة، كَانَ يَقعدُ بَيْنَ يَدَيْهِ نَحْوٌ مِنْ ثَلاَث مائَة، وَتَفَقَّهَ بِهِ أَئِمَّة. وتُوُفِّيَ فِي الخَامِس وَالعِشْرِيْنَ مِنْ ربيع الآخر سَنَة ثَمَانٍ وَسَبْعِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة. انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم 240، 468/18–476.

(2) أبو جعفر الهمذاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو مُحَمَّدُ بنُ أَبِي عَلِيٍّ الحَسَنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ الهَمَذَانِيُّ. وُلِدَ بَعْدَ الأَرْبَعِيْنَ وَأَرْبَعِمائَةٍ. قَدِمَ بَغْدَادَ سَنَةَ سِتِّيْنَ وأربعمائة، ولم يكُنْ يعرفُ العَرَبِيَّةَ، حَتَّى دَخَل البَادِيَةَ، وكَانَ خَطُّه رَدِيئاً، وَمَا كَانَ لَهُ كَبِيْرُ مَعْرِفَةٍ بِالحَدِيْثِ، وَهُوَ الَّذِي قَامَ فِي مَجْلِسِ وَعظِ إِمَامِ الحَرَمَيْنِ، وَأَوْرَدَ عَلَيْهِ فِي مَسْأَلَةِ العُلُوِّ، فَقَالَ: مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ: يَا الله، إِلاَّ وَقَامَ مِنْ بَاطِنِه قَصْدُ تَطلُّبِ العُلُوِّ، لاَ يَلتَفِتُ يَمنَةً وَلاَ يَسرَةً، فَهَلْ لِدَفع هَذِهِ الضَّرُوْرَةِ مِنْ حِيلَةٍ؟! فَقَالَ: يَا حَبِيْبِي، مَا ثَمَّ إِلاَّ الحَيْرَةُ، وتُوُفِّيَ أَبُو جَعْفَرٍ فِي نِصْفِ ذِي القَعْدَةِ، سَنَةَ إِحْدَى وَثَلاَثِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ. انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم 61، 101/20–102.

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– السعودية، ط الثانية 1411 هـ، 530/8.

2. الأدلة الكونية والنفسية: إن المتدبر لآيات القرآن الكريم يجدها حافلة بالأدلة الشاهدة على وحدانيته ﷻ في ربوبيته؛ فلقد دعت الآيات إلى إعمال الفكر وإجالة الخاطر، والنظر في الأنفس والآفاق لتحقيق الانقياد إلى معرفة الخالق ﷻ وإفراده بالربوبية وما يلزم عنها، فقال الله ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[فصلت: 53] أي؛ سنريهم ما وضع في العالم من الدلائل، وفي أنفسهم ما وضع فيها من الدلائل التي تدل على وحدانية الله ﷻ، وأن محمداً ﷺ صادق ينطق بالوحي فيما يقول، ومعنى قوله:[أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ]، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:"والمعنى ألم تكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي أوضحها الله تعالى وقررها في هذه السورة، وفي كل سور القرآن الدالة على التوحيد والتنزيه والعدل والنبوة".[2]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"وَإِذا تَأَمَّلت مَا دعا الله سُبْحَانَهُ فِي كِتَابه عباده إلى الْفِكر فِيهِ، أوقعك على الْعلم بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبوحدانيته، وصفات كَمَاله ونعوت جَلَاله؛ من عُمُوم قدرته، وَعلمه، وَكَمَال حكمته، وَرَحمته، وإحسانه، وبره، ولطفه، وعدله، وَرِضَاهُ وغضبه، وثوابه وعقابه؛ فَبِهَذَا تعرف إلى عباده وندبهم إلى التفكر فِي آيَاته"[3]، والآيات كثيرة متضافرة في تقرير توحيد الربوبية، وفيما يأتي ذكر آية حوت الأدلة التي تقرر توحيد الربوبية:

---

(1) الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أبو الفضل محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي. ولد بالري في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة. له من التصانيف الكثير، منها؛ تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة، حتى قيل فيه: فيه كل شيء إلا التفسير، وهو كبير جداً لكنه لم يكمله، وشرح سورة الفاتحة في مجلد، وله كتاب البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان. كان له في الوعظ اليد البيضاء، وكان يعظ باللسانين العربي والعجمي، وكان يلحقه الوجد في حال الوعظ ويكثر البكاء، وكان يحضر مجلسه بمدينة هراة أرباب المذاهب والمقالات ويسألونه وهو يجيب كل سائل بأحسن إجابة، ويقال: إنه كان يحفظ الشامل للجويني في علم الكلام. توفي يوم الاثنين، وكان عيد الفطر، سنة ست وستمائة. انظر: وفيات الأعيان، 248/4-252.

(2) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، ت 606 هـ، ط دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط الثالثة 1420 هـ، 574/27.

(3) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، ط دار الكتب العلمية- بيروت، بدون رقم الطبعة 1419 هـ، 193/1.

قال الله ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[فصلت: 53]، وهذه الآية وجهت أنظار الخلق إلى النظر في أمرين لا ثالث لهما؛ وهما:

أ. **دلالة الآفاق:** إن المتأمل في خلق السموات والأرض وما بث الله ﷻ فيهما من آيات قدرته شاهدة على وحدانيته في ربوبيته؛ فالشمس والقمر بحكمة يتعاقبان، والنجوم زينة وعلامات يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر ورجوم للشياطين، والرياح لواقح، والماء بين عذب وملح أجاج؛ ومن كل يُستخرج الحلي والمرجان، وفيهما من الأحياء التي لا يوجد على البر لها مثيل، إلى غير ذلك من عظيم آلائه سبحانه.

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[آل عمران: 190-191]؛ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:"وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك، وعلى سائر خلقه، بأنه المدبر المصرّف الأشياء والمسخِّر ما أحب، وأن الإغناء والإفقار إليه وبيده، فقال جل ثناؤه: تدبروا أيها الناس واعتبروا؛ ففيما أنشأته وخلقته من السموات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم، وفيما عقَّبت بينه من الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم، تتصرفون في هذا لمعاشكم، وتسكنون في هذا راحة لأجسادكم معتبر ومدكر، وآيات وعظات، ...فاعتبروا يا أولي الألباب".[2]

(1) أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو مُحَمَّد بن جرير بن يزِيد بن كثير بن غَالب الإِمَام الْجَلِيل الْمُجْتَهد الْمُطلق، من أهل آمل طبرستان، أحد أَئِمَّة الدُّنْيَا علماً وديناً، ولد سنة أَربع أَو خمس وَعشْرين وَمِائَتَيْنِ، وطاف الأقاليم طلباً للعلم، وله تصانيف كثيرة منها مثلاً؛ كتاب التَّفْسِير، وَكتاب التَّارِيخ، وَكتاب الْقرَاءَات وَالْعدَد والتنزيل، وَكتاب اخْتِلَاف الْعلمَاء وتاريخ الرِّجَال من الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ. يحْكى أَن مُحَمَّد بن جرير مكث أَرْبَعِينَ سنة يكْتب في كل يَوْم مِنْهَا أَرْبَعِينَ ورقة، وروى أَنه قَالَ لأَصْحَابه: أتنشطون لتفسير الْقُرْآن قَالُوا: كم يكون قدره فَقَالَ ثَلَاثُونَ ألف ورقة فَقَالُوا: هَذَا مِمَّا تفنى الْأَعْمَار قبل تَمَامه؛ فَاخْتَصَرَهُ في نَحْو ثَلَاثَة آلَاف ورقة، ثمَّ قَالَ: هَل تنشطون لتاريخ الْعَالم من آدم إِلَى وقتنا هَذَا قَالُوا :كم قدره فَذكر نَحوا مِمَّا ذكره في التَّفْسِير فأجابوه بِمثل ذَلِك فَقَالَ: إِنَّا لله مَاتَت الهمم؛ فَاخْتَصَرَهُ. توفى عَشِيَّة الْأَحَد ليومين بقيا من شَوَّال سنة عشر وثلاثمائة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، ترجمة رقم 122، 120/3-126.

(2) انظر: تفسير الطبري، 473/7-474.

ب. دلالـة الأنفس: ويقصد بها ما يراه الإنسان من نفسه التي بين جنبيه، كيف خلقت وسويت؟ وكيف ركبت أعضاؤه ومفاصله؟ وما إلى ذلك من وجوه الإعجاز في خلق الإنسان فضلاً عن غيره من المخلوقات الكثيرة، قال تعالى:﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات: 21]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"لما كان أقربَ الأشياءِ إلى الإنسانِ نَفْسُهُ دعاه خالِقُه وبارئه ومصورُه وفاطرُه من قطرة ماءٍ إلى التبصر والتفكر في نفسه؛ فإذا تفكر الإنسان في نفسه استنارت له آيات الربوبية".[1]

والقرآن قد دعا إلى التفكر في الآيات الكونية ثم أعقب بالدعوة إلى التفكر في النفس البشرية، وهذا؛ لأن الإنسان إذا قصر نظره وتأمله عن العلم بحقيقة ما عليه الكون قام له من بين جنبيه دليل على وحدانية ربه ﷻ، وتلك هي نَفْسُه، وفي ذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"جعل –الله ﷻ– لكل إنسان من بدنه ونفسه عالماً صغيراً، أوجد فيه مثال كل ما هو موجود في العالم الكبير، ليجري ذلك من العالم مجرى مختصر من الكتاب البسيط، يكون مع كل أحد نسخة يتأملها في الحضر والسفر، والليل والنهار، فإن نشط وتفرغ للتوسع في العلم نظر في الكتاب الكبير الذي هو العالم، فيطلع منه على الكون، ليغزر علمه، ويتسع فهمه، وإلا فليقنع بالمختصر الذي معه، ولهذا قال تعالى:﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات: 21]".[2]

ثانياً: دلالة حديث الاستخارة على توحيد الربوبية:

إن المتأمل أحاديث النبي ﷺ يجدها حافلة بالإشارات الدالة على توحيد الله ﷻ في الربوبية، وبالنظر في حديث الاستخارة نجد النبي ﷺ قد ابتدأه بقوله:(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ)، فافتتح الدعاء بـ "اللهم"؛ وأصلها: يَا الله[3]، والعرب قديماً وحديثاً لم تصرف هذه الكلمة عن معناها، بل لزمت المعنى المراد منها؛ وهو نفس التوجه إلى الله ﷻ لطلب ما يرجى منه تحقيقه، ولما كان الإنسان يهرع إلى طلب الاستشارة في كل أمر إلى من يثق به ويرجو نصيحته رغم علمه بأن عقله محدود وعلمه ناقص، كان النبي ﷺ يوجهنا إلى الاستخارة التي بها

---

(1) التبيان في أقسام القرآن، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط دار المعرفة– بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 303/1.

(2) الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت 502 هـ، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ط دار السلام– القاهرة، بدون رقم الطبعة 1428 هـ، 155/1.

(3) انظر: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي، ت 1094 هـ، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 172/1.

ننال التوفيق لما هو خير ممن وسع علمه السموات والأرض، فالنداء بـ"اللهم" في دعاء الاستخارة يتضمن إثبات إله حي عليم سميع بصير مريد قدير؛ وإلا لما كان للنداء فائدة، فكيف ينادى من لا يتصف بالحياة؟ أو السمع؟ أو العلم؟ أو البصر؟ أو الإرادة؟ أو القدرة على الخلق والفعل؟

وحديث الاستخارة تضمن إثبات العلم والقدرة لله ﷻ؛ فإن المسلم يتوجه إلى الله ﷻ بما أثبته لنفسه؛ وهو حقيقة الامتثال لما أمر به، قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة: 255]، فهذه آية الكرسي أعظم آية في القرآن الكريم متضمنة إثبات الصفات الأزلية القائمة بالله ﷻ من الحياة والقيومية والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والعلو، ولهذا أثبت النبي ﷺ في الاستخارة العلم لله ﷻ بداية؛ ليعلم المسلم أنه ينادي الذي أحاط علمه بكل شيء؛ فيركن عندئذ إلى علم الله ﷻ بحاجة العبد واضطراره إليه، فيكون من الأسباب المعينة له على إيقاع الدعاء المبني على فقه الألفاظ المستخدمة فيه، وهذا له أكبر الأثر في الإجابة.

وكذلك فإن النبي ﷺ أثبت في حديث الاستخارة القدرة المطلقة لله ﷻ؛ ليعلم العبد أنه يدعو رباً قادراً لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فليس ينادي مخلوقاً مثله لا يقدر إلا على ما يقدر هو، أو يزيد قليلاً، بل يدعو من له القدرة بأجمعها أن يقدّر له ما أراد، أو أن يجعل له قدرة على الفعل فيحصل بها ما يسعى إلى تحقيقه بالسبل الشرعية.

وتوعد الله ﷻ من يخالف أمره بإثبات القدرة له سبحانه على إرسال العذاب بأنواعه المختلفة، فقال الله ﷻ في محكم كتابه:﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[الأنعام: 65]، وهذه الآية متضمنة لإثبات قدرة مطلقة لله ﷻ؛ إذ إنه قادر على إرسال العذاب من الأعلى كما فعل بقوم سيدنا نوح ﷺ كالمطر والحجارة والطوفان، أو من الأسفل كالخسف، أو يخلطهم شيعاً ذوي أهواء متفرقة، ويُعْمِل فيهم القتال والقتل، وقال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"اعْلَمْ أَنَّ هَذَا نَوْعٌ آخَرُ مِنْ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ؛ وَهُوَ مَمْزُوجٌ بِنَوْعٍ مِنَ التَّخْوِيفِ، فَبَيَّنَ كَوْنَهُ تَعَالَى قَادِرًا عَلَى إِيصَالِ الْعَذَابِ إِلَيْهِمْ مِنْ هَذِهِ الطُّرُقِ

الْمُخْتَلِفَةِ"[1]؛ فالآية تضمنت إثبات القدرة لله ﷻ كما أثبتها النبي ﷺ في الاستخارة، وهذا من ضروب تصديق المصدرين لبعضهما.

وفي الاستخارة دلالة على أن الله ﷻ خالق أفعال العباد، وهذا مما اختلفت فيه الفرق قديماً وحديثاً وانقسموا لذلك طوائف؛ فمنهم القدرية والجبرية[2]، وهما فرقتان متقابلتان تقابل التضاد، كل منهما في جهة، فالأولى القدرية؛ وهم المعتزلة[3]، فقد غلوا في نفي القدر؛ فقالوا: أفعال العباد سواء من الطاعات والمعاصي، لا تدخل تحت قضاء الله ﷻ ومشيئته وقدره، وإنما العباد هم الفاعلون لها على الحقيقة؛ فالعبد هو الذي يخلق فعل نفسه، ويلزم من ذلك أن الله ﷻ لا يقدر أن يهدي ضالاً، ولا أن يضل مهتدياً، وعليه؛ فإن إضافة الله ﷻ الأفعال إلى العباد بأنواع الإضافة العامة؛ كقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾[التكوير: 28]، وبالإرادة كقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ .. ﴿٧٩﴾﴾[الكهف: 79]، وبالإضافة الخاصة؛ كإضافة الصلاة والصيام والقتل والسرقة والكفر وغيرها من الأفعال يمنع إضافتها إلى الله ﷻ بحال؛ كما أن أفعاله ﷻ يمنع إضافتها إليهم، فلا تجوز إضافة أفعالهم إليه ﷻ دونهم، ولا إليه معهم، وعليه؛ فإنها مضافة إليهم دونه.

ومذهبهم هذا تضمن حقاً وباطلاً؛ فإضافة الأفعال إلى الخلق حق لا ريب فيه، وهو حجة على الجبرية، ولكن القول بأن هذه الإضافة تمنع إضافتها إليه ﷻ ففيه إجمال وتلبيس؛ فإن قصدوا أن الأفعال لا تضاف إلى الله ﷻ من جهة أنه قام بها، ويوصف بها، وتجري أحكامها عليه فهو حق لا مراء فيه، ولكن إن قصدوا أنها واقعة دون علمه ومشيئته العامة فهذا باطل محض؛ فإنها معلومة له ﷻ ومقدرة منه ومخلوقة منه كذلك، ولا يمنع إضافتها إلى العباد إضافتها إليه؛ فالأعمال والأموال خلقه ومكله، وهو يضيفها لمن شاء من عباده، فالله ﷻ خلق الأموال وكاسبيها والأفعال وفاعليها.[4]

والقدرية خصماء الله ﷻ في القدر؛ لأنه لا يكمل إيمان المسلم إلا إذا سلم لله ﷻ في قضائه وقدره؛ خيره وشره، وقد روى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال يوم بدر: (اللهمَّ إنَّكَ إنْ تشأْ لَا تُعبَدْ في الْأَرْضِ)[5]، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قَالَ الْعُلَمَاءُ: فِيهِ التَّسْلِيمُ لِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى وَالرَّدُّ عَلَى غُلَاةِ

(1) تفسير الرازي، 20/13.

(2) سبق تعريفهما، راجع ص: 23، 74.

(3) انظر: الملل والنحل، 44/1.

(4) انظر: شفاء العليل، 443/2-444.

(5) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، حديث رقم 1743، 1363/3.

الْقَدَرِيَّةِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ الشَّرَّ غَيْرُ مُرَادٍ وَلَا مُقَدَّرٍ؛ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ"[1]، وروى ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال في القدرية:(**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ: إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ**)[2]، فأمر ﷺ المسلمين بعدم زيارة نفاة القدر أو شهادة جنائزهم، زجراً لهم عما أوقعوا أنفسهم فيه من تكذيب الله ﷻورسله الكرام وإبطال الشرائع التي جاءوا بها.

وعلى النقيض من القدريةِ الجبريةُ؛ وهم الجهمية[3]، وقد غلت في إثبات القدر لله ﷻ، فزعموا أن العبد مجبور على فعله، فلا إرادة له ولا قصد ولا اختيار؛ فهو كالريشة في مهب الريح، فإذا فعل طاعة أو فعل معصية، فإنما ذلك فعل الله ﷻ على الحقيقة، وإنما تنسب الأفعال إلى الإنسان على سبيل المجاز [4] كما تنسب إلى الجمادات؛ كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس وغربت، وتغيمت السماء وأمطرت، واهتزت الأرض وأنبتت، إلى غير ذلك، وعليه؛ فالثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال كلها جبر، تعالى الله عن ما يقول هؤلاء وأولئك علواً كبيراً.

وبإمعان النظر في قول الجبرية فإنه يلزم منه بطلان التوحيد وبطلان الشرائع، ونفي المدح والذم؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"لو صح الجبر لبطلت الشرائع وبطل الأمر والنهي، ويلزم من بطلان ذلك بطلان الثواب والعقاب"[5]، وهذا ما قاله الصحابي علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد منصرفه من صفين إذ أقبل شيخ فجثا بين يديه ثم قال له: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام؛ أبقضاء من الله ﷻ وقدر؟ فقال له: أجل يا شيخ؛ كله بقضاء من الله ﷻ وقدر، فقال

---

(1) المنهاج، 48/12.

(2) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم 4691، 222/4، قال الإمام الألباني: حسن. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 4691، 143/3.

(3) انظر: الملل والنحل، 85/1.

(4) المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له؛ كلفظ الأسد والحمار إذا أريد بهما البهيمة، أو أريد بهما الشجاع والبليد. والحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ، وهذا التقسيم اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة، وأول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى؛ ولكنه لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة؛ وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية، ولهذا قال من قال من الأصوليين – كأبي الحسين البصري وأمثاله – إنما تعرف الحقيقة من المجاز بطرق منها: نص أهل اللغة على ذلك بأن يقولوا: هذا حقيقة وهذا مجاز، وقد تكلم بلا علم، فإنه ظن أن أهل اللغة قالوا: هذا ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة ولا من سلف الأمة وعلمائها؛ ولكنه اصطلاح حادث والغالب أنه من المعتزلة ونحوهم من المتكلمين. انظر: الإيمان، لأحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي– الأردن، ط الخامسة 1416 هـ، 73/1،75.

(5) شفاء العليل، 411/1.

الشيخ: عند الله أحتسب عنائي، فقال له: مه يا شيخ؛ فو الله لقد عظّم الله لكم الأجر في مسيركم ومقامكم ومنصرفكم، فقال الشيخ: كيف ولم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا مضطرين وكان بالقضاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا، فقال له: وتظن أنه كان قضاءً حتماً وقدراً لازماً؛ إنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب؛ تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان، وخصماء الرحمن، وحزب الشيطان، إن الله ﷻ كلف تخييراً، ونهى تحذيراً، ولم يُعْصَ مغلوباً، ولم يُطَعْ مكرهاً.(1)

فالجبر منافٍ للتوحيد من جهة أن الشهادتين تتضمنان إثبات صفات الكمال والجلال للإله المستحق للعبادة؛ فالله ﷻ تتوجه إليه النفوس، وتتعلق به القلوب، وتصمد إليه بالحب والخوف والرجاء، وهذا من أجلّ ما جاءت به الرسل، والقول بالجبر ينفي قدرة الإنسان الحادثة، ويثبتها لله ﷻ فقط، وعليه؛ إن وقع الفعل من الإنسان فالفاعل هو الله ﷻ على الحقيقة، وينسب الفعل للإنسان مجازاً؛ لأن الله ﷻ يأمر العبد بما لا قدرة له على فعله، وينهاه عن ما لا قدرة له على تركه، وهنا يضيع التوحيد ويبطل الثواب والعقاب؛ إذ كيف يتوجه الناس لمن لا حكمة له في الأمر والنهي، ولا عدل له في حسابه العباد على أفعال ليس لهم قدرة على فعلها أو في تركها.

والطائفة الأسعد بالرأي هم أهل السنة والجماعة، وهم سلف الأمة الذين تلقوا العقيدة الصحيحة من رسول الله ﷺ ونقلوها إلى من بعدهم؛ جيلاً بعد جيل، وهم الوسط بين الفرقتين السابقتين، الذين إن تأملنا مقالتهم؛ لتبيَّن لنا أن كل دليل صحيح تقيمه الجهمية في مذهبها فهو يدل على أن الله خالق كل شيء؛ ومنها أفعال العباد، وأنه ما شاء الله ﷻ كان، وما لم يشأ لم يكن، وكذلك فإن كل دليل صحيح تقيمه المعتزلة، فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد ومختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله ﷻ، أو أنه واقع بغير قضائه ومشيئته وقدرته، وعليه؛ فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى الحق الذي مع الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن، وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله، ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.(2)

---

(1) انظر: الوافي، للفيض الكاشاني، محمد محسن بن الشاه مرتضى ابن الشاه محمود، ت 1091 هـ، تحقيق: ضياء الدين الحسيني الأصفهاني، ط مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي– أصفهان بإيران، ط الأولى 1406هـ، 536/1–538.

(2) انظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات، لأحمد بن عطية بن علي الغامدي، ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية– المدينة المنورة، ط الثانية 1423 هـ، 402/1.

ومذهب السلف الصالح أن قدرة العبد مرتبطة بقدرة الله ﷻ، فقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾[الزمر: 62]؛ يتضمن إثبات الخلق لله ﷻ، وأنه المتفرد في الإيجاد، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ...٣٠﴾[الإنسان: 30]، دليل على أن مشيئة العباد واقعة بمشيئة الله تعالى، فأفعالنا كسب لنا ووقعت بإرادة منا واختيار، وعلى هذا الأساس وقع المدح والذم، والثواب والعقاب.

وكذلك فإن من معاني الرب في اللغة على ما تقدم؛ المالِك، وَالسَّيِّدِ، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنْعِم، ولا يكون من اتصف بهذه الأوصاف كذلك إلا إذا قدم الأصلح لمن يرعى، وتصرف في كل شيء بحكمة، وبالتأمل في حديث الاستخارة نرى أن النبي ﷺ قال: (اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ)، أي؛ قدِّم لي يا الله الألطف والأصلح، ولا ينحصر هذا التقدير في أمور الدنيا العاجلة فقط، بل في أمور الدين والدنيا على السواء؛ والعاجلة منهما والآجلة، ﴿...ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾[يوسف: 38].

المطلب الثاني

دلالة حديث الاستخارة على توحيد الألوهية

أولاً: تعريف توحيد الألوهية لغة واصطلاحاً، وفهم السلف له.

1. توحيد الألوهية لغة واصطلاحاً: سبق في المطلب السابق تعريف التوحيد، وفيما يأتي تعريف الألوهية.

أ. الألوهيـة لغـة: من "أَلَه؛ الْهَمْزَةُ وَاللَّامُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ. فَالْإِلَـهُ اللهُ تَعَالَى، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مَعْبُودٌ. وَيُقَالُ: تَأَلَّهَ الرَّجُلُ: إِذَا تَعَبَّدَ".[1]

و"أَلَهَ يَأْلَهُ إِلَاهَةً، أَيْ؛ عَبَدَ، ومنه قراءة عبد الله بن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿...وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ...﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف: 127]، بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ، أَيْ؛ وَعِبَادَتَكَ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ يُعْبَدُ. وَمِنْهُ قَوْلُنَا: اللهُ؛ وَأَصْلُهُ إِلَاهٌ عَلَى فِعَالٍ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ؛ لِأَنَّهُ مَأْلُوهٌ أَيْ مَعْبُودٌ، كَقَوْلِنَا: إِمَامٌ بِمَعْنَى مُؤْتَمٍّ بِهِ".[2]

"وَالْإِلَهُ الْمَعْبُودُ وَهُوَ اللَّهُ ﷻ، ثُمَّ اسْتَعَارَهُ الْمُشْرِكُونَ لِمَا عَبَدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﷻ، وَالْجَمْعُ آلِهَةٌ..... وَأَمَّا اللَّهُ فَقِيلَ غَيْرُ مُشْتَقٍّ مِنْ شَيْءٍ، بَلْ هُوَ عَلَمٌ لَزِمَتْهُ الْأَلِفُ وَاللَّامُ".[3]

و"الْفرق بَين الْإِلَه والمعبود بِحَق؛ أَن الْإِلَه هُوَ الَّذِي يحِق لَهُ الْعِبَادَة فَلَا إِلَه إِلَّا الله، وَلَيْسَ كل معبود يحِق لَهُ الْعِبَادَة؛ أَلا ترى أَن الْأَصْنَام معبود والمسيح وَلَا يحِق لَهُ وَلها الْعِبَادَة".[4]

وإذا جاء لفظ إِلَه مُنكَّراً؛ فهو بمعنى المعبود مطلقاً؛ بحق كان أو بباطل، إلا أنه يُحْمَلُ في كلمة التوحيد على المعبود بالحق فقط، وحاصل ما عليه المحققون هو أن اسم الإله كان وصفاً لذات الحق بالألوهية الجامعة لجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا، والحيطة بجميع معاني اشتقاقاته العظمى، فصار بغلبة استعماله فيه لعدم إمكان تحقق تلك الجمعيات في غيره عَلَماً له، فجرى سائر أوصافه عليه بلا عكس؛ وتعين كلمة التوحيد علامة للإيمان، ولم يعلم له مسمى في

---

(1) مقاييس اللغة، 127/1.

(2) مختار الصحاح، لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ت 666 هـ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط المكتبة العصرية– بيروت، ط الخامسة 1420 هـ، 20/1–21. وتاج العروس، 320/36.

(3) المصباح المنير، 19/1–20.

(4) الفروق اللغوية، 185/1.

اللسان؛ لأن الله ﷻ قبض الألسن عن أن يدعى به أحد سواه، وكما تاهوا في ذاته وصفاته لاحتجابها بأنوار العظمة وأستار الجبروت، كذلك تحيروا في اللفظ الدال عليه أنه اسم أو صفة، مشتق أو غير مشتق، علم أَو غير علم، إلى غير ذلك، كأنه انعكس إليه من مسماه أشعة من تلك الأنوار فقصرت أعين المستبصرين عن إدراكه.[1]

ب. **توحيد الألوهية اصطلاحاً:** لما جاءت لفظة الإله في اللغة دالة على معنى العبادة، كان تعريفها في الاصطلاح قد ناله نصيب من ذلك، فصار توحيد الألوهية:"صرف جميع أنواع العبادة الظَّاهرة والباطنة لله ﷻ دون شرك أو رياء؛ كالخوف والرَّجاء والصَّلاة والزَّكاة".[2]

وهو "توحيد الله من عباده بجميع ما يفعلونه مما ينوبهم، ومما شرع لهم من العبادات التي تعبَّدهم بها".[3]

وهو "إفراد الله بالعبادة، ومبناه على إخلاص التأله لله تعالى في العبادات كلها؛ ظاهرها وباطنها، لا يُجعل فيها شيء لغيره؛ لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، فضلاً عن غيرهما".[4]

ولما كان توحيد الألوهية يستلزم إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادات وصدق التوجه إليه عند كل نائبة، والتوكل عليه، كان لابد أن من تعريف العبادة حتى تتضح الصورة أكثر.

2. تعريف العبادة لغة واصطلاحاً:

أ. **العبادة لغة:** قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"الْعِبَادَة فِي اللُّغَة: الطَّاعَة مَعَ الخضوع. وَيُقَال طريقٌ مُعَبَّدٌ؛ إِذا كَانَ مذلَّلاً بِكَثْرَة الْوَطْء، وبعيرٌ مُعَبَّد إِذا كَانَ مَطْلِيًّا بالقَطِران".[5] وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَول الله ﷻ: ﴿..**وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧**﴾[المؤمنون: 47]، أَي؛ دائنون، وكل من دَان لملكٍ فَهُوَ عَابد لَهُ...

---

(1) انظر: الكليات، 172/1. والقاموس الفقهي، 22/1.

(2) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض، ط الأولى 1411 هـ، 18/1. وانظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر، ت 1424 هـ، ط عالم الكتب، ط الأولى 1429 هـ، 114/1. والدين الخالص، لمحمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، ت 1253 هـ، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1415 هـ، 43/1.

(3) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، لعبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الدوسري، ت 1399 هـ، ط مكتبة دار الأرقم- الكويت، ط الأولى 1402 هـ، 16/1.

(4) التوحيد أولاً، لناصر بن سليمان العمر، ط دار الوطن- الرياض، ط الأولى 1413 هـ، 19/1-20.

(5) تهذيب اللغة، 138/2. ولسان العرب، 273/3.

وفلَان عَابِد؛ أي خاضع لربّه، مستسلم لقضائه، منقاد لأَمره.[1] "وَأَصْلُ الْعُبُودِيَّةِ الْخُضُوعُ وَالذُّلُّ، .... والْعِبَادَةُ الطَّاعَةُ. وَالتَّعَبُّدُ التَّنَسُّكُ".[2]

ب. العبادة اصطلاحاً: قال الإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]:"العِبَادةُ: فعل خَلُصَ لله بِالِاخْتِيَارِ تَعْظِيمًا لَهُ بِإِذْنِهِ"[4]. أو هي:"فعل المكلف على خلاف هوى نفسه؛ تعظيمًا لربه ﷻ".[5]

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"[6]، أو هي "الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلل والخضوع المتجاوز لتذلل بعض العباد لبعض، ولذلك اخْتُصَّ الرب؛ فهي أخص من العبودية؛ لأنها التذلل".[7]

وبالتأمل فيما سبق يتبين أن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، وهي متضمنة ثلاثة أركان؛ وهي: المحبة والخوف والرجاء، ولابد من اجتماعها، فمن تعلق بواحد منها فقط لم يكن عابداً لله تمام العبادة.[8]

3. فهم السلف لتوحيد الألوهية:

إن إفراد الله ﷻ بالعبادة هو من أشرف ما جاءت به الرسل، قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ**

---

(1) انظر: تهذيب اللغة، 140/2.

(2) مختار الصحاح، 198/1.

(3) السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الحافظ جلال الدّين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري السّيوطي الشافعي المسند المحقّق المدقّق. ولد بعد مغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، حفظ القرآن وكثيراً من المتون في صغره، وصنف التصانيف الكثيرة الجامعة النّافعة المتقنة المحرّرة المعتمدة المعتبرة، فنافت عدتها على خمسمائة وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه رجالاً وغريباً ومتناً وسنداً واستنباطاً للأحكام منه، وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث. قال: ولو وجدت أكثر لحفظته. قال: ولعله لا يوجد على وجه الأرض الآن أكثر من ذلك. ورأى أن النبيّ ﷺ يقول له:"هات يا شيخ الحديث"، وتوفي في عام 911 هـ. انظر: شذرات الذهب، 74/10-79. والأعلام، 301/3-302.

(4) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت 911 هـ، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة، ط مكتبة الآداب- القاهرة، ط الأولى 1424 هـ، 75/1.

(5) التعريفات، 146/1.

(6) مجموع الفتاوى، 149/10.

(7) التوقيف على مهمات التعاريف، 235/1.

(8) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، 19/1.

﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾[النحل: 36]، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"ولقد بعثنا أيها الناس في كلّ أمة سلفت قبلكم رسولاً كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة"[1]، ولو أمعن ذو النظر في بعثة هؤلاء الرسل بهذه الدعوة لتبين له أنهم إنما بعثوا بأمر هام جداً؛ حيث تعاقب على تبليغه فئات من الناس زمناً بعد زمن، وقاتلوا من أجله أعداء الله ﷻ، وشردوا من ديارهم بسببه، وقتل من أجله كثير منهم ومن أتباعهم.

روى عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال:(أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)[2]، قوله: أمرت، أي؛ أمرني الله ﷻ؛ لأنه لا آمر لرسول الله ﷺ إلا الله ﷻ، فالنبي ﷺ مأمور بمقاتلة الناس حتى يوحدوا الله ﷻ في ألوهيته، ولابد مع توحيد الألوهية من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وفي الحديث دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر، والاكتفاء في قَبول الإيمان بالاعتقاد الجازم خلافاً لمن أوجب تعلم الأدلة على ذلك الاعتقاد، وفيه ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد الملتزمين بالشرائع، وقبول توبة الكافر من كفره من غير تفصيل بين كفر ظاهر أو باطن.[3]

فتوحيد الألوهية من أعظم الأصول التي قررها القرآن الكريم والسنة النبوية، وأقام عليه من الدلائل والبراهين ما لم يقمه على غيره؛ فتوحيد العبادة هو أول الدين وآخره، وظاهر دين الإسلام وباطنه، وهو الأصل الذي لا يقبل الله ﷻ من الناس سواه؛ قال تعالى:﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾[آل عمران: 85]، وما خلق الله ﷻ الجن والإنس إلا لإفراده في العبادة حيث قال سبحانه:﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾[الذاريات: 56]، فأوجب الله ﷻ العبادة على جميع خلقه؛ لأنه المألوه بحق، إذ هو الخالق لهم، والرازق، والمحيي، والمميت، والمدبر لأمورهم، والمصلح لشؤونهم، وبإمعان النظر في القرآن الكريم يتبين أنه تضمن الدعوة إلى توحيد الألوهية بالأمر به، أو بما يستلزمه، أو بالنهي عن ضده، أو بإقامة الأدلة والحجج عليه، أو ببيان جزاء أهله في الدارين، والفرق بينهم وبين المشركين.

---

(1) تفسير الطبري، 201/17.

(2) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بابٌ:[فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ][التوبة: 5]، حديث رقم 25، 14/1.

(3) انظر: فتح الباري، 76/1-77.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"الله ﷻ خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ومحبته والإخلاص له فبذكره تطمئن قلوبهم؛ وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم، ولا شيء يعطيهم في الآخرة أحب إليهم من النظر إليه؛ ولا شيء يعطيهم في الدنيا أعظم من الإيمان به. وحاجتهم إليه في عبادتهم إياه وتألههم كحاجتهم وأعظم في خلقه لهم وربوبيته إياهم؛ فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم؛ وبذلك يصيرون عاملين متحركين، ولا صلاح لهم ولا فلاح؛ ولا نعيم ولا لذة؛ بدون ذلك بحال. بل من أعرض عن ذكر ربه فإن له معيشة ضنكاً ويحشره يوم القيامة أعمى؛ ولهذا كان الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ولهذا كانت لا إله إلا الله أحسن الحسنات، وكان التوحيد بقول: لا إله إلا الله؛ رأس الأمر ".[1]

ونفى القرآن الكريم الشريك عن الله ﷻ بدليل عقلي جلي فقال تعالى:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[الأنبياء: 22]، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"فإن صلاح السموات والأرض والخلائق بأن تأله الإله الحق، فلو كان فيهما إله آخر غير الله ﷻ لم يكن إلهاً حقاً؛ إذ الإله الحق لا شريك له ولا كفء له، فلو تألَّه غيره لفسدت كل الفساد بانتفاء ما به صلاحها، إذ صلاحها بتألُّه الإله الحق كما أَنها لا توجد إلا باستنادها إلى الرب الواحد القهار، ويستحيل أَن تستند في وجودها إلى ربين متكافئين، فكذلك يستحيل أَن تستند في بقائها وصلاحها إلى إلهين متماثلين. فاعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل، والتعظيم، والسجود، والتقرب، أَعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به؛ فإِن حقيقة العبد روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له، ورضاه وإكرامه لها".[2]

إن إفراد الله ﷻ بالعبادة قد خصه النبي ﷺ بمساحة من أقواله ليست بالقليلة؛ درءاً بالمسلمين -حديثي العهد بالجاهلية خاصة- من أن يقعوا في الشرك الذي لا يغفره الله ﷻ أبداً، فعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ:(قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ

(1) مجموع الفتاوى، 23/1.

(2) طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، ط دار السلفية- القاهرة، ط الثانية 1394 هـ، 57/1-58.

خَلَقَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ)[1].

وقد ترجم الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد أبواب صحيحه بالتالي:"بَابُ لاَ يَقُولُ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَهَلْ يَقُولُ أَنا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ؟"[2]، وهذه ترجمة حديث الثلاثة من بني إسرائيل؛ الأبرص والأقرع والأعمى، فإن رسول الله ﷺ قد ذكر خبرهم وبيَّن أن المَلَكَ قد قال:(. . . رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ. . .)[3]؛ فجرى على لسان المَلَكَ إفراد الله ﷻ بالقسم وهو من لوازم توحيده في ألوهيته سبحانه، وهو ما يجب على المسلمين إتباعه، وهو ما قاله النبي ﷺ لرجل قال له:(مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ قَالَ: جَعَلْتَ لِلَّهِ نِداً؛ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ)[4].

ولما كان توحيد الألوهية سبباً في دخول الجنة والنجاة من النار حرص السلف على التزام العبادة، ومراقبة المنسوب الإيماني لديهم في كل حين؛ فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الأنفال: 2]، وقال ﷻ:﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[التوبة: 124–125]، وقال ﷻ:﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾[آل عمران: 173]، وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بأن الله أنزلها، بل زادتهم إيماناً بحسب مقتضاها، فإن كانت أمراً بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة، وإن كانت نهياً عن شيء انتهوا عنه فكرهوا؛ ولهذا قال:﴿ ..وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[التوبة: 124]؛ والاستبشار غير مجرد التصديق".[5]

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب إثم الزناة، حديث رقم 6811، 164/8.

(2) المصدر السابق، كتاب الأيمان والنذور، بَابُ لاَ يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَهَلْ يَقُولُ أَنَا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ؟، 133/8.

(3) المصدر السابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حديث رقم 3464، 171/4.

(4) الأدب المفرد، باب قول الرجل: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، حديث رقم 783، 420/1، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح الأدب المفرد، حديث رقم 601، 292/1.

(5) الإيمان، 180/1–181.

فالصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا الأحرص على ملاحظة إيمانهم فعَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] قَالَ: (لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ).[2] فحنظلة الكاتب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يبوح بما جال في خاطره وحدثت به نفسه من المغايرة بين الحال التي يكون فيها عند النبي ﷺ والحال بعد الخروج من عنده، فقوله:(نَافَقَ حَنْظَلَةُ) تعني أنه يخاف النفاق؛ حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق إظهار ما يكتم خلافه من الشر؛ فخاف أن يكون ذلك نفاقاً فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق، وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك، ساعة وساعة أي ساعة كذا وساعة كذا.[3] وهكذا كان السلف كلهم في أحوال معاشهم؛ بين ساعة فكر وساعة مشي في

---

(1) حنظلة الأسيدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو حنظلة بن الربيع، ويقال: ابن ربيعة، والأكثر ابن الربيع بن صيفي الكاتب الأسيدي التميمي، يكنى أبا ربعي، من بنى أسيد بن عمرو بن تميم، من بطن يقال لهم بنو شريف، وبنو أسيد بن عمرو بن تميم من أشراف بني تميم. وهو أسيد بكسر الياء وتشديدها، وهو ابن أخي أكثم بن صيفي حكيم العرب. وحنظلة أحد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ؛ ويعرف بالكاتب، وشهد القادسية، وهو ممن تخلف عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قتال أهل البصرة يوم الجمل، جل حديثه عند أهل الكوفة، ولما توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جزعت عليه امرأته فنهتها جاراتها وقلن: إن هذا يحبط أجرك، فقالت: تَعَجَّبَتْ دَعْدُ لِمَحْزُونَةٍ ..... تَبْكِي عَلَى ذِي شَيْبَةٍ شَاحِبِ

إِنْ تَسْأَلِينِي اليَوْمَ مَا شَفَّنِي ... أُخْبِرْكِ قَوْلاً لَيْسَ بِالكَاذِبِ

إِنَّ سَوَادَ العَيْنِ أَوْدَى بِهِ ..... حُزْنٌ عَلَى حَنْظَلَةَ الكَاتِبِ

وتوفي حنظلة الكاتب في إمارة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا عقب له. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 548، 379/1–380. وأسد الغابة، ترجمة رقم 1280، 84/2.

(2) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا، حديث رقم 2750، 1260/2–1261.

(3) انظر: المنهاج، 66/17–67.

مناكب الأرض، ولذلك كان الواحد منهم إذا تعب من الدنيا وهمومها قال لصاحبه:(اجلِس بِنَا نُؤمِن سَاعَة).[1]

بل جعل الله ﷻ أسباب الاستخلاف في الأرض والتمكين لعباده لازماً عن توحيده في العبادة فقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[الروم: 60]، قال الطبري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:"أي؛ يخضعون لي بالطاعة ويتذللون لأمري ونهيي، ... ولا يشركون في عبادتهم إياي الأوثان والأصنام ولا شيئاً غيرها، بل يخلصون لي العبادة فيفردونها إليَّ دون كل ما عبد من شيء غيري".[2]

والاستخارة تنفي استحقاق غير الله ﷻ بصفة من صفات التذلل والانقياد؛ فهي نافية للتوسل بغير الله ﷻ، أو التمسح بقبور الصالحين، أو الحلف بهم أو رجاء الحاجات منهم[3]، فإفراد الله ﷻ بالعبادة ركيزة دين الإسلام، ومفتاح دار السلام، وهو الحق الذي لا يقبل الله ﷻ من الخلق سواه، ولو حاول المرء إيراد ما ورد في تقرير هذا الأصل لما أحصاه، وفيما ذكر كفاية وغنية؛ فقليله دال على كثيره، ومصدق بعضه بعضاً.

ثانياً: دلالة حديث الاستخارة على توحيد الألوهية:

بالنظر في أدلة تقرير توحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة بشتى أشكالها؛ من صحيح التوجه والدعاء والتوكل والخضوع والتذلل وما نحا نحوه، نرى أن النبي ﷺ قد ضمّن الاستخارة ألواناً من هذه الأدلة؛ فعندما أرشدنا ﷺ إلى صلاة الاستخارة ابتداء فهذه دلالة واضحة على إفراد الله ﷻ بضرورة التوجه إليه والتوكل عليه، وقصده دون غيره بسؤال قضاء الحاجات.

فقول النبي ﷺ:(إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ)، فيه دليل على احترام المسئول المُتَوَجَّهِ إليه لتحقيق الأمر؛ فالعبد لا يسأل ربه ﷻ في أي أمر عَنَّ لباله فيحصل له أن يتوجه إلى الله ﷻ بشيء لا

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ:(بني الإسلام على خمس)، والقول لمعاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، 10/1.

(2) تفسير الطبري، 209/19.

(3) سيأتي بيانه في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

يهتم هو بـه أصـلاً، بل الـصحيح أن يسأله فيما أراد وقصد فعلـه؛ فيكون عندئذ قد أظهـر صـدق توجهه إلى مولاه، وهذا ما تم بيانه عند شرح الحديث كاملاً.[1]

وقول النبي ﷺ: (فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ)، دليل على ضرورة التطوع لله ﷻ عند إرادة حصول مطلوب، وهذا مما يزيد الإنسان تقرباً إلى بارئه ﷻ، ويدنيه من حبه وعفوه ورضوانه، فقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربـه ﷻ: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)[2]، قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الأمر بالفرائض جازم، ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين، وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب، فكانت الفرائض أكمل؛ فلهذا كانت أحب إلى الله تعـالى، وأشـد تقريبـاً، وأيـضا فـالفرض كالأصـل والأس، والنفـل كـالفرع والبنـاء، وفـي الإتيـان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الآمر، وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية؛ فكان التقرب بذلك أعظم العمل، والذي يؤدي الفرض قد يفعله خوفاً من العقوبة، ومؤدي النفل لا يفعله إلا إيثاراً للخدمة؛ فيجازى بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته".[3] فمن أراد من الله ﷻ أن يقضي له الخير الذي يريد توجه إليه بالعبادة مباشرة؛ فهي مفتاح الإجابة، وسبيل الوصول إلى المطلوب بأقصر الطرق.

ولذلك كانت صلاة الركعتين مقدمة على دعاء الاستخارة، لما في ذلك من الجمع بين خيري الدنيا والآخرة، فقال ابن أبي جمرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن الحكمة هنا هي أنه لما أنْ كان هذا الدعاء من أكبر الأشياء؛ إذ أنه ﷺ أراد به الجمع بين صلاح الدين والدنيا والآخرة، فطالِب هذه الحاجة يحتاج إلى قرع باب المَلِك بأدب وحال يناسب ما يطلب، ولا شيء أرفع مما يقرع به باب المولى من الصلاة؛ لما فيها من الجمع بين التعظيم لله سبحانه، والثناء عليه، والافتقار إليه حالاً ومقالاً وذكره ﷻ وتلاوة كتابه الذي به مفاتح الخير من الشفاء والهدى والرحمة، وغير ذلك مما هو فيه منصوص".[4]

---

(1) راجع ص: 67.

(2) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم 6502، 105/8.

(3) فتح الباري، 343/11.

(4) بهجة النفوس، 88/2. وفتح الباري، 186/11.

وقوله:(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ)، توجه صادق إلى الله ﷻ الذي أحاط بكل شيء علماً، وذل لقدرته كل شيء، ولو تتبعنا تاريخ القرون الأولى الذين أشركوا لتبين لنا أن من دعا مع الله ﷻ إلها آخر لم يزعم أن إلهه الباطل مكافئ للإله الحق سبحانه، ولا يصلح للعبادة كذلك؛ ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾[الزمر: 3]؛ فالمشركون يعترفون بعدم صلاحية آلهتهم التي يدعون لشيء من صفات الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات، بل هي مجرد وسائط لا أكثر، وبذلك هم يثبتون بطلان ما هم عليه من اعتقاد وعمل.[1]

ولذلك قرر الله ﷻ أصلاً من أصول توحيده فقال: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[يونس: 31]، يقول الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ:"هذا الدرس كله لمسات وجدانية متتابعة، تنتهي كلها إلى هدف واحد: مواجهة الفطرة البشرية بدلائل توحيد الله وصدق الرسول، واليقين باليوم الآخر والعدل فيه. لمسات وجدانية تأخذ النفس من أقطارها، وتأخذ بها إلى أقطار الكون، في جولة واسعة شاملة؛ جولة من الأرض إلى السماء، ومن آفاق الكون إلى آفاق النفس".[2]

وقوله ﷺ:(وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ)، فيه دلالة على أن الإله الحق ﷻ له مطلق الفضل، إذ الإنعام منه إلى عباده متواصل؛ وهذه من أخص خصائص المعبود بحق، ونسبة القدرة إلى الله ﷻ ونفيها عن الإنسان ففيها إمعان في التبرؤ من الحول والطول؛ وهذا مما يزيد التذلل والخشوع لدى العبد فيكون ذلك أرجى لحصول ما يدعو به، وكذلك في نفي العلم، ثم إتباع النبي ﷺ بقوله:(وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ)؛ أي لا يشذّ عن علمك منها شيء، ولا يحيط أحد من خلقك منها بشيء، إلا ما علمته باطلاع على جزئياتها؛ ففيه لف ونشر غير مرتب، وكأن حكمة تشويش النشر الإشارة بتقديم العلم أولاً إلى عمومه، وبتقديم القدرة ثانياً؛ لأنها الأليق والأنسب بالمطلوب الذي هو الإقدار على فعل خير الأمرين، وكذلك فإنه

---

(1) انظر: عقيدة المؤمن: ص 54.

(2) في ظلال القرآن، 1778/3.

يتضمن ترك التعالم على الله ﷻ، واستعمال المسلم الأدب بحضرة من هو أعلم منه؛ لأن الواجب ألا يدّعي العلم عند من هو أعلم منه به؛ وذلك العلم.[1]

وفي التوجه إلى الله ﷻ بالدعاء تمام الدلالة على أنه المستحق للعبادة؛ فإنه لا معبود إلا الله ﷻ، والدعاء هو العبادة كما روى النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال:(الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر: 60]).[2]

وفي حديث الاستخارة أدب جم في باب الدعاء؛ إذ إنه يقدم تمجيد الله ﷻ قبل الشروع في طلب حصول الخير ودفع الشر؛ لأن تمجيد الله ﷻ سبب قوي لإجابة الدعاء، فعن النبي ﷺ أنه سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يُمَجِّدِ الله ﷻ، ولم يُصَلِّ على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ:(عَجِلَ هَذَا، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: -أَوْ لِغَيْرِهِ- إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ ﷻ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ).[3]

وكذلك فإن الاستخارة فيها عزم أكيد على الله ﷻ أن يقدر الخير أينما وجد، فإن المسلم مأمور أن يعزم مسألته ولا يعلقها على المشيئة؛ مع كونه معتقداً أن كل شيء بقدر الله ﷻ ومشيئته، ولا أحد يوجب على الله ﷻ فعل أي أمر، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:(إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يَقُلْ: اللهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّ اللهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ)[4]، وقال ﷺ:(لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لَا

---

(1) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، ت 1057 هـ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط دار المعرفة- بيروت، ط الرابعة 1425 هـ، 205/5. ومشكل الحديث وبيانه، لأبي بكر، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، ت 406 هـ، تحقيق: موسى محمد علي، ط عالم الكتب- بيروت، ط الثانية 1985م، 83/1. وإرشاد الساري، 217/9.

(2) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، حديث رقم 1479، 76/2، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 1479، 407/1.

(3) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، حديث رقم 1481، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 1481، 407/1-408.

(4) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، حديث رقم 2678، 1235/2.

مُكْرِهَ لَهُ)[1]، وزاد الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(... وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ)[2]، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"قال العلماء: سبب كراهته أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجَّه عليه الإكراه؛ والله تعالى منزه عن ذلك، وهو معنى قَوْله:(فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ) وقيل: سببها أن في هذه اللفظة صورة الاستغناء عن المطلوب منه".[3]

والاستخارة توجه صادق إلى الله ﷻ بالدعاء وعزم بيّن في رجائه قضاء الحاجات، وهذا من لوازم توحيده ﷻ في الألوهية بأن يصرف العبد أزمة أموره إليه سبحانه؛ لأنه المتصرف الحقيقي في هذا الكون الفسيح.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة؛ فإنه لا مكره له، حديث رقم 6339، 74/8.

(2) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، حديث رقم 2679، 1235/2-1236.

(3) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت 911 هـ، تحقيق: أبي إسحاق الحويني الأثري، ط دار ابن عفان- السعودية، ط الأولى 1416 هـ، 48/6.

المطلب الثالث

دلالة حديث الاستخارة على توحيد الأسماء والصفات

أولاً: تعريف توحيد الأسماء والصفات لغة واصطلاحاً، وفهم السلف له.

1. توحيد الأسماء والصفات لغة:

أ. الأسماء لغة: قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"اسمٌ هُوَ مشتقٌ من السُّمُو، وَهُوَ الرِّفْعة، وَالْأَصْل فِيهِ سِمْوٌ بِالْوَاو، وَجمعه أَسْماء، مثل قِنْو وأَقْناء، وَإِنَّمَا جُعِل الِاسْم تَنْويهاً على الدّلالة على الْمَعْنى؛ لأنّ الْمَعْنى تحتَ الِاسْم... والاسمُ رَسْمٌ وَسِمَةٌ يُوضَع على الشيءِ يُعرَف بِهِ".[1]

و"الاسْمُ هُوَ اللَّفْظُ المَوْضوعُ على الجَوْهَرِ أَو العَرَضِ للتَّميزِ، أَي ليفْصلَ بِهِ بعضَه عَن بعضٍ...وإنَّما جُعِلَ الاسْمُ تَنْويهاً بالدَّلالةِ على المَعْنى؛ لأَنَّ المَعْنى تَحْت الِاسْم".[2]

ب. الصفات لغة: ومفردها صفة، وأصلها وصف؛ فالْوَاوُ وَالصَّادُ وَالْفَاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ؛ هُوَ تَحْلِيَةُ الشَّيْءِ. وَوَصَفْتُهُ أَصِفُهُ وَصْفًا. وَالصِّفَةُ: الْأَمَارَةُ اللَّازِمَةُ لِلشَّيْءِ، كَمَا يُقَالُ وَزَنْتُهُ وَزْنًا، وَالزِّنَةُ: قَدْرُ الشَّيْءِ. يُقَالُ اتَّصَفَ الشَّيْءُ فِي عَيْنِ النَّاظِرِ: احْتَمَلَ أَنْ يُوصَفَ.[3]

وقال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"الوَصفُ: وصفُك الشيءَ بحليتهِ ونَعْتِه".[4] ومنها وصفت الشيء وصفاً وصفة، والهاء عوض من الواو. والصِفَةُ كالعِلْم والسَوادِ.[5]

2. توحيد الأسماء والصفات اصطلاحاً:

يجب العلم بداية أن توحيد الأسماء والصفات داخل في توحيد الربوبية، وهو القسم الثالث من أقسام التوحيد، وهذا القسم مما أنكره بعض المشركين قديماً؛ فعند كتابة نص الاتفاق في صلح الحديبية أمر النبي ﷺ علياً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فأنكر عليه المشركون

---

(1) تهذيب اللغة، 79/13.

(2) تاج العروس، 306/38.

(3) معجم مقاييس اللغة، 115/6.

(4) تهذيب اللغة، 174/12.

(5) انظر: الصحاح تاج اللغة، 1437/4-1439.

بدعوى أنهم لا يعرفون الرحمن الرحيم، وقالوا: اكتب باسمك اللهم[1]، وهؤلاء هم سلف الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في إنكار أسماء الله ﷻ وصفاته، وبئس السلف ولبئس الخلف.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"ومذهب السلف: أنهم يصفون الله ﷻ بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ؛ من غير تحريف[2]، ولا تعطيل[3]، ومن غير تكييف[4]، ولا تمثيل[5]، ونعلم أن ما وصف الله ﷻ به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي؛ بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه؛ لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد".[6]

والتعريف الاصطلاحي هو:"إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من صفات الكمال، ونفي ما نفاه الله ﷻ عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص على حد قوله تعالى:﴿ ...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى: 11]".[7]

3. فهم السلف لتوحيد الأسماء والصفات:

إن توحيد الأسماء والصفات مما اختلفت فيه الفرق قديماً وحديثاً؛ حتى ألفوا فيه الكتب وأقاموا عليه الحجج والبراهين، وردوا على خصومهم فيه ما لا تحصيه هذه السطور، وما ذلك إلا لانحراف في المنهج الذي سار عليه أولئك، ولو حكّموا بينهم شرع الله ﷻ وفق الفهم الصحيح الموافق للغة القرآن ومراده ﷻ منه، وتجرد كل منهم من هواه وفتح سويداء قلبه قبل أن يفتح عينيه، واهتم به وقدمه على ما سواه لما وقعت مشكلة، ولاستقامت الطريقة؛ ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم 2731، 193/3.

(2) التحريف: هو تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله ﷻ بها. انظر: حاشية كتاب العرش، 30/1.

(3) التعطيل: هو نفي أسماء الله ﷻ وصفاته أو بعضها. انظر: حاشية كتاب العرش، 30/1.

(4) التكييف: هو الخوض في كنه الصفات التي أثبتها الله ﷻ لنفسه وهيئتها. انظر: حاشية كتاب العرش، 30/1.

(5) التمثيل: هو الاعتقاد في صفات الخالق ﷻ أنها مثل صفات المخلوق. انظر: حاشية كتاب العرش، 30/1.

(6) مجموع الفتاوى، 26/5.

(7) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، 107/1.

إن منهج السلف أن صفات الله ﷻ من الأمور التوقيفية التي لا تعلم إلا بالخبر الصادق، فلا مجال للعقل في إثباتها ابتداء؛ بل العقل مصدق لما جاء به الخبر إن كان صحيحاً، قال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:"وَمذهب السّلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله، أو على لسان رسوله ﷺ من غير زيادة عليها ولا نقص منها، ولا تجاوز لها ولا تفسير، ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين، ولا سمات المُحْدثين؛ بل أمروها كما جاءت، وردوا علمها إلى قائلها، ومعناها إلى المتكلم بها".[2]

وزعم القدرية أن أسماء الله ﷻ مأخوذة من الاصطلاح والقياس، والأصل عند أهل السنة أنها توقيفية؛ فلا يجوز أن يوضع لله ﷻ اسمٌ لم يسمِ به نفسه ولم ينزله في كتابه ولم يسمه به رسوله ﷺ، والدليل على المنع من القياس في أسمائه ﷻ أن العبد لا يضع لمولاه اسماً كما لا يضع الولد لأبيه اسماً، وإنما يضعه الأب للولد والسيد للعبد؛ ولأن الله ﷻ موصوف بأسماء ولا يوصف بما في معناها، نحو صفته بأنه جواد كريم فلا يوصف بأنه سخيّ، ويقال: رحيم ولا شفيق؛ وفي هذا بطلان القياس في أسمائه تعالى.[3]

ولقد وقع الاختلاف قديماً في صفات الله ﷻ بدعوى أن القرآن الكريم محكم ومتشابه[4]، والحق أن القرآن الكريم كله محكم وكله متشابه؛ فهو محكم من جهة أنه لا اختلاف فيه ولا خلل

---

(1) ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقيّ الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين، فقيه، من أكابر الحنابلة، ولد في جماعيل من قرى نابلس بفلسطين في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة. تعلم في دمشق، وله تصانيف كثيرة؛ منها: المغني في الفقه، وروضة الناظر في أصول الفقه، وذمّ التأويل، ولمعة الاعتقاد. ورحل إلى بغداد سنة 561 هـ فأقام نحو أربع سنين، وعاد إلى دمشق، وفيها وفاته سنة عشرين وستمائة في يوم الفطر عن ثمانين سنة. انظر: ذيل التقييد، 27/2–28. والأعلام، 67/4.

(2) ذم التأويل، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، ت 620 هـ، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، ط الدار السلفية– الكويت، ط الأولى 1406 هـ، 11/1.

(3) انظر: أصول الدين، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، ت 29 هـ، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1423 هـ، 137–138.

(4) المحكم: المتقن؛ فإحكام الكلام إتقانه بتمييز الصدق من الكذب في أخباره، والرشد من الغي في أوامره، فالقرآن كله محكم، أي؛ إنه كلام متقن فصيح يميز بين الحق والباطل، والصدق والكذب. وهذا هو الإحكام العام. وأما المتشابه: هو تماثل الكلام وتناسبه بحيث يُصدِّق بعضه بعضاً، فالقرآن كله متشابه، أي؛ إنه يشبه بعضه بعضاً في الكمال والجودة، ويُصدِّق بعضه بعضاً في المعنى ويماثله، وهذا هو التشابه العام. وكل من المحكم والمتشابه بمعناه العام المتقدم لا ينافي الآخر، فالقرآن الكريم كله مُحكم بمعنى الإتقان، وهو متماثل يصدِّق بعضه بعضاً، فإن الكلام المُحكم المتقن تتفق معانيه وإن اختلفت ألفاظه، فإذا أمر القرآن بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، وإنما يأمر=

كالبناء الوثيق المتين، وكله متشابه أي يشبه بعضه بعضاً، ويصدق أولُه آخرَه، وآخرُه أولَه، وهو متفق غير مختلف، ومتشابه في التلاوة مختلف في المعاني.[1]

وينقسم كلا النوعين إلى قسمين؛ عام وخاص، ولا اختلاف في العام أبداً، وإنما وقع الاختلاف في المحكم الخاص والمتشابه الخاص، فقالوا:

أ. المحكم: ما عُرِف المراد منه. والمتشابه: ما استأثر الله ﷻ بعلمه.

ب. المحكم: ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا. والمتشابه: ما احتمل أوجهاً.

ج. المحكم: ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان. والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره.

ويمثلون للمحكم في القرآن بالناسخ والحلال والحرام والحدود والفرائض والوعد والوعيد. وللمتشابه: بالمنسوخ وكيفيات أسماء الله ﷻ وصفاته التي في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: 5]، وقوله تعالى: ﴿...كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٨٨﴾ [القصص: 88]، وقوله تعالى: ﴿...يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ... ۝١٠﴾ [الفتح: 10]، وأوائل السور المفتتحة بحروف المعجم وحقائق اليوم الآخر وعلم الساعة.[2]

=به أو بنظيره، وكذلك الشأن في نواهيه وأخباره، فلا تضاد فيه ولا اختلاف. انظر: مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف- الرياض، ط الثالثة 1421 هـ، 220/1-221.

(1) انظر: الموافقات، 308/3. وتفسير الطبري، 174/6.

(2) انظر: مباحث في علوم القرآن، 220/1-222.

- تحرير موضع النزاع:

كما اختلف في معنى المحكم والمتشابه بمعناهما الخاص فقد وقع الاختلاف أيضاً في إمكانية معرفة المتشابه، ومبتدأ الاختلاف اختلافهم في الوقف على قوله تعالى: ﴿ ..**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ** .. ﴾[آل عمران: 7][1]، فهل هو مبتدأ خبر يقولون، والواو للاستئناف، وأن الوقف لازم على قوله تعالى: ﴿ ..**وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ** .. ﴾؟ أو هو معطوف، ويقولون تقع حالاً، وأن الوقف على قوله تعالى: ﴿ ..**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ** .. ﴾؟.

وترتب على ما تقدم أن ادعى أقوام أن صفات الله ﷻ من قبيل المتشابه الخاص الذي لا يعلم تأويله إلا الله ﷻ، وفي الآتي بيان معنى التأويل في آية آل عمران لتتضح الصورة ويظهر الحق بإذن الله ﷻ.

1. ذهب إلى القول الأول جمع من الصحابة كابن مسعود وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وجمع من التابعين ومن بعدهم، مستدلين بأن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يقرأ: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ آمَنَّا بِهِ** ﴾[2]. وبقراءة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ **وَإِنْ تَأْوِيلُهُ إِلا عِنْدَ اللهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ** ﴾[3]، وبما روت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧** ﴾[آل عمران: 7] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ)[4]، وبما دلت عليه الآية من ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة.

---

(1) هي قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾[آل عمران: 7].

(2) المستدرك، كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، حديث رقم 3143، 317/2، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(3) المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ت 316 هـ، تحقيق: محمد بن عبده، ط الفاروق الحديثة– القاهرة، ط الأولى 1423 هـ، 175/1.

(4) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾[آل عمران: 7]، حديث رقم 4547، 33/6.

2. ذهب إلى القول الثاني جماعة على رأسهم مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] واختار هذا القول الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه على صحيح مسلم[2].[3]

ولفض النزاع في ذلك لابد من معرفة معنى التأويل المقصود في الآية؛ فالتأويل ورد على معانٍ ثلاثة:[4]

الأول: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو اصطلاح أكثر المتأخرين.

الثاني: التأويل بمعنى التفسير، فهو الكلام الذي يفسَّر به اللفظ حتى يُفهم معناه.

الثالث: التأويل؛ هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر الله ﷻ به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله ﷻ به عن اليوم الآخر هو نفسه ما يكون في اليوم الآخر على الحقيقة، ولذلك كان النَّبِيُّ ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي؛ يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ)[5].

وعند التحقيق فإن الرأي الأول هو الأصح؛ والوقف على لفظ الجلالة دل عليه أدلة كثيرة وعليه أصحاب رسول الله ﷺ وجمهور التابعين وجماهير الأمة. ولكن الله ﷻ لم ينف علمهم بمعناه وتفسيره، بل قال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص: 29]، وهذا يعم الآيات المحكمات والآيات المتشابهات، وما لا يعقل له معنى لا يتدبر، لذلك قال الله ﷻ:

---

(1) مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو مُجَاهِدُ بنُ جَبْرٍ أَبُو الحَجَّاجِ المَكِّيُّ الأَسْوَدُ الإِمَامُ، شَيْخُ القُرَّاءِ وَالمُفَسِّرِيْنَ، رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فَأَكْثَرَ وَأَطَابَ، وَعَنْهُ أَخَذَ القُرْآنَ، وَالتَّفْسِيْرَ، وَالفِقْهَ، وَعَنْ كثير من الصحابة أيضاً، وعرض القُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ثَلاَثِيْنَ مَرَّةً، وقَالَ: عَرَضْتُ القُرْآنَ ثَلاَثَ عَرْضَاتٍ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ، أَسْأَلُهُ: فِيْمَ نَزَلَتْ؟ وَكَيْفَ كَانَتْ؟، ومَاتَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَهُوَ سَاجِدٌ، سَنَةَ ثِنْتَيْنِ ومائَةٍ، وبلَغ إذ ذاك ثَلاَثاً وَثَمَانِيْنَ سَنَةً. انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم 175، 449/4–457. والأعلام، 278/5.

(2) انظر: المنهاج، 218/16.

(3) انظر: الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت 911 هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب– مصر، بدون رقم الطبعة 1394 هـ، 6/3. ومباحث في علوم القرآن، 222/1.

(4) انظر: مباحث في علوم القرآن، 223/1.

(5) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب التسبيح والدعاء في السجود، حديث رقم 817، 163/1.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد: 24]، ولم يستثن شيئاً منه نهى عن تدبره. والله ﷻ ورسوله ﷺ إنما ذما من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله؛ فأما من تدبر المحكم والمتشابه كما أمره الله ﷻ وطلب فهمه ومعرفة معناه فلم يذمه الله ﷻ، بل أمر بذلك ومدح عليه.[1]

وشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصحح الوقف على لفظ الجلالة ويؤكد على ذلك، ولكنه يثبت بأن معاني التنزيل كلها مفهومة لدى المخاطبين؛ هذا من حيث الألفاظ والتراكيب، لكن من حيث الحقيقة فهي محجوبة عن الخلق، وفي هذا قطع لمذهب أهل التفويض القائلين بأن في القرآن ما لا يفهم معناه، أو لا معنى له أصلاً.[2]

فمن قال بالوقف على لفظ الجلالة وجعل الراسخين في العلم استئنافاً إنما قصدوا المعنى الثالث للتأويل؛ أي الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، وأما الذين قالوا بالوقف على الراسخين في العلم إنما قصدوا المعنى الثاني للتأويل وهو التفسير؛ وهذا رأي مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبهذا يتبين أنه لا خلاف بين المذهبين في النهاية، وإنما منشأ الخلاف يرجع إلى الاختلاف في معنى التأويل.

ويرى شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن التشابه أمر نسبي؛ فقد يتشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره، ولكن ثَمَّ آيات محكمات لا تشابه فيها على أحد، وتلك المتشابهات إذا عرف معناها صارت غير متشابهة؛ بل القرآن كله محكم كما قال ﷻ: ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾[هود: 1]، وهذا مثل ما رواه النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال:(الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ...)[3]، وكذلك قولهم: ﴿ ...إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا... ﴿٧٠﴾ ﴾[البقرة: 70].[4]

ثانياً: دلالة حديث الاستخارة على توحيد الأسماء والصفات.

إن حديث الاستخارة بما حوى من الألفاظ الجامعة لمعاني الخير قد اشتمل على توحيد الأسماء والصفات، فقول النبي ﷺ:(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ..)، تضمن إثبات الحياة لله ﷻ والسمع والبصر، إذ ليس مناداة من لا تقوم به حياة ولا سمع ولا بصر عن ملاحظة

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى، 275/13.
(2) انظر: منهج الاستدلال، 452/2–459.
(3) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم 52، 20/1.
(4) انظر: مجموع الفتاوى، 144/13.

المنادي بمجدية، فبدء المستخير دعاءه بقوله:(اللَّهُمَّ) قد اشتمل على الأسماء الحسنى، فكلها إما متضمنة أو مستلزمة لاسم الله ﷻ؛ فناسب أن يقدمه المستخير بين يدي دعائه.

وسؤال الله ﷻ بعلمه تضمن إثبات صفة العلم له، ومناداة الله ﷻ بـ:(..وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ...) تدل على إرجاع العبد العلم كله لله ﷻ، وأن العبد لا يعلم من علم الغيب شيئاً؛ فمن ادعى ذلك فقد كذب وكفر، وسؤاله ﷻ بقدرته يتضمن إثبات القدرة له كذلك؛ فالعبد المسلم يسير مع التوحيد بشتى أقسامه، فتارة يتوجه إلى الله ﷻ بالافتقار؛ لأنه الرب المدبر، ويسعى إليه في بذل العبادة؛ لأنه الإله المستحق لأنواع العبادة كلها، وهو يتوجه إليه بتوحيد أسمائه وصفاته؛ لأنه أهل الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا تقوم بأحد من خلقه.

وسؤال العبد ربه ﷻ أن ييسر له أموره بمقتضى علمه السابق يثبت لله ﷻ علماً محيطاً حيث قال الله ﷻ:﴿ ...لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ...﴿٢٥٥﴾ ﴾[البقرة: 255]، فالله ﷻ هو العَّلام الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهذا يعني أن العبادة لا تنبغي لمن كان بالأشياء جاهلاً؛ فكيف يُعْبَدُ من لا يعقل شيئاً البتة من وثن وصنم؟! فينبغي إخلاص العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها ولا يخفى عليه صغيرها وكبيرها.[1]

وسؤال الله ﷻ بأن يقدم للعبد ما يصلح به حاله ومآله، إنما تضمن إثبات القدر لله ﷻ، والحكمة في تنفيذ ما يصلح به حال المؤمن، فتصرف الله ﷻ بالقدر قائم على إثبات الحكمة له في تصريفاته؛ فهو يقدر الشيء ويجعل له سبباً يستجلب به، فإذا فعل العبد السبب حصل المسبب، ومناداة الله ﷻ بأسمائه وصفاته يندرج تحت الأخذ بالأسباب، إذ إن من رام جلب مصلحة أو درء مفسدة عن نفسه توسل إلى من يملك له ذلك بأحب الأسماء إليه، وذكره بأحسن الأوصاف التي تجذب إليه قلبه، فيأمر له بقضاء حاجته، ولله المثل الأعلى.

وسؤال الله ﷻ أن يقدر الخير ويصرف السوء فيه أدب مع الله ﷻ؛ إذ إنه يتضمن نسبة الخير لله ﷻ وعدم نسبة الشر إليه، مع أنه تعالى يقول:﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ...﴿٦٢﴾ ﴾[الزمر: 62]، فتضمن حديث الاستخارة أن الله ﷻ خالق كل شيء، ولكنه فرق في أن الله ﷻ له إرادتان[2]؛ إرادة كونية قدرية وهي لابد من وقوعها، وإرادة دينية شرعية، والأمور كلها واقعة بتقدير

(1) انظر: تفسير الطبري، 397/5.

(2) سيأتي الكلام على أقسام الإرادة الإلهية في المبحث الثاني عند الحديث عن القضاء والقدر.

الله ﷻ الأزلي، وأما ما يحبه الله ﷻ للعبد ويرضاه فسوف ييسره له وفق إرادته الدينية الشرعية، فعَنْ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ فِي جنازة، فأخذ شيئاً فجعل ينكث به الأرض، فَقَالَ:(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ. . . .)[1].

وقول النبي ﷺ:(ثُمَّ أَرْضِنِي)، فيه بيان أن الرضا الموجود في بني آدم منه ما يحبه الله ﷻ، ومنه ما يكرهه ويسخطه، ومنه ما هو مباح لا من هذا ولا من هذا؛ كسائر أعمال القلوب من الحب والبغض، والدعاء والسؤال إما واجب أو مستحب، ومعلوم أن الله ﷻ يرضى بفعل الواجبات والمستحبات؛ والواجب على العبد أن يرضى بقضاء الله الذي أمر بالرضا به؛ إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أو يجب على العبد الرضا به؛ كالمعاصي، وهذا دليل بطلان احتجاج الْقَدَرِيَّة بأن الرضا بقضاء الله مأمور به، فلو كانت المعاصي بقضاء الله لكنا مأمورين بالرضا بها؛ والرضا بما نهى الله عنه لا يجوز.[2]

وسؤال الله ﷻ أن يُرْضِي العبد فيما اختاره له يتضمن إثبات صفة الرضا لله ﷻ؛ إذ إنه لأجلها سأل ربه ﷻ أن يرضيه فيما اختاره له، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ؒ:"والرضا من الله صفة قديمة؛ فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافقه على موجبات الرضا، ومن رضي الله ﷻ عنه لم يسخط عليه أبداً"[3]، وهذا في أمور العبد الآنية واعتبار ما سيكون في المستقبل، ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:"الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين، ومن أعظم أسباب حصول الرضا: أن يلزم ما جعل الله رضاه فيه. فإنه يوصله إلى مقام الرضا ولا بُد".[4]

---

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ:﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[الليل: 10]، حديث رقم 4949، 171/6.

(2) انظر: الاستقامة، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط جامعة الإمام محمد بن سعود– المدينة المنورة، ط الأولى 1403 هـ، 123/2–124.

(3) الصارم المسلول على شاتم الرسول، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، تحقيق: محمد ابن عبد الله الحلواني ومحمد كبير شودري، ط رمادي للنشر والتوزيع– السعودية، ط الأولى 1417 هـ، 1067/3–1068.

(4) مدارج السالكين، 172/2.

المبحث الثاني

دلالة حديث الاستخارة على الإيمان بالقضاء والقدر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحاً، وفهم السلف لهما.

المطلب الثاني: الاحتجاج بالقدر على المعاصي، وعلاقة الأخذ بالأسباب والدعاء بالقضاء والقدر.

المطلب الثالث: دلالة حديث الاستخارة على الإيمان بالقضاء والقدر.

المطلب الأول

تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحاً، وفهم السلف لهما

أولاً: القضاء لغة واصطلاحاً:

1. القضاء لغةً: قال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قضى في اللغة على ضروب كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه، وتعني الإعلَام، وهو قوله ﷻ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴿٤﴾﴾[الإسراء: 4]، أَي؛ أعلمناهم إعلاماً قَاطعاً. والْقَضَاء الفَصْلُ فِي الحكم، ومنه القَاضِي؛ لأنه يفصل بَين الخُصوم، وكلُّ مَا أُحكِم فقد قُضِيَ. وقضى الله عهداً مَعْنَاهُ: الوصيّة. وقضَى فلانٌ صلَاته، أَي؛ فرغ مِنْهَا. وَقضى عبرتَه، أَي؛ أخرجَ كلّ ما في رأسه.[1]

قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: وأَصل القضاء القَطْع وَالْفَصْلُ. يُقَالُ: قَضَى يَقْضِي قَضَاء فَهُوَ قاضٍ إِذا حَكَم وفَصَلَ. وقَضاء الشَّيْءِ إِحْكامُه وإِمْضاؤُه وَالْفَرَاغُ مِنْهُ؛ فَيَكُونُ بِمَعْنَى الخَلْق. والقَضاء الْمَقْرُونُ بالقدَر، وَالْمُرَادُ بالقَدَر التَّقْدِيرُ، وبالقَضاء الخَلق كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ...﴿١٢﴾﴾[فصلت: 12]، أَي؛ خَلَقَهُنَّ.[3]

---

(1) انظر: تهذيب اللغة، 169/9–170. وتاج العروس، 310/39–311.

(2) ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. ولد بمصر عام ثلاثين وستمائة، وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس. ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. قال عنه ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان مغرى باختصار كتب الأدب المطوّلة. وقال الصفدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا أعرف في كتب الأدب شيئاً إلا وقد اختصره. له تصانيف كثيرة أشهرها لسان العرب، جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعاً. وله شعر رقيق، وهو صاحب الأبيات المشهورة:

النَّاسُ قَدْ أَثِمُوا فِينَا بِظَنِّهِمُ .... وَصَدَقُوا بِالَّذِي أَدْرِي وَتَدْرِينَا
مَاذَّا يَضُرُّكِ فِي تَصْدِيقِ قَوْلِهِمُ .... بَأَنْ نُحَقِّقَ مَا فِينَا يَظُنُّونَا
حَمْلِي وَحَمْلُكِ ذَنْبَاً وَاحِدَاً، ثِقَةً ... بِالعَفْوِ، أَجْمَلُ مِنْ إِثْمِ الوَرَى فِينَا!

وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مصر سنة إحدى عشرة وسبعمائة. انظر: ذيل التقييد، ترجمة رقم 527، 267/1.

(3) انظر: لسان العرب، 186/15. وتاج العروس، 311/39.

2. القضاء اصطلاحاً: قال العلماء:"القضاء هو الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر هو الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل في الإنزال".[1]

أو هو "إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال".[2]

ثانياً: القدر لغة واصطلاحاً:

1. القدر لغةً: "الْقَافُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ، أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَبْلَغِ الشَّيْءِ وَكُنْهِهِ وَنِهَايَتِهِ. فَالْقَدْرُ: مَبْلَغُ كُلِّ شَيْءٍ. يُقَالُ: قَدْرُهُ كَذَا، أَيْ مَبْلَغُهُ. وَكَذَلِكَ الْقَدَرُ. وَقَدَرْتُ الشَّيْءَ أَقْدِرُهُ وَأَقْدُرُهُ مِنَ التَّقْدِيرِ، وَقَدَّرْتُهُ أُقَدِّرُهُ. وَالْقَدْرُ: قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى الْأَشْيَاءَ عَلَى مَبَالِغِهَا وَنِهَايَاتِهَا الَّتِي أَرَادَهَا لَهَا".[3]

وقال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التَّقْدِير على وُجُوه من الْمعَانِي: أحدُهما: التروِيَة والتفكير فِي تَسْوِيَة أمرٍ وتهيئته. وَالثَّانِي: تَقْدِيره بعلاماتٍ تقطِّعه عَلَيْهَا. وَالثَّالِث: أَن تنويَ أمراً بعَقدك تَقول: قدّرتُ أمرَ كَذَا وَكَذَا، أَي: نويته وعقدتُ عَلَيْهِ. وَتَقْدِير الله الخَلْق: تيسيره كلاًّ مِنْهُم لمّا علم أَنَّهم صائرون إِلَيْهِ من سَعادة أَوْ شَقاوة كُتبتْ لَهُم، وَذَلِكَ أَنه علم ذَلِك مِنْهُم قبلَ خَلْقِه إيّاهم، وحينَ أمرَ بنفخ الرُّوح فيهم، فكَتب عِلْمَه الأزَليَّ السَّابِق فيهم وقدَّره تَقْديراً.[4]

والتقدير يسْتَعْمل فِي أَفعَال الله ﷻ وأفعال الْعباد، وَلَا يسْتَعْمل الْقدر إِلَّا فِي أَفعَال الله ﷻ، وَقد يكون التَّقْدِير حسناً وقبيحاً؛ كتقدير المنجمِ موتَ زيد وافتقارَه واستغناءَه، وَلَا يكون الْقدر إِلَّا حسناً.[5]

وقال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"القَدَرُ القَضاء المُوَفَّقُ. يُقَالُ: قَدَّرَ الإِله كَذَا تَقْدِيرًا، وإِذا وَافَقَ الشيءُ الشيءَ قُلْتَ: جَاءَهُ قَدَرُه.... والقَدْرُ والقَدَرُ الْقَضَاءُ والحُكْم، وَهُوَ مَا يُقَدِّره اللَّهِ ﷻ مَنْ الْقَضَاءِ وَيَحْكُمُ بِهِ مِنَ الأُمور.... ومنه القَدَرِيَّة وهم قَوْمٌ يُنْسَبُونَ إِلى التَّكَذِيبِ بِمَا قَدَّرَ اللهُ مِنَ الأَشياء".[6]

2. القدر اصطلاحاً: قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"المراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد؛ فكل مُحْدَثٍ صادرٌ عن علمه وقدرته وإرادته، هذا

---

(1) عمدة القاري، 304/22. وفتح الباري، 477/11.

(2) لوامع الأنوار البهية، 345/1.

(3) مقاييس اللغة، 62/5. ومختار الصحاح، 248/1.

(4) انظر: تهذيب اللغة، 41/9-42.

(5) انظر: الفروق اللغوية، 191/1.

(6) لسان العرب، 74/5-75.

هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين إلى أن حدثت بدعة القدر في أواخر زمن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ".[1]

ثالثاً: الفرق بين القضاء والقدر والعلاقة بينهما:

للعلماء في التفرقة بين القضاء والقدر قولان:

الأول: أن القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله ﷻ به في الأزل، والقدر وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق.

الثاني: عكس القول السابق؛ فالقدر هو الحكم السابق، والقضاء هو الخلق.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ:"القضاء هو المقضي؛ لأن حكم الله ﷻ كله حسن لا سوء فيه"[2]، ويقصد بالمقضي هنا المخلوق، واختار هذا القول الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ[3] في كتابه معالم السنن فقال:"والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر كما الهدم والقبض والنشر أسماء لما صدر عن فعل الهادم والقابض والناشر... والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله ﷻ:﴿ **فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ...** ﴿١٢﴾ ﴾[فصلت: 12]، أي؛ خلقهن".[4]

وقيل:"أصل القدر هو وجود الفعل على مِقْدَار ما أراده الفاعل، وحقيقة ذلك في أفعال الله ﷻ وجودها على مقدرا المصلحة، والقضاء هو فصل الأمر على التَّمام".[5] وعلى هذا فيكون

---

(1) فتح الباري، 118/1.

(2) فتح الباري، 149/1.

(3) الخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هو أَبُو سُلَيْمَانَ حَمْدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ بنِ خَطَّابٍ البُسْتِيُّ، الخَطَّابِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. وُلِدَ سَنَةَ بِضْعَ عَشْرَةَ وَثَلاَثِ مائَةٍ. وَأَخَذَ الفِقْهَ عَلَى مَذْهَب الشَّافِعِيّ، وَلَهُ شَرْحُ الأَسْمَاء الحُسْنَى، والغُنيَة عَنِ الكَلاَم وَأَهلِه، وغير ذلك، قَالَ أَبُو يَعْقُوْبَ القَرَّاب: تُوُفِّيَ الخَطَّابِي ببُسْتَ، فِي شَهْرِ رَبِيْعٍ الآخِرِ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ. وَهُوَ القَائِلُ: وَمَا غُرْبَةُ الإِنسَانِ فِي شُقَّةِ النَّوَى ... وَلَكِنَّهَا وَاللهِ فِي عَدَمِ الشَّكْلِ

وَإِنِّيْ غَرِيْبٌ بَيْنَ بُسْتٍ وَأَهْلِهَا ... وَإِنْ كَانَ فِيْهَا أُسرتِي وَبِهَا أَهْلِي

انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم 12، 23/17–28. وطبقات الشافعية، ترجمة رقم 182، 282/3–290.

(4) معالم السنن، (شرح سنن أبي داود)، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، ت 388 هـ، ط المطبعة العلمية– حلب، ط الأولى 1351 هـ، 322/4–323.

(5) الفروق اللغوية، 191/1.

القضاء أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقديرين، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع.[1]

والذي يظهر صوابه ويعضده سيل من الأدلة هو القول الثاني؛ فقول الله ﷻ:﴿ ...وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾[مريم: 21]، وقوله سبحانه:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم: 71]، يدل تمام الدلالة على أن القضاء: هو الحكم القطعي النهائي بعد حصول التقدير ابتداء؛ فالقضاء والقدر بمنزلة الثوب الذي يقدره الخياط، فهو قبل أن يفصله يقدّره ويزيد وينقص، ويوسع ويضيق، فإذا فصله فقد قضاه وفاته، ولا يمكنه أن يزيد أو ينقص؛ وذلك مثل القضاء والقدر، ولكن لا خلاف في أن القضاء والقدر متلازمان؛ فهما لا ينفكان عن بعضها؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه.[2]

ولذلك لما خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الشام وقد أصابها وباء الطاعون شاور من خرج معه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قبل دخوله بلاد الشام، فاختلفوا عليه بين مؤيد ومعارض؛ لعدم وجود نص قاطع في الموضوع، فاجتهد بألا يدخل الشام وفيها الوباء وأمر الناس بالاستعداد للرجوع، فقال أبو عبيدة بن الجرَّاح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:(أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟)[3]؛ فبين سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن القدر لم يكن قضاء فمرجوّ أن يدفعه الله ﷻ، فإذا قضى فلا راد لقضائه.[4]

---

(1) انظر: المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت 502 هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم- بيروت، ط الأولى 1412 هـ، 675/1.

(2) انظر: لسان العرب، 186/15. والنهاية في غريب الحديث، 78/4. والعقل والنقل عند ابن رشد، لأبي أحمد محمد أمان بن علي جامي علي، ت 1415 هـ، ط الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ط السنة الحادية عشرة، العدد الأول، 1398 هـ، 97/1.

(3) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، حديث رقم 5729، 130/7.

(4) انظر: المفردات في غريب القرآن، 676/1.

رابعاً: فهم السلف للقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان في دين الإسلام، ولا يكتمل إيمان عبد حتى يؤمن بها كلها مجتمعة، ومن كفر بواحدة منها فهو كافر بالكلية، وإن أهم ما يجب معرفته على المكلف النبيل فضلاً عن الفاضل الجليل ما ورد في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، فقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"فإن القدر بحر لا ساحل له، ولا خروج عنه لأحد من العالمين، والشرع فيه سفينة النجاة، مَنْ ركبها نجا، ومن تخلف عنها فهو من المغرقين، وهو قدرة الله الذي هو على كل شيء قدير، وكل مخلوق فمنه ابتدأ وإليه يصير، والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الإيمان وتمامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان، والحكمة آخيته[1] التي يرجع إليها، ويدور في جميع تصاريفه عليها، فالقدر مظهر الملك، والحكمة مظهر الحمد، والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة، وكمال التقدير، فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، فبالقدر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين:﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف: 54]".[2]

ولما كان الإيمان بالقضاء والقدر من أسمى المطالب، فقد بعث الله ﷻ رسوله جبريل عليه السلام ليسأل النبي ﷺ عن حقيقة الإيمان ليعلم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أمور دينهم، فروى أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال:(سَلُونِي، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: لَا تُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ ...... قَالَ: ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: رُدُّوهُ عَلَيَّ، فَالْتُمِسَ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَذَا جِبْرِيلُ، أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا)[3]، فكما أن الله ﷻ قد يسر لنبيه ﷺ المعراج إلى السماء لفرض الصلاة على أمته؛ لشرفها، فقد بعث أيضاً رسوله جبريل عليه السلام ليعلم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أمر دينهم، وكان من جملة ما يعلمهم الإيمان بالقدر، بل القدر من ألزم ما يجب عليهم معرفته؛ إذ أن الأمور كلها قائمة على الإيمان به، ومرتبة على العمل بمقتضاه.

---

(1) الآخيّة: حبل يُدْفَن فِي الأرضِ مَثْنِيّاً ويَبْرُزُ طَرَفاه الآخَرَان شِبْه حَلْقةٍ وتُشَدُّ بِهِ الدابَّةُ، وتُؤَخَّى الآخِيَّةُ فِي سُهولَةِ الأرضِ؛ لأنَّها أَرْفَقَ بالخَيْلِ مِن الأَوْتَادِ الناشِزَةِ عَن الأَرضِ، وَهِي أَثْبَتُ فِي الأرضِ السَّهْلَةِ مِن الوَتِدِ. انظر: تاج العروس، 43/37.

(2) شفاء العليل، 44/1.

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسلام ما هو، وبيان خصاله، حديث رقم 10، 25/1.

وقال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:"إِنَّ الْقَدَرَ عِنْدَ السَّلَفِ مَا سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ وَجَرَى بِهِ الْقَلَمُ، مِمَّا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ، وَأَنَّهُ ﷻ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ وَمَا يَكُونُ مِنَ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ فِي الْأَزَلِ، وَعَلِمَ ﷻ أَنَّهَا سَتَقَعُ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ عِنْدَهُ، وَعَلَى صِفَاتٍ مَخْصُوصَةٍ، فَهِيَ تَقَعُ عَلَى حَسَبِ مَا قَدَّرَهَا".[2]

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَدِلَّةُ الْقَطْعِيَّاتُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى إِثْبَاتِ قَدَرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَدْ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءُ مِنَ التَّصْنِيفِ فِيهِ"[3]؛ فالإيمان بالقدر أمر لم يختلف عليه من الصحابة اثنان، ولكنهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يتوقون إلى معرفة حقيقة القدر ليعرفوا ما يتوجب عليهم فعله، فعن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:(لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:﴿...فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾[هود: 105]، سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَعَلَى مَا نَعْمَلُ؟ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغْ مِنْهُ؟ قَالَ: بَلْ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ وَجَرَتْ بِهِ الأَقْلَامُ يَا عُمَرُ، وَلَكِنْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ)[4]؛ فكان سؤالهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ نابع من حرصهم على تطبيق الإيمان بأخص دقائقه.

والظاهر من النصوص أن النبي ﷺ رأى أن الحديث عن القدر قد أخذ مساحة من فكر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حتى صاروا يسألون عنه أكثر من مرة لمعرفة حقيقته، فقد أفرد له رسول الله ﷺ أحاديث في أكثر من موضع؛ فعن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[5] قال: قال النبي ﷺ:(لِكُلِّ شَيْءٍ

---

(1) السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين من قرى نابلس سنة 1114 هـ، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها. وعاد إلى نابلس فدرّس وأفتى، ومن كتبه الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات، وكشف اللثام شرح عمدة الأحكام، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، وغيرها، وتوفي في نابلس سنة 1188 هـ. انظر: الأعلام، 14/6.

(2) لوامع الأنوار البهية، 348/1.

(3) المنهاج، 155/1.

(4) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة هود، حديث رقم 3111، 140/5، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمْرٍو، وقال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي، حديث رقم 3111، 257/3.

(5) أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هو عامر بْن مالك، وعويمر لقب له، تأخر إسلامه قليلًا، وَكَانَ آخر أهل داره إسلاماً، وحسن إسلامه، وَكَانَ فقيهًا عاقلًا حكيمًا، آخى رَسُول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وقال النبي ﷺ فيه:(عويمر حكيم أمتي). شهد ما بعد أحد، واختلف فِي شهوده أحدًا. وتوفي سنة اثنتين وثلاثين بدمشق في=

حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ)[1]، أي؛ لكل شيء كنه وماهية، ولن يبلغ المؤمن الإيمان الكامل حتى يعلم علماً جازماً أن ما أصابه من المقادير ووصل إليه منها مما قدر عليه في الأزل لابد له من أن يصاب به دون غيره، والمراد أن من تلبس بكمال الإيمان عُلِم أنه قد فرغ ممَّا أصابه وأخطأه من خير وَشر.[2]

وعلم الإنسان محدود، ومهما بلغ به علمه فلن يصل إلى علم الغيب الذي استأثر الله ﷻ به، ولذلك:"فإن العبد إذا علم أن لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر، ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل، وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده؛ فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذم الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر، ولا يغني عن عابده شيئا، فمن يعلم أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يعطي ولا يمنع غير الله، أوجب له ذلك إفراده ﷻ بالخوف والرجاء".[3]

وكان النبي ﷺ يتخول صحابته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالمواعظ وبتقرير العقيدة الصحيحة في الأيام؛ ليبقوا على اتصال دائم بربهم ولا يعتري اعتقادهم شائبة، فصار الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بدورهم

=خلافة عُثْمَان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وعَنْ مسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قَالَ. شافهت أصحاب مُحَمَّد ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: عمر، وعلي، وابن مَسْعُود، ومعاذ، وأبي الدرداء، وزيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. وقيل له: مالك لا تقول الشعر؛ وكل لبيب من الأنصار قال الشعر؟! فقال: وأنا قد قلت شعراً؛ فقيل: وما هو؟ فقال:

يُرِيدُ المَرْءُ أَنْ يُؤْتَى مُنَاهُ .... وَيَأْبَى اللهُ إلا مَا أَرَادَا

يَقُولُ المَرْءُ فَائِدَتِي وَمَالِي ... وَتَقْوَى اللهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا

قيل: إنه استقضاه عُمَر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقيل: بل معاوية. وتوفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قبل قتل عُثْمَان بسنتين. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 2940، 1646/4-1648. وأسد الغابة، ترجمة رقم 5865، 94/6.

(1) مسند الإمام أحمد، مسند القبائل، باب من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم 27490، 482/45، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم 2471، 607/5.

(2) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت 1031 هـ، ط مكتبة الإمام الشافعي- الرياض، ط الثالثة 1408 هـ، 340/1-341.

(3) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ابن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت 795 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط السابعة 1422 هـ، 484/1.

يحرصون كل الحرص على حث الناس على الإيمان بالقضاء والقدر، وبيان أن الإيمان لا يكمل إلا بهما، فقد قال ابن الديلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] أتيت أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]، فَقُلْتُ: لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: (لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ).[3]

ففي هذا الحديث جاء الكلام على القدر عن أكثر من صحابي جليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وهذا يدل تمام الدلالة على أن رسول الله ﷺ لم يدخر جهداً في تعليم أصحابه أمور دينهم، ومن جملتها الإيمان بالقضاء والقدر؛ بل هما مما حرص ﷺ على تكرار ذكرهما في أحاديث كثيرة وفي مواضع متعددة؛ كمنهجه ﷺ في تقرير الأمور الاعتقادية، فعن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ[4]، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ[5]، فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ

---

(1) ابن الديلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو فيروز الديلمي، يكنى أَبَا عَبْد اللَّهِ. وقيل: أَبَا عَبْد الرَّحْمَنِ ويقال لَهُ: الحِمْيَرِي لنزوله بِحِمْيَر، وَهُوَ من أبناء فارس، من فرس صنعاء، وَكَانَ ممن وفد على النَّبِيّ ﷺ وكناه أبا عبد الله، ولا خلاف في أنه ممن قتل الأسود بن كعب العنسي المتنبي الكذاب، ومات فِي خلافة عُثْمَان رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 2085، 1264/3–1266. وأسد الغابة، ترجمة رقم 4246، 353/4.

(2) أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو ابن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، كناه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبا الطفيل. شهد العقبة الثانية، وبايع النبي ﷺ فيها، ثم شهد بدراً، وكان أحد فقهاء الصحابة وأقرأهم لكتاب الله، وكان أبيّ كتب الوحي قبل زيد بن ثابت ومعه أيضاً، ومات أبيّ في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 6، 65/1–70. وأسد الغابة، ترجمة رقم 34، 168/1.

(3) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم 4699، 225/4، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 4699، 147/3–148.

(4) بقيع الغرقد: البَقيعُ: موضعٌ فيه أَروِمُ الشجر من ضروب شتى، وبه سمي بقيع الغرقد، وهى مقبرة بالمدينة. انظر: الصحاح تاج اللغة، 1187/3.

(5) المِخْصَرَة: هي مَا اختصر الْإِنْسَان بِيَدِهِ وأمسكه من عَصا، أَو عَنَزة، أَو عُكَّازة أَو مَا أشبه ذَلِك، وَمِنْه أَن يمسك الرجل بيد صَاحبه؛ فَيُقَال: فلَان مخاصر فلَان. انظر: غريب الحديث، 308/1.

سَعِيدَةً، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ ﴾[الليل: 5-6])[1]، ففي هذا الحديث استغل النبي ﷺ حضور الجنازة واجتماع الصحابة ليقرر عندهم الإيمان بالقضاء والقدر، وخاصة في موضع الموت؛ ليكون أبلغ في التأثير فيندفع الصحابة إلى الأخذ بالأسباب المعينة على جلب القدر ودفع بعضه ببعض، وهذا من فقه الإيمان والاعتقاد.

بل حرص النبي ﷺ على تنفير الصحابة من التكذيب بالقدر؛ فقال ﷺ:(الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ: إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ)[2]؛ فالنبي ﷺ شبه نفاة القدر بالمجوس؛ لأنهم يضيفون الخير إلى الله ﷻ وينفون عنه الشر، والأصل أنهما واقعان بمشيئته، قال الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢ ﴾[الزمر: 62].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر، وقعود أصحابه حوله، حديث رقم 1362، 96/2.

(2) سبق تخريجه، راجع ص: 108.

المطلب الثاني

الاحتجاج بالقدر على المعاصي، وعلاقة الأخذ بالأسباب والدعاء بالقضاء والقدر

أولاً: الاحتجاج بالقدر على المعاصي.

يحتج بعض الناس على اقترافهم للذنوب بالقدر؛ بدعوى أن ذلك قدّره الله ﷻ عليهم، ولو لم يقدره لما كان لهم إليه سبيل، وفي هذا تلبيس من إبليس على من ليس عنده علم بأمور القضاء والقدر؛ ليقنعهم أن ذلك أمر حاصل بمشيئة الله ﷻ وإرادته، فلا لوم واقع عليهم لأجل ذلك، ولو اعتدى أحد على المحتجين بالقدر على ذنوبهم ثم احتج عليهم أنه إنما قدّر عليهم هذا الاعتداء لَمَا سلموا له وصدقوا قوله؛ بدعوى أنه عنده حيز للاختيار، وكذلك فإن هذا الأمر مما يحتاج المسلم إلى فهمه فهماً صحيحاً موافقاً لما ورد عن رسول الله ﷺ؛ ليبقى على نور من الله ﷻ وينال رضاه في الأولى والآخرة.

وفي ذكر الاحتجاج بالقدر على المعاصي لابد من بيان شافٍ من أحاديث رسول الله ﷺ تبين المقصود وتنبي عن المطلوب، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: قَال رَسولُ الله ﷺ:(احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى مَرَّتَيْنِ)[1].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:(احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، ثَلاَثًا)[2].

وهذا الحديث من الأحاديث التي ردها مَنْ لم يفهمها من المعتزلة كأبي علي الجبائي رَحِمَهُٱللَّهُ[3] ومن وافقه على ذلك بدعوى أنه لو صح لبطلت النبوات والشرائع، فإن القدر لو كان

---

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعده، حديث رقم 3409، 158/4.

(2) المصدر السابق، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، حديث رقم 6614، 126/8.

(3) الجبائي رَحِمَهُٱللَّهُ: هو محمد بن عبد الوهّاب بن سلّام، أبو عليّ الْجُبّائيّ البصْريّ. كان شيخ المعتزلة ثم تاب. كان رأسًا في الفلسفة والكلام. وافق أئمّة السنة، إلّا في اليسير. كان من المخلصين في مذهب الأشعريّ، وكان الأشعريّ تلميذًا له، وكان الْجُبّائيّ صاحب تصنيف وقلم، إذا صنف يأتي بكل ما أراد مستقصي، وإذا حضر المجالس وناظر لم يكن بمرضي. توفي سنة 303 هـ عن ثمانٍ وستّين سنة. انظر: تاريخ الإسلام، ترجمة رقم 153، 70/7–71. ووفيات الأعيان، 267/4.

حجة للعاصي على مقارفة المعصية لبطل الأمر والنهي؛ فإن العاصي بترك الأمر، أو فعل المنهي إذا صح له الاحتجاج بالقدر على فعله أو تركه فقد ارتفع اللوم عنه.(1)

والصحيح أن هذا الحديث وارد في أغلب المتون الصحاح بألفاظ متقاربة مع زيادة ونقص في بعضها، وقد تلقته الأمة بالقبول؛ خلفاً عن سلف، ولم يزل أهل الكلام الباطل موكلين برد أحاديث رسول الله ﷺ التي لا تتفق مع القواعد التي أصلوها بعيداً عن الكتاب والسنة؛ فكل من أصّل أصلاً لم يقره الله ﷻ أو رسوله ﷺ قاده قسراً إلى رد السنة أو تحريفها عن مواضعها.

وهذا الحديث قد اختلف الناس في فهم المراد منه، فقالوا: حج آدم موسى عليه السلام؛ لأنه أبوه، وهذا كلام بعيد؛ لأن المسلم مع الحجة سواء كانت مع الأب أو مع ابنه، وقال قوم: بل حجه؛ لأن الذنب كان في شريعة واللوم في شريعة أخرى، وهذا أبعد أيضاً؛ لأن أمة محمد ﷺ لائمة الأمم قبلها وشاهدة عليها، كما قال الله ﷻ: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ...** ﴿١٤٣﴾ ﴾[البقرة: 143]، وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لاَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَالوَسَطُ العَدْلُ)(2).

وقال آخرون: حجه؛ لأنه لامه على ذنب تاب منه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له كما في الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ)(3)، وعليه؛ فلا يجوز اللوم حينئذ، وهذا أقرب مما قبله من توجيهات، ولكنه لا يصح لثلاثة أوجه:

الأول: أن آدم عليه السلام لم يذكر ذلك، ولم يقابل حجة موسى عليه السلام بهذه الحجة، فلم يقل: أتلومني على ذنب تبت منه؟.

---

(1) انظر: شفاء العليل، 82/1.

(2) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ:﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ..﴾[نوح:1]، حديث رقم 3339، 134/4.

(3) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم 4250، 1419/2، قال الإمام الألباني: حسن. انظر: صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم: 3446، 382/3.

الثاني: أن موسى عليه السلام عارف بدين الله ﷻ؛ فلا يصدر منه اللوم على من تاب من ذنب كان قد ارتكبه، وبين الله ﷻ أنه تاب على فاعله وهداه واجتباه.

الثالث: أن هذا يلزم منه نفي ما علق عليه النبي ﷺ الحجة؛ واعتبار ما ألغاه، فلا يلتفت إليه.[1]

وقالت فرقة: إنما حجه؛ لأنه لامه في غير دار التكليف، وهذا بعيد أيضاً؛ لأن آدم ﷺ لم يقل: أتلومني في غير دار التكليف، فلم يتعرض للدار بوجه، وكذلك فإن الله ﷻ يلوم العباد في غير دار التكليف؛ بعد الموت ويوم القيامة.

وقالت فرقة: إنما حجه؛ لأن آدم عليه السلام شهد جريان الحكم على الخليقة وتفرد الله ﷻ بالخلق والتدبير، ومن كان هكذا شأنه لم يلتفت إلى استقباح سيئة؛ لأنه يشهد نفسه عدماً محضاً، وهذا من أبطل المسالك التي سلكت في فهم هذا الحديث، بل إن القدرية ردت الحديث إبطالاً لهذا القول، وأصابت في ردها على قائليه، وأخطأت في رد الحديث. ولو صح هذا القول للزم منه بطلان النبوات والشرائع، ولما كانت هناك محمدة لمحسن، ولا مذمة لمسيء، ولا ملامة لجانٍ على جنايته، ولكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم، حتى قال بعضهم:"العارف لا ينكر منكراً؛ لاستبصاره بِسِرِّ الله في القدر، فعنده: أن مشاهدة القدر والحقيقة الكونية: هو غاية المعرفة، وإذا شاهد الحقيقة عذر الخليقة؛ لأنهم مأسورون في قبضة القدر، فمن يعذر أصحاب الكبائر والجرائم، بل أرباب الكفر فهو أبعد خلق الله عن الورع، بل لظلام معرفته قد أطفأ نور إيمانه".[2]

ولقد دخل شيخ ممن يقول بهذا القول بلداً، فأول ما بدأ به من الزيارات، زيارة المواخير المشتملة على البغايا والخمور، فجعل يقول: كيف أنتم في قدر الله. وعاتب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض شيوخ هؤلاء فقال له الشيخ: المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب، والكون كله مراده، فأي شيء أبغض منه؟ فقال له شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كان المحبوب قد أبغض بعض مَنْ في الكون وعاداهم ولعنهم، فأحببتهم أنت وواليتهم، أكنت ولياً للمحبوب أو عدواً له؟ قال: فكأنما ألقم حجراً.[3]

وأعرف خلق الله ﷻ به رسله وأنبياؤه، وهم أعظم الناس إنكاراً للمنكر؛ وهم إنما بعثوا لإنكاره، فالعارف أعظم إنكاراً للمنكر؛ لبصيرته بالأمر والقدر، فإن الأمر يوجب عليه الإنكار،

---

(1) انظر: شفاء العليل، 83/1.

(2) مدارج السالكين، 321/3.

(3) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، 85/1.

والقدر يعينه عليه ومنفذه له، فيقوم في مقام قوله ﷻ:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[الفاتحة: 5]، وفي مقام قوله تعالى: ﴿ ...فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ...﴿١٢٣﴾ ﴾[هود: 123]، فيعبده وفق أمره وعلى قدره، وعلى هذا أجمعت الرسل كلهم.[1]

وإرادة الله ﷻ تقسم إلى قسمين؛ كونية قدرية ودينية شرعية، والفرق بينهما أن الأولى لابد من وقوعها، سواء كان الأمر مما يحبه الله ﷻ كالطاعات والقربات، أو مما يبغضه كالمعاصي والموبقات، وأما الثانية فلا تكون إلا فيما يحبه الله ﷻ ويرضاه، وقد تقع وقد لا تقع؛ والله ﷻ أمر العبد بها وجعل له مساحة من الاختيار للطاعة أو المعصية، وعلى هذا يكون الحساب والجزاء.[2]

والكفار إنما يحتجون بالقدر على المعاصي من جهة أنهم يدفعون أمر الله ﷻ الديني بإرادته الكونية القدرية، وما احتجوا بالقدر إثباتاً لربوبيته ﷻ ولا افتقاراً إليه واستعانة به وتوكلاً عليه، ولو كانوا كذلك لكانوا مصيبين، ولكنهم قالوه معارضين به شرعه ودافعين به أمره، ووافقهم في ذلك كل ما عارض الأمر الديني الشرعي ودفعه بالاحتجاج بالقدر، وهذا من أبطل الباطل.[3]

وكذلك فإن أعداء الله ﷻ ممن يحتج بمشيئته سبحانه وقدره على إبطال أمره الديني الشرعي لو قصر أحد في حقهم لم يشهدوا فعله معهم طاعة مع أنهم يقولون: إن ذلك واقع بالمشيئة وداخل فيها، فما الذين احتجوا بالقدر على ترك الأمر وفعل المنهي إلا من اتبع هواه. وما إرسال الله ﷻ الرسل إلا إثباتاً للحجة على الناس، وأرسلهم بالكتب والدلائل والبراهين القاطعة، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ليعرفوا الحق ويتبعوه، ولكنهم عارضوا أمره بقدره، فقامت حجته عليهم واضمحلت حجتهم في مقابلها.[4]

وموسى عليه السلام من أعلم الناس بالله ﷻ وبأسمائه وصفاته، فمحال أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله، وبين الله ﷻ أنه قد قبل فيه التوبة، وآدم عليه السلام أعلم بالله ﷻ من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته التي اقترفها، بل إن موسى عليه السلام لام آدم على المصيبة التي نالت ذريته بشؤم معصيته فخرجوا من الجنة التي كان فيها، ولذلك قال موسى عليه السلام:(... خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ

---

(1) انظر: شفاء العليل، 85/1.

(2) انظر: مجموع الفتاوى، 132/18.

(3) انظر: شفاء العليل، 87/1.

(4) انظر: المصدر السابق، 93/1.

الجَنَّةِ...)[1]، وفي رواية:(فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟...)[2]، فاحتج آدم عليه السلام بالقدر على المصيبة، وقال: إن هذه المصيبة التي لحقت ذريته إنما هي بسبب خطيئته، وقد كانت مكتوبة مقدرة قبل خلقه بأربعين سنة، فموسى عليه السلام لام آدم عليه السلام على المصيبة التي حصلت بسبب خطيئته لا لأجل كونها ذنباً كما يظن طوائف من الناس، ولا يجوز لوم التائب باتفاق، ولا يجوز لأحد أن يحتج بالقدر على الجرائم؛ إذ لو اعتدى عليه غيره واحتج عليه بالقدر لم يقبل منه، وهذا عين التناقض، والتحقيق أن القدر يحتج به على المصائب دون المعائب.[3]

والاحتجاج بالقدر على الوقوع في الذنب يصح في حال التوبة النصوح منه؛ فإن توجه إليه لوم على مقارفته إياه احتج بأن ذلك قُدّر عليه، وكان في ذلك مصيباً ومثبتاً قدر الله ﷻ، ولم يلزم منه محذور؛ لأن الأمر قد تم وانقضى، ولم يترتب على الاحتجاج بالقدر تفريط، ولكن الاحتجاج بالقدر على الذنب في الحال أو في المستقبل ففيه من الضلال ما فيه؛ كمن يأتي منكراً أو يترك واجباً ثم يحتج بالقدر فيكون مصوباً ما هو عليه غير نادم على فعله، ولا عازماً على تركه، ولا مقراً بفساده، وهذا خلاف من تاب من ذنبه واحتج بالقدر بعد توبته منه، والمشركون بالله ﷻ إنما احتجوا على شركهم بقولهم: ﴿...لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: 148]، واحتجاجهم باطل من وجهين؛ الأول: أنهم دفعوا أمر الله ﷻ الديني بقدره الكوني، والثاني: أنهم يحتجون بالقدر على شركهم رغم أنهم مقرون بأنهم لا يعلمون الغيب ومن جملته القدر؛ فكيف يحتجون على معاصيهم بما لا يعلمون حقيقته ابتداء.[4]

والله ﷻ قد أرسل الرسل لقطع الحجة على الكفار، فقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾[النساء: 165]، فلو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف حجتهم بإرسال الرسل إليهم؛ لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله ﷻ، ولما كان الله ﷻ قد أرسل الرسل بحجة البشارة والإنذار كان ذلك دليلاً على بطلان دعواهم على الاحتجاج بالقدر وهو ما ظهر في الآية.

---

(1) سبق تخريجه، راجع ص: 142.

(2) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم 4702، 226/4، قال الإمام الألباني: حسن. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 4702، 149/3.

(3) انظر: مجموع الفتاوى، 179/8. وشفاء العليل، 93/1-94.

(4) انظر: شفاء العليل، 94/1-95.

ثانياً: علاقة الأخذ بالأسباب والدعاء بالقضاء والقدر.

كل ما يوصل إلى المقصود يسمى سبباً، وقد اختلفت طوائف في الأسباب فزعموا أن سبق القضاء والقدر لا ينفع معه أخذ بالأسباب؛ لأنه لا فائدة منه، فما قدره الله ﷻ وقضاه فلابد من وقوعه، سواء صاحبه عمل أو لم يصحبه، وقد سأل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ النبي ﷺ عن ذلك فعن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ:(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ، ...)[1].

وقد قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ:"السَّلَفُ والأئمةُ متفقون على إثبات الأسباب والحِكَم، خلقاً وأمراً"[2]، وقد عنون ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله:"سبق المقادير بالشقاوة والسعادة لا يقتضي ترك الأعمال، بل يقتضي الاجتهاد والحرص؛ لأنها إنما سبقت بالأسباب".[3]

وقد اتفقت النصوص على أن القدر السابق لا يمنع العمل، ولا يدفع إلى الاتكال، بل يوجب الجد والاجتهاد والحرص على ما ينفع، ولذلك قال رسول الله ﷺ:(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)[4]، وفي هذا الحديث جملة من اللطائف؛ فمنها أن الله ﷻ موصوف بالمحبة، وأنه يحب حقيقة، ومنها أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقهما؛ فهو عليم ويحب العلماء، وصبور ويحب الصبر، وأن سعادة الإنسان الحقيقية كامنة في حرصه على ما ينفعه في عاجله وآجله؛ إذ لو حرص على ما لا ينفع، أو فعل ما ينفعه بدون حرص فقد فاته من الكمال بقدر ما فاته من

---

(1) سبق تخريجه، راجع ص: 141.

(2) مجموع الفتاوى، 485/8.

(3) شفاء العليل، 117/1.

(4) سبق تخريجه، راجع ص: 74.

التفريط، ولما كان فعل الإنسان مرتكزاً على إرادة الله ﷻ ومشيئته أَمَرَهُ أن يأخذ بالأسباب ويستعين بالله ﷻ ليجتمع له مقام العبودية ومقام الاستعانة والتوكل.(1)

والله ﷻ قد قدر مقادير الخلائق بحكمته، وجعل لتحقيقها أسباباً تستجلب بها، والمسببات دائرة مع الأخذ بأسبابها، ولا يحدث المسبب إلا بتعاطي سببه، قال ﷻ:﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[النحل: 65]، فالآية نص في أن الماء الذي أنزله الله ﷻ من السماء سبب في إحياء الأرض بأنواع النبات؛ فالماء سبب والنبات مسبب عنه، فتبين من ذلك أن الأسباب لها تأثير في المسببات، بمعنى أن حصول المسبب كان بتوسط السبب، والله ﷻ خالقهما، فخلق الله ﷻ هذا بهذا.(2)

والدعاء له أكبر الأثر في تحقيق المطلوب؛ إذ إن الدعاء سبب من جملة الأسباب المؤثرة في المسببات، فقد ورد أن النبي ﷺ قال:(لا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، والدُّعاء يَنْفَعُ مما نَزَلَ، وممَا لَمْ يَنْزِلْ، وإنَّ البَلاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إلى يومِ القيامَةِ)(3). وعنه ﷺ أنه قال:(لا يَرُدُّ القَدَرَ إلا الدُّعاءُ، ولا يَزِيدُ في العُمُرِ إلَّا البِرُّ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصِيبُه)(4)؛ فلذلك كان يكثر النبي ﷺ من الدعاء وسيرته مليئة بذلك؛ فيوم هجرته قد أخذ بجميع الأسباب من استخلاف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لينام في فراشه، والتخفي واتخاذ الصحبة، وتجهيز الظهر، وبث العيون، وإحضار الطعام والشراب، ومسح الآثار، واستخدام التورية لتضليل المشركين، ويوم بدر قد نصب له عريش لينفرد به ﷺ يدعو ربه ويستمطره رحمته، ويستنزل نصره، يسأل وعده، وهكذا في سائر أمور دينه.(5)

وكذلك فإن النبي ﷺ حث الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على الأخذ بأسباب معاشهم؛ فعندما قَدِمَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ، يَقُولُونَ: يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ، فَقَالَ:(مَا تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ، قَالَ: لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا؛ فَتَرَكُوهُ، فَنَفَضَتْ أَوْ فَنَقَصَتْ، قَالَ: فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا

---

(1) انظر: شفاء العليل، 1/96-97.

(2) انظر: مجموع الفتاوى، 8/389-390.

(3) سبق تخريجه، راجع ص: 20.

(4) سبق تخريجه، راجع ص: 20.

(5) لمزيد بيان، انظر: السيرة النبوية، 1/484-487. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبي العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، ت 845 هـ، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1420 هـ، 1/98-99.

أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ)[1]. فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يلقّحون النخل؛ الأنثى بالذكر أخذاً بالأسباب، فكان التمر يكون ناضجاً، إلا أنهم لما امتثلوا رأي النبي ﷺ بترك التأبير صار التمر رديئاً، فأمرهم النبي ﷺ عندئذ بالأخذ بأسباب معاشهم؛ لأنهم أدرى بما ينفعهم.[2]

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ ﷺ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيلِ الرأْيِ ، حديث رقم 2362، 2/1109-1110.

(2) لمزيد بيان راجع في ذلك التمهيد، ص 15-20.

المطلب الثالث

دلالة حديث الاستخارة على الإيمان بالقضاء والقدر

إن حديث الاستخارة ليدل تمام الدلالة على الإيمان بالقضاء والقدر؛ إذ إن الحديث بدأ بسؤال الله ﷻ بعلمه، وهذا إثبات لمرتبة العلم، إذ إن مراتب القضاء والقدر أربعة، ومن لم يؤمن بها أو بواحدة منها لم يكن مؤمناً حقاً، وأول هذه المراتب مرتبة العلم؛ وهي أن الله ﷻ علم الأشياء كلها قبل خلقها، ثم المرتبة الثانية مرتبة الكتابة في اللوح المحفوظ قبل كونها، ثم مرتبة المشيئة أن توجد، ثم مرتبة الخلق لتصير على صورتها كما علمها وكتبها وشاءها.[1]

وسؤال الله ﷻ بقدرته يتضمن الإيمان به رباً وإلهاً مستحقاً للعبادة والقصد والطلب، فيسأل العبد ربه أن ييسر له ما أراده وفق ما شرع له من الأسباب المعينة له على استجلاب ما قدر له في الأزل قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، والعقل الصحيح يقطع بأن التناسق والتآلف بين الأسباب والمسببات لم يكن وليد صدفة، بل كله بتقدير من الله الحكيم ﷻ.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ:(كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ)[2]؛ ويحتمل أن العجز هنا على ظاهره وهو عدم القدرة، وقيل: هو ترك ما يجب فعله والتسويف به وتأخيره عن وقته، ويحتمل العجز عن الطاعات، ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة، والكيس ضد العجز؛ وهو النشاط والحذق بالأمور، ومعناه أن العاجز قد قدر عجزه والكيس قد قدر كيسه، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:"كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى وَضْعِكَ يَدَكَ عَلَى خَدِّكَ"[3]، وهذا يدفع المسلم إلى التسليم المطلق لله ﷻ في جميع أمور حياته وآخرته.

فالمسلم يسعى في طاعة ربه ﷻ ببذل الأسباب ومن جملتها التوجه إليه بصلاة الاستخارة ودعائها، ثم يمضي بعد ذلك فيما عزم عليه، وليعلم أنه بذلك يسير مع القدر الذي كتبه الله ﷻ في الأزل، والعبد اللبيب هو من يستخدم الألفاظ التي تحوز قصب السبق في شد انتباه المنادى، ولله ﷻ المثل الأعلى؛ فالعبد المسلم ينبغي عليه أن ينتقي الألفاظ التي يخاطب بها ربه ﷻ لينال بها

---

(1) انظر: شفاء العليل، 133/1، 161، 171، 193.

(2) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، حديث رقم 2655، 1225/2.

(3) خلق أفعال العباد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت 256 هـ، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ط دار المعارف السعودية– الرياض، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 47/1.

مراده، بل يجب عليه أن يعيَ تمام الوعي ما يندرج تحت هذه الألفاظ من معانٍ سامية؛ ليكون ذلك أدعى في سماع الحاجة وتحقيقها.

وحديث الاستخارة يتضمن إثبات التغيير في القدر، فقوله ﷺ:(..اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي..)، فالنبي ﷺ أثبت بذلك أن ما سبق به القلم ولم يقض بعد يقع فيه التغيير؛ لذلك شرع لنا صلاة الاستخارة ودعاءها، فهو سبب يدفع به قدر، ويستجلب به قدر غيره، ولذلك أكمل ﷺ بقوله:(.. وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ..)، فدفع القدر الأول بالأخذ بالسبب وهو الصلاة والدعاء؛ فيتحقق حينئذ القدر الثاني؛ إن كان قدّر عليه أكثر من قدر.

وقوله ﷺ:(.. وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ..)، دليل على أن القدر كله خير، ولكن المؤمن لا يعلم كنه الأشياء، فهو سائر في الدنيا بين الخوف والرجاء، والسراء والضراء، ولذلك قال رسول الله ﷺ:(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[1]، فأمْر المؤمن كله خير؛ لأنه واقع بقدر الله ﷻ، والمؤمن مقر به ويدور معه، ويشاهد آثاره، فلذلك هو يشكر على السراء، ويصبر عند الضراء، وهذا من خصائص المؤمن الحريص على ما ينفعه؛ إذ إنه بشكره يبذل سبباً في جلب المزيد لقوله ﷻ:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: 7]، وبصبره فإنه يبذل سبباً آخر يستجلب به رضا الله ﷻ الذي يقول:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[البقرة: 153].

وحديث الاستخارة فيه دليل على مراتب الهدى والضلال[2]؛ فإن مناداة العبد لربه ﷻ بأن ييسر له الخير حيث كان تتضمن سؤاله ﷻ أن يهديه إلى ما يصلحه، لا ما فيه العطب، فالاستخارة حوت سؤال الله ﷻ أن ييسر للعبد السائل الهداية العامة التي بها تستقيم حياته من مراعاة مصالح معاشه؛ وهذه هي المرتبة الأولى، وأما المرتبة الثانية فهي هداية البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده؛ وهذا ما يندرج تحت دعاء الاستخارة؛ لأن الاستخارة

(1) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم 2999، 1364/2-1365.
(2) انظر: شفاء العليل، 229/1-276.

تكون في الأمور كلها، الدينية والدنيوية على حد سواء، فتتطلب سؤال الله ﷻ أن ييسر الأمر، ويهدي العبد إلى ما فيه صلاح دنياه وآخرته، وعاجل أمره وآجله.

وأما المرتبة الثالثة فهي مرتبة الهداية المستلزمة للاهتداء؛ وهي هداية التوفيق، وهذه الهداية لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، لذلك شرع رسول الله ﷺ صلاة الاستخارة عند كل الأمور؛ لأنها سؤال الله الذي يعلم كل شيء، ويتصرف في الأمور بحكمته وقدره، ولذلك وجب على العبد ألا يحتقر أمراً لصغره وعدم الاهتمام به؛ فيترك الاستخارة فيه، فَرُبَّ أمر يستخف بأمره فيكون في الإقدام عليه ضرر عظيم، أو في تركه[1]؛ وهذه المرتبة تسير مع الاستخارة في فلك واحد؛ إذ إن الهدى فعل الله ﷻ، والاهتداء فعل العبد، وهو أثر فعله ﷻ فهو الهادي والعبد المهتدي، قال تعالى: ﴿...مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝١٧﴾[الكهف: 17].

ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك:"ولما كان العبد في كل حال مفتقراً إلى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذره من أمور قد أتاها على غير الهداية، فهو يحتاج إلى التوبة منها، وأمورٍ هُدِي إلى أصلها دون تفصيلها، أو هُدِي إليها من وجه؛ فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها ليزداد هُدَى، وأمورٍ هو محتاج إلى أن يحصل له من الهداية فيها في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي، وأمورٍ هو خالٍ عن اعتقاد فيها؛ فهو محتاج إلى الهداية فيها، وأمورٍ لم يفعلها؛ فهو محتاج إلى فعلها على وجه الهداية، إلى غير ذلك من أنواع الحاجات، إلى أنواع الهدايات، فرض عليه أن يسأل هذه الهداية في أفضل أحواله، وهي الصلاة مرات متعددة في اليوم والليلة"[2].

والمرتبة الرابعة وهي مرتبة الهداية إلى الجنة أو النار، وهذه المرتبة تعمها صلاة الاستخارة؛ لأن الاستخارة طلب من الله ﷻ التوفيق إلى الأرشد في الأمور لتحقيق خيري الدنيا والآخرة، فيتحقق للعبد الهداية في الدنيا إلى الأحوال التي يكون بها مؤهلاً لدخول الجنة في الآخرة والنجاة من النار.

---

(1) انظر: نيل الأوطار، 88/3.

(2) الفتاوى الكبرى، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1408 هـ، 6/6.

الفصل الثالث

أثر العقيدة الإسلامية على الفرد والمجتمع في ضوء حديث الاستخارة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر العقيدة الإسلامية على الفرد.

المبحث الثاني: أثر العقيدة الإسلامية على المجتمع.

المبحث الأول

أثر العقيدة الإسلامية على الفرد

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحرير المسلم من الانقياد لغير الله ﷻ ورسوله ﷺ.

المطلب الثاني: تحقيق السعادة والرضا بقضاء الله تعالى وقدره.

المطلب الثالث: تحرير العقل من الأوهام والخرافات والتقليد الأعمى.

المطلب الأول

تحرير المسلم من الانقياد لغير الله ﷻ ورسوله ﷺ

لقد قرر القرآن الكريم في مواضع كثيرة أن الغاية من إرسال الرسل إنما تتمثل في إرساء عقيدة الإيمان بالله ﷻ ودحض الشرك به؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[النحل: 36]، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"فبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ سُنَّتَهُ فِي عَبِيدِهِ إِرْسَالُ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ، وَأَمْرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَنَهْيُهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ".[1]

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الرسل جميعاً متفقون في أصل العقيدة؛ فعقيدتهم قائمة على توحيد الله ﷻ ابتداء، ولكن الشرائع التي بعثوا بها كانت مختلفة لتتناسب مع الزمان الذي بعثوا فيه، ولذلك قال رَسُولُ اللهِ ﷺ:(أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، قَالُوا: كَيْفَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ)[2]. "قال العلماء: أولاد العَلَّات بفتح العين المهملة وتشديد اللام؛ هم الإخوة لأب من أمهات شتى، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم أولاد الأعيان، قال جمهور العلماء: معنى الحديث؛ أصل إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف، وأما قوله ﷺ (وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ) فالمراد به أصولُ التوحيد وأصلُ طاعة الله ﷻ وإن اختلفت صفتها، وأصولُ التوحيد والطاعة جميعاً".[3]

ولهذا دأب المشركون زمناً بعد زمن أن يوصوا مَنْ بعدهم بعدم إتباع الرسل أبداً؛ فهذا أبو جهل يحضر احتضار أبي طالب عَمِّ النبي ﷺ ويكرر عليه أن يبقى على ملة أبيه عبد المطلب، وكان النبي ﷺ عند رأسه يعيد عليه أن ينطق بكلمة التوحيد، إلا أنه ما رغب عن ملة أبيه[4]، وفي مقابل ذلك كان الأنبياء وأتباعهم يوصون بَنِيهِم بالإيمان بالله ﷻ والتحرر من الخضوع لغيره، فقال تعـــــالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

---

(1) مفاتيح الغيب، 204/20.

(2) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، حديث رقم 2365، 1110/2.

(3) المنهاج، 119/15-120.

(4) أصل هذا حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، حديث رقم 1360، 95/2.

﴾[البقرة: 132]. وعَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فَقُلْتُ: له وقع في نفسي شيء مِنَ القدر، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: (لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ)[1]، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال مثل ذَلِكَ، قال: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فتواطأ جل الصحابة على تعليم الناس أمور دينهم العقدية والشرعية.

ولقد حذر الله ﷻ من إتباع غير دينه الذي بعث به رسله، وجعل من يعصي أمره ناكصاً على عقبيه يوم القيامة، وداعياً بالويل والثبور على ما فرط في حياته الدنيا، قال الله ﷻ: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الزمر: 55-56]، فأمر الله ﷻ العباد أن يرجعوا إليه قبل أن يفاجئهم عذابه وهم لا يدرون به، وحذرهم لئلا يتحسر منهم أحد على ما صدر منه من تقصير في أمره ﷻ حين لا ينفع التحسر. قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله ﷻ: ﴿ ..وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾، أي؛ وإن كنت لمن المستهزئين بأمر الله ﷻ وكتابه ورسوله ﷺ والمؤمنين به.[2]

ولقد بُعِثَ رسولُنا ﷺ في قوم كفار لا يرعون لأحد إِلاًّ وَلَا ذِمَّة؛ تغير القبيلة منهم على الأخرى لأتفه الأسباب؛ فيذهب لأجلها المئات منهم في قتل بلا هوادة، وإنْ قَوِيَ الضَّعيفُ عاود الكرة على خصمه، حتى فشا الظلم واستعبد القوي منهم الضعيف، وكانت مجتمعاتهم منقسمة إلى طبقات متفاوتة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وكان أكثر الناس يعبدون الأوثان والكواكب والنجوم، ويطيعون رؤساءهم فيما يحلّون لهم ويحرّمون عليهم، وكانت العادات والأعراف تبيح للغني استرقاق الفقير حين عجزه عن سداد دينه، فأراد الله ﷻ لهذه الأمة أن تبعث من واقع هذه المأساة التي يعيشها العرب؛ فجاءت العقيدة الإسلامية فخطأت المشركين وحطمت أصنامهم، وأزالت الفوارق بين الناس، ودعت إلى المساواة بينهم على أساس الكرامة الإنسانية، وعملت على تحرير الإنسان من الخضوع والانقياد لغير الله ﷻ.

---

(1) سبق تخريجه، راجع ص: 140.

(2) انظر: تفسير الطبري، 315/21.

وإن لعقيدة الإسلام أكبر الأثر في حياة الفرد إذ إنها تفتح أمامه أبواب التحرر المطلق من العبودية للعبيد، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[آل عمران: 64]، فعقيدة الإسلام كلمة سواء يقف عندها الناس في صعيد واحد، لا يعلو بعضهم على بعض، ولا يفخر بعضهم على بعض، ولا يذل بعضهم لبعض، ولقد خطب النبي ﷺ الناس يوم فتح مكة فقال: (قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ)[1]، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[الحجرات: 13]، ومعنى قوله ﷺ أَنَّ اللَّهَ أَزَالَ عَنْهم عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ؛ أَيْ نَخْوَتَها وَكِبْرَها وَفَخْرَها وَتَعَاظُمَها، وَالنَّاسُ كُلُّهم بنو آدَمَ، أَيْ؛ أَوْلَادُهُ، وَخلق اللَّهُ آدَمَ مِنَ التراب؛ أَيْ فَلَا يليق بمن أصله التراب النخوة والتجبر، أو إذا كان الأصل واحداً فالكل إخوة فلا وَجْهَ لِلتَّكَبُّرِ؛ لِأَنَّ بَقِيَّةَ الْأُمُورِ عَارِضَةٌ لَا أَصْلَ لَهَا حَقِيقَةً[2]، ولا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى؛ فالناس في ميزان الله ﷻ سواء، ويبقى التفاوت فيما بينهم قائماً على تحقيق الإيمان به، والتحرر من الخضوع لغيره بأي نوع من أنواع الذلة والاستكانة.

وإن دين الإسلام العظيم جاء لقطع دابر استعباد الآدمي للآدمي، ولإنقاذ الإنسان من الاستبداد الذي يمارسه إن تهيأ له شيء من الملك والسلطان، فالناس في ميزان الإسلام سواسية كأسنان المشط، متساوون في الكرامة والإنسانية، وللتفاضل بينهم ميزان آخر؛ وهو العمل، فارتقى بأخلاق المسلم حتى ساواه بأخيه المسلم فلا يعلو عليه بكلمة، ولا ينابزه بلقب، ولا يغتابه، ولا يسعى في نشر مذمته، ولما أفلتت زلة من أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] منادياً بها بلال بن رباح

---

(1) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب في فضل الشام واليمن، حديث رقم 3956، 229/6، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الإمام الألباني: حسن. انظر: صحيح سنن الترمذي، حديث رقم 3956، 598/3-599.

(2) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، ت 1353 هـ، ط دار الكتب العلمية- بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 110/9.

(3) أبو ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو جُنْدُبُ بْنُ جَنَادَة، من كبار الصحابة وأسلم بعد أربعة، ثم انصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم على النبي ﷺ المدينة، وجهر بإسلامه مباشرة فضربه أهل مكة، وتوفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالربذة من قرى المدينة على ثلاثة أيّام قريبة من ذات عرق، على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكّة سنة إحدى وثلاثين أَوِ اثنتين وثلاثين، وصلى عليه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعده فِي ذلك العام. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 2944، 1652/4-1656. وأسد الغابة، ترجمة رقم 5869، 96/6-97.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] بقوله: يا ابن السوداء، قال النبي ﷺ:(يا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)[2]؛ فاستغفر أبو ذر بلالاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فغفر له، وعاد التصافي بينهما كأجمل ما يكون الوداد بين متحابين، وهكذا سطر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنقى الصفحات المشرقة التي جاءت نتيجة اقتدائهم بهدي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حتى قال النبي ﷺ لحنظلة وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:(.. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)[3].

فعقيدة التوحيد صانعة المعجزات؛ فإن استقرت في قلب المؤمن جعلته مطمئن النفس، هادئ البال، قرير العين، عليه السكينة والوقار غير قلق على حياته أو رزقه، متحرراً من الظلم والشح، لا يرى الحياة الدنيا إلا سوقاً يتزود منها للدار الآخرة، ولذلك أثبت الصحابة رسوخ العقيدة الإسلامية في قلوبهم بسيرتهم العطرة التي سنُّوها لنا، فهذا ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4] يقول لرستم

---

(1) بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو ابن رباح، المؤذن، يكنى أبا عَبْد الله، مولى أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ اشتراه ثم أعتقه، وكان له خازناً، ولرسول الله ﷺ مؤذنًا، شهد سائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكَانَ من أوائل الذين أظهروا إسلامهم، وعذبه الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُ أَدْرُعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُ فِي الشَّمْسِ، لكنه ما لان لهم وغاظهم بقوله: أحد أحد، وَلَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الشَّامِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَلْ تَكُونُ عِنْدِي. فَقَالَ إِنْ كُنْتَ أَعْتَقْتَنِي لِنَفْسِكَ فَاحْبِسْنِي، وَإِنْ كُنْتَ أَعْتَقْتَنِي للهِ عَزَّ وَجَلَّ فَذَرْنِي أَذْهَبُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَقَالَ: اذْهَبْ، وقال فيه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبياتًا، منها قوله: هَنِيْئاً زَادَكَ الرَّحْمَنُ خَيْرَاً ... فَقَدْ أَدْرَكْتَ ثَارَكَ يَا بِلَالُ

ومات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدمشق، ودفن عند الباب الصغير بمقبرتها سنة عشرين، وهو ابن ثلاث وستين سنة. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 213، 178/1–182. وأسد الغابة، ترجمة رقم 493، 415/1–418.

(2) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابٌ: المَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلاَ يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ، حديث رقم 30، 15/1.

(3) سبق تخريجه، راجع ص: 117.

(4) ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هو ابن خالد بن عمرو، قال الطّبريّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمدّ به المثنى بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان من أشراف العرب، وللنجاشيّ الشاعر فيه مديح، ونسبه إلى أمه. قدم على أبي عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتاب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن يصرف جند العراق إلى العراق، وعليهم هاشم ابن عتبة، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، وعلى مجنبته عمير بن مالك وربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وله ذكر في غزوة نهاوند، وكان ممن بنى فسطاط أمير تلك الغزوة النّعمان بن مقرّن، وولّاه الأحنف لما فتح خراسان على طخارستان. انظر: تاريخ الرسل=

قائد جيش الفرس:"اللهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَمِنْ ضيق الدنيا إلى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ، قَالوا: وَمَا مَوعود اللهِ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفر لمن بَقي"[1]، ووصف المؤرخون سيدنا ربعي بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مقدمه على رستم فقالوا: كانت فرسه قصيرة، وسيفه ملفوفاً بخرقة بالية، وثيابه ليست كما توقع الفُرْسُ الذين أظهروا زينتهم، وبثوا البُسُطَ والنمارق، ونصبوا سرير الذهب والزبرجد لِيَلْفِتُوا إليه نظر هذا الصحابي الجليل، إلا أن ذلك كله لم يفت في عضده، ولم يزحزحه عن مبادئه قيد أنملة، بل تعاظم الإيمان في قلبه حتى أنه لم يرَ الفرس إلا رعاعاً ألهتهم الدنيا بزينتها وتفاخرها عن الالتفات إلى ما فيه حياتهم الحقيقية في الآخرة.[2]

وإن المتتبع لسيرة النبي المصطفى ﷺ يجد أنه ما ادخر جهداً في بث العقيدة الصحيحة في نفوس صحابته، وتعليمهم أمور دينهم بمبادئ ووسائل تربوية ما زال علماء التربية اليوم يسيرون على نهجها، كيف لا؟ وهو من علم سلفنا الصالح في مواضع كثيرة؛ حين بعثهم رسلاً، وحين أرسلهم سفراء، وحين وعظهم على القبور وفي الغزوات، وفي مواطن العسر وجمع الصدقات؛ حتى نشأ عن ذلك جيل ما زلنا نتغنى به إلى اليوم؛ فهم الرعيل الأول، من آمن وهاجر ونصر، وبذل أمواله ونفسه في سبيل إعلاء كلمة الله ﷻ على ما سواها من شرك وطاغوت.

وقد دأب النبي ﷺ -كمنهج الأنبياء قبله- على إرشاد أمته إلى ما فيه صلاحها مما علمه، وبذل لهم في ذلك من وقته وصحته، فقد قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان النَّبِيُّ ﷺ:(يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا)[3]، وقوله:(يَتَخَوَّلُنَا)، الخائل هو القائم المتعهد للمال، يقال: خال المال يخوله تَخولا إذا تعهده وأصلحه؛ والمعنى كان يراعي الأوقات في تذكيرهم ولا يفعل ذلك كل

=والملوك (تاريخ الطبري)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، ت 310 هـ، ط دار التراث- بيروت، ط الثانية 1387 هـ، 168/4. والإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1415 هـ، ترجمة رقم 2578، 378/2.

(1) تاريخ الطبري، 520/3. والبداية والنهاية، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت 774 هـ، تحقيق: علي شيري، ط دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط الأولى 1408 هـ، 46/7-47.

(2) انظر: تاريخ الطبري، 519/3.

(3) صحيح البخاري، كتاب العلم، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا، حديث رقم 68، 25/1.

يوم لئلا يملوا، وهذا الحرص من النبي ﷺ على بيان أمور الدين في الأوقات المناسبة تطلب منه صبراً وحلماً لم يسبقه إليه أحد –عدا الأنبياء–.[1]

وإن تعليم النبي ﷺ الصحابة الاستخارة تكرر في مواطن كثيرة حتى صاروا يشبهون تعليمه ﷺ لهم هذه الصلاة وذلك الدعاء بتعليمه لهم القرآن الكريم، ومن المعلوم أن القرآن الكريم قد استغرق زمناً طويلاً حتى اكتمل نزوله، وصبرُ النبي ﷺ على تحفيظه الصحابة وتعليمهم آياته آيةً آية دليل حرص ورحمة وشفقة منه ﷺ على أمته، حتى قال الله ﷻ عنه: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة: 128].

والمتأمل في حديث الاستخارة يتيقن أن النبي ﷺ يحاول المرة تلو المرة أن يربط المسلمين بربهم ﷻ مباشرة؛ لينفي ما كان سائداً في أعراف الجاهلية من الواسطة بين الخالق والمخلوق، فأراد ﷺ أن يجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة، فدعا المسلم إلى التوجه إلى الله ﷻ عند إرادته أي أمر، وعلَّمه أن يسأله بأدب جم، وأن يستحضر عظمة من يناجي ليكون أدعى للإجابة، وأرشده إلى التسليم المطلق لربه ﷻ الذي يملك أزّمة الأمور كلها، وأن يوازن في دعائه بين متطلبات الحياة الدنيا ومتطلبات الحياة الحقيقية في الآخرة، وقد نوه النبي ﷺ أن القدر يجلب بالأسباب، ويدفع بالأسباب.

وبيّن ﷺ للمسلم أن يرضى بما قضى الله ﷻ له فيما استخاره فيه؛ لأن فيه الخير لا محالة، وهذا يؤيده سيل من الأدلة القاطعة في الدين؛ فبنو إسرائيل لما خرج عليهم قارون في زينته انقسموا قسمين؛ فمنهم من انخدع بما رآه وتمنى أن يكون له مثل ما عند قارون؛ ظناً منهم أن ذلك خير لا محالة، ومنهم الذين أوتوا العلم فلم تخدعهم الأموال والزينة، وصبروا على قدر الله ﷻ، ثم لما تكشفت الغيوب وهلك قارون كان الحال كما قال الله ﷻ: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[القصص: 82]، ومن المعلوم أن المَنّ لا يكون إلا بعد العطية، فما بال القوم عدوا الحرمان من الله ﷻ لهم منّاً منه عليهم؟ كل ذلك؛ لأنهم لا يملكون من علم الله ﷻ شيئاً فانساقوا وراء شهواتهم وما ظنوه مما لم يعلموا حقيقته.

---

(1) انظر: فتح الباري، 162/1.

وحديث الاستخارة فيه إرجاع العلم كله إلى الله ﷻ؛ لأنه العليم بمن خلق، والعليم بما يصلح به حال المخلوق في تقلبات شؤونه كلها، قال الله ﷻ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: 14]، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة كما قال الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: 21]، ففي العمل بمقتضى حديث الاستخارة تطبيق لما شرعه النبي ﷺ مما أوحى الله ﷻ إليه به، وما كان حرصه ﷺ على تعليم صحابته رضي الله عنهم هذه الصلاة إلا من باب تقرير أمور العقيدة الراسخة، وبيان أن الإيمان يحتاج إلى تجديد؛ لأنه يخلق في الجوف كما يخلق الثوب، فداوم النبي ﷺ على تخول أصحابه رضي الله عنهم بالمواعظ والأحكام حتى يزرع في نفوسهم حب الخير والدلالة إليه لمن يجيء بعدهم؛ زمناً بعد زمن.

ولقد قرر القرآن الكريم أن الواجب على المسلم ألا ينساق وراء شهواته وهواه، بل وجهه إلى تحكيم شرع الله ﷻ كاملاً، والرضا بحكمه، فعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رجلاً من الأنصار خَاصَمَ الزُّبَيْرَ رضي الله عنه[1] عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مسيل الماء الذي يَسْقُونَ بِهِ النَّخْلَ، فَقَالَ الأَنْصاري: سَرِّحِ الماء يَمُرُّ، فَأَبَى عَلَيْهِ؟ فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ ﷺ لِلزُّبَيْرِ رضي الله عنه: (اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء: 65])[2]، وهنا قد جعل الله ﷻ الرضا بحكم النبي ﷺ لازماً من لوازم الإيمان به؛ فمن لم يرض بحكمه ولم يسلم له فيه فقد انسلخ من الإيمان واستحق وصفاً غيره؛ لأن الإيمان وإن كان يتضمن التصديق إلا أنه ليس منحصراً فيه، فالتصديق يعرض للخبر، أما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر، وعليه؛ فإن الخبر

---

(1) الزبير رضي الله عنه: هو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، يكنى أبا عبد الله. وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ، أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان عليٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وُلِدُوا فِي عَامٍ وَاحِدٍ، ولم يتخلف الزبير رضي الله عنه عن غزوة غزاها رَسُول اللهِ ﷺ، وكان له من الولد عشرة، وكان أول من سل سيفاً في سبيل الله ﷻ، وهو من العشرة، الذين شهد لهم رَسُول اللَّهِ ﷺ بالجنة، وقتل رضي الله عنه يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين، وفي ذَلِكَ اليوم كانت وقعة الجمل. انظر: الاستيعاب، ترجمة رقم 808، 510/2-516. وأسد الغابة، ترجمة رقم 1732، 307/2-310.

(2) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب سكر الأنهار، حديث رقم 2359، 111/3.

يستوجب التصديق فيما أخبر عنه، والأمر يستوجب الانقياد والتسليم بما أمر، والعمل بالاستخارة التي أمر بها النبي ﷺ يدخل في هذا الباب؛ فالمسلم من حيث إنه مصدق لما أخبر به النبي ﷺ من حثه على فعل الاستخارة فإنه مطالب بالانقياد والتسليم المتمثل في فعل ما أمر به، والتخلي عما سوى ذلك، وهكذا يكتمل إيمان المسلم، ويتحرر من الأهواء والشهوات والانقياد للطواغيت.

المطلب الثاني

تحقيق السعادة والرضا بقضاء الله ﷻ وقدره

لا شك أن قضاء الله ﷻ للعبد خير له من أن يتركه سدى، أو أن يتولى هو أمر نفسه، ولذلك كان النبي ﷺ يكثر من قول:(اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، ولا تَكِلني إلى نفسي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأَصْلِحْ لي شَأْنِي كُلَّه، لا إِلَهَ إلا أَنْتَ)[1]، ولقد عكف الناس منذ خلقوا على السعي لتحقيق السعادة في حياتهم، فترى الفقير قبل الموسر يتسابقان في بذل أسبابها، ويقضي العبد والحر والذكر والأنثى أعمارهم في البحث عنها، ولا شك أن السعادة كلها في إتباع أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ؛ لأنهما لم يتركا شيئاً مما فيه صلاح العبد إلا بيناه في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وتحقيق الأمن من أكبر النعم التي يمن الله ﷻ بها على خلقه، فنرى الدول الصغرى والكبرى تهدر الأموال الطائلة وتقاتل على الجبهات لتحقيق الأمن في الحياة الدنيا فقط؛ لأنها في الغالب غير مسلمة، ولكن أكبر أمل للمسلم يسعى لنيله هو تحقيق الأمن في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا يكون ذلك إلا بالعزوف عما نهى الله ﷻ ورسوله ﷺ عنه، فقال الله ﷻ:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: 82]؛ فالمؤمنون هم من وهبوا أنفسهم لله ﷻ، فتحرروا من الشرك، ولم ينقادوا لشهواتهم، ولم يتطيروا، ولم يستقسموا بالأزلام، بل هم من يرجع في أموره إلى سؤاله ﷻ أن ييسر لهم الأمور بمقتضى علمه السابق وحكمته البالغة.

ولقد أظهر النبي ﷺ عجبه من حال المؤمن فقال:(عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[2]، فبين النبي ﷺ أن قضاء الله ﷻ خير كله، وهنا يجب التفريق بين الرضا بالقضاء والرضا بالمقضي؛ فالرضا بالقضاء واجب، ولكن الرضا بالمقضي غيره، فمن سوى بين القضاء والمقضي فقد أخطأ وزل، ونسب لله ﷻ ما يجب عليه أن ينزهه عنه، وربما ذهب لتأكيد قضية وجوب محبة المقضي وإن كان يجب كراهته من ناحية شرعية؛ فيقع في التناقض بين ما يجب حبه من المقضي، وما يجب كراهته من ناحية شرعية، أو يضطر العبد إلى نسبة بعض مقدورات الله ﷻ إلى الإنسان فراراً من أن تضاف إلى الله ﷻ، ولكن الحق أنه يجب التفريق بين قضاء الله ﷻ وبين المقضي؛ لأنه موطن للزلل، ويختلط على بعض الناس فهمه، وفي هذا يقول شيخ الإسلام

---

(1) سبق تخريجه، راجع ص: 10.

(2) سبق تخريجه، راجع ص: 151.

رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"فمن لم يفرق في حق الرب ﷻ بين الفعل والمفعول إذاً قال إنها فعل الله ﷻ وليس لمسمى فعل الله عنده معنيان، وحينئذ فلا تكون فعلا للعبد ولا مفعولة له بطريق الأولى... وأكثر المعتزلة يوافقون هؤلاء على أن فعل الرب تعالى لا يكون إلا بمعنى مفعوله.. فلهذا عظم النزاع وأشكلت المسألة"[1]، ويعقب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:"وأما من قال: خلق الرب تعالى لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته قال: إن أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ومفعولة للرب كسائر المفعولات ولم يقل: إنها نفس فعل الرب وخلقه بل قال إنها نفس فعل العبد وعلى هذا تزول الشبهة"[2]، ويترتب على ذلك التفريق أن يقال: الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلاً له، كما يفعلها العبد وتقوم به، ولا يتصف بها من كانت مخلوقة له؛ إذا كان قد جعلها صفة لغيره كما أنه سبحانه لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والألوان والروائح .. وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به؛ لا على الخالق الذي خلقها فعلا لغيره[3].[4]

والرضا بقضاء الله ﷻ من لوازم الإيمان، فلقد ورد سؤال الرضا بالقضاء في حديث الاستخارة بأكثر من لفظ، وكلها مردها واحد، وهذا إنما يكون علامة على صدق توجه العبد إلى ربه ﷻ عند إرادة أي أمر، ولذلك كان الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول:"مَا أُبَالِي عَلَى أَيِّ حَالٍ أَصْبَحْتُ، عَلَى مَا أُحِبُّ أَوْ عَلَى مَا أَكْرَهُ؛ لِأَنِّي لَا أَدْرِي الْخَيْرَ فِيمَا أُحِبُّ أَوْ فِيمَا أَكْرَهُ"[5]، فالواجب على العبد أن يمتثل لأمر الله ﷻ؛ لأنه حتماً خير له من أن يتولى هو أمر نفسه، فهو لا يعلم ما فيه نجاته من عطبه، ولذلك كان النبي ﷺ يكثر أن يقول:(..وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ...)[6]، والمستقرئ لآيات الكتاب الكريم يلحظ ذلك في مواطن متعددة، فخرق الخضر عليه السلام السفينة كان في الظاهر بيّن الشر، وقتله للغلام كذلك، وإقامته للجدار، ولكن قضاء الله ﷻ أعظم من أن يحيط به أحد الخلق دون إذن الخالق ﷻ.

---

(1) مجموع الفتاوى، 122/8.

(2) المصدر السابق، 123/8.

(3) انظر: شرح العقيدة السفارينية، 313/1.

(4) لمزيد بيان حول التفرقة بين القضاء والمقضي، انظر: التفهيم لما أشكل من مسائل القضاء والقدر، للأستاذ الدكتور: جابر زايد السميري، منشورات مجلة الجامعة الإسلامية- غزة، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، 2007م، ص 124-125.

(5) الزهد والرقائق، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي، ت 181 هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط دار الكتب العلمية- بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 143/1. وشرح السنة، 306/14.

(6) سبق تخريجه، راجع ص: 12.

وإن تحصيل السعادة كلها في الرضا بقضاء الله ﷻ، فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يأمره ربه ﷻ بذبح ولده الذي رزقه إياه بعد طول عمر، فيذعن لأمره ﷻ ويتل ابنه للجبين؛ ليذبحه امتثالاً لما أمر به، فكان رضاه بقضاء الله ﷻ سبباً في فداء ولده بذبح عظيم، وفي الحديث يقول النبي ﷺ:(إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ)[1]، قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"رجع السؤال إلى تنبيه الملائكة على ما أراد الله تعالى من التفضيل على عبده الحاضر لأجل تصبره على المصائب، أو عند تشكيه، بل إعداده إياها من جملة النعماء التي تستوجب الشكر عليها، ثم استرجاعه، وأن نفسه ملك الله وإليه المصير في العاقبة"[2].

وقوله ﷺ:(وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ) أخذ من تسميته به أن الأسقام والمصائب لا يثاب عليها؛ لأنها ليست بفعل اختياري بل هو مترتب على الصبر الذي هو فعل العبد، وقد نال ذلك البيت بحمده واسترجاعه لا بمصيبته؛ وإنما ثواب المصيبة يكفر الخطايا لكن الأصح خلافه، وظاهر ترتيب الأمر ببناء البيت على الحمد والاسترجاع معاً أنه لو أتى بأحدهما دون الآخر لا يبنى له شيء، وعليه فكان القياس في وجه التسمية أن يقال: سموه بيت الحمد والاسترجاع، لكن الأقرب أن الخصلة التي يستحق بها ذلك إنما هي الحمد. وذلك الاسترجاع معه كالتتمة والرديف بدليل إفراده بالتسمية.[3]

والحمد على الضراء يوجبه أمران؛ فالأول: علم العبد بأن الله سبحانه مستوجب لذلك مستحق له لنفسه؛ فإنه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء وهو العليم الحكيم. والثاني: علمه بأن اختيار الله ﷻ لعبده المؤمن خير من اختياره لنفسه، وهذا ما تم بيانه آنفاً.[4]

---

(1) سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، حديث رقم 1021، 332/2، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال الإمام الألباني: حسن. انظر: صحيح سنن الترمذي، حديث رقم 1021، 519/1.

(2) مرقاة المفاتيح، 1240/3.

(3) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت 1031 هـ، ط المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط الأولى 1356 هـ، 440/1.

(4) انظر: مجموع الفتاوى، 43/10-44.

وحتى يحقق المسلم السعادة لابد له من بذل أسباب الرضا بالقضاء؛ لأنه لا يعلم ما خير له، ولذلك هو مأمور بإتباع سنة النبي ﷺ في فعل الاستخارة في الأمور كلها، وأن يرجع العلوم إلى منشئها ﷻ؛ لأنه العليم بمن خلق، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[الملك: 14]، فلا يحق لمسلم أن يقف مكتوف الأيدي ينتظر الرزق ولسان حاله يقول: أنا راض بما قسم الله ﷻ لي؛ فأمثال هذا لم يرض بقضاء الله ﷻ؛ لأن الراضي بقضائه سبحانه يبذل الأسباب الشرعية أولاً ثم ينتظر النتيجة، وبعد ذلك إن كانت خيراً حمد الله ﷻ على ما أعطاه، وإن كانت الأخرى صبر، وإن ارتقى لمقام الحمد على الضراء كما في حديث قبض ولد العبد فهذه منزلة ليس بعدها منزلة؛ لأنه تسليم لله ﷻ بقضائه جميعاً.

وإن توجيه النبي ﷺ المسلم إلى الاستخارة بصلاتها ودعائها فيه إلحاح على الله ﷻ في الطلب، ولذلك نهى ﷺ المسلم أن يدعو ويعلق الإجابة على المشيئة بقوله:(لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ)[1]، فينبغي للمسلم أن يدعو ويعزم ولا يترك الدعاء بحجة أنه راضٍ بالقضاء، بل الواجب بذل السبب الشرعي ثم الرضا بالقضاء بعده، وفي هذا يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"والْمَقْصُود أن الرِّضَا الَّذِي هُوَ من طَرِيق الله لَا يتَضَمَّن ترك وَاجِب وَلَا ترك مُسْتَحبّ؛ فالدعاء الَّذِي هُوَ وَاجِب أو مُسْتَحبّ لَا يكون تَركه من الرِّضَا، كَمَا أن ترك سَائِر الْوَاجِبَات لَا يكون من الرِّضَا الْمَشْرُوع وَلَا فعل الْمُحرمَات من الرِّضَا الْمَشْرُوع"[2].

وإن المستدرك لما بعد القضاء لا ينال شيئاً وليس له شيء سوى التسليم، فمن مات ولده ولم يرض بالقضاء لن يرجع إليه ولده، ولذلك لما مات ولد نبينا محمد ﷺ قال:(إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ)[3]، قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"هذا البكاءُ تفسيرُ البكاءِ المباح والحزن الجائز، وذلك ما كان بدمع العين ورقة النفس، ولم يكن تسخطًا لأمر الله ﷻ؛ إذ الفطر مجبولة على الحزن".[4]

والراضي بالقضاء مفوض لله ﷻ في تصريفاته، فيبذل الأسباب الشرعية التي طلب منه بذلها، ثم يتوكل على خالقه ﷻ في تحقيق الأصلح له، والعبد المسلم هو عبد محض لا يجوز له الاعتراض على شيء من حكم خالقه ﷻ؛ لأنه الأعلم بعواقب الأمور، وإن الرضا بالقضاء يجلب

---

(1) سبق تخريجه، راجع ص: 121.

(2) الاستقامة، 132/2.

(3) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:(إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ)، حديث رقم 1303، 83/2.

(4) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، 287/3. وفتح الباري، 174/3.

السكينة والثبات في الحياة، وإن السخط يوجب على العبد التلون مع الله ﷻ؛ فما لاءم طبعه رضي به، وما لم يلائمه سخطه لأجله، فالمقادير تجري دوماً بما يلائم الإنسان وبما لا يلائمه، فلو سخط على ما لا يلائمه لم تثبت له قدم على العبودية الحقيقية.

وإن السخط بالقضاء يفتح على العبد باب الشك في الله ﷻ وفي أفعاله وحكمته البالغة، وهنا يكمن موطن الزلل، بل الواجب هو الرضا الذي يثمر الشكر ويكون سبباً في المزيد كما قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم: 7]، والرضا يثمر حسن الخلق؛ لأن العبد يرى جريان الحكم على نفسه، ويسلم لله ﷻ في قضائه ولا يعترض على شيء منه، ولو كان المجتمع كله على هذا لصلح ولتماسك وأعان بعضهم بعضاً عند المصائب، وهذا ما أمرنا به النبي ﷺ في أحاديث كثيرة منها: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[1].

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم 2585، 1201/2.

المطلب الثالث

تحرير العقل من الأوهام والخرافات والتقليد الأعمى

تحفل الحياة الدنيا بالمخلوقات الدالة في أحوالها المختلفة على عظيم شأن الخالق سبحانه، ولكن الله ﷻ ميز من بينها مخلوقاً واحداً هو أشرفها منزلة؛ فخلقه بيديه، وعلمه مما يشاء، وأسجد له ملائكته، وأسكنته جنته، ووهبه عقلاً أناط به التكليف، فلا مكَلَّفَ سواه، وأسقط عنه ما أوجب عليه إذا انتزع منه ما وهبه إياه، ومن هنا كان للمكلف أن يحاسب على الأقوال والأعمال، وكان لله ﷻ المنة الكبرى عليه أن بعث إليه أشرف خلقه وأدناهم منه منزلة؛ فأرسل إليه الرسل تترى، وأنزل معهم الكتب لتكون له هادياً في حياته؛ فإذا ما انحرف عن الدرب صوبت مساره، وقادته إلى ما فيه سعادته الأبدية إذا أعمل عقله في ضرورة الإتباع، وفيما يأتي تعريف العقل في اللغة والاصطلاح:

1. العقل لغة: "الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُنْقَاسٌ مُطَّرِد، يَدُلُّ عُظْمه عَلَى حُبْسَةٍ فِي الشَّيْءِ أَوْ مَا يُقَارِبُ الْحُبْسَةَ. مِنْ ذَلِكَ الْعَقْلِ، وَهُوَ الْحَابِسُ عَنْ ذَمِيمِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ"[(1)].

ويقول الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"يُقَال: عَقَلَ الرجلُ يَعقِل عَقلاً، إذا كَانَ عَاقِلا. وسمِّي عقلُ الْإِنْسَان وَهُوَ تَمْيِيزه الَّذِي بِهِ فَارق جميعَ الْحَيَوَان عقلاً؛ لأنّه يعْقِلُه، أَي؛ يمنعهُ من التورُّط فِي الهَلَكة، كَمَا يَعْقِلُ العِقَالُ البعيرَ عَن ركُوب رَأسه"[(2)].

2. العقل في الاصطلاح: يقول أبو الوليد الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(3)]عند تعريفه للعقل بأنه:"العلم الضروري الذي يقع ابتداء ويعم العقلاء".[(4)]

---

(1) مقاييس اللغة، 69/4.

(2) تهذيب اللغة، 160/1.

(3) أبو الوليد الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التُّجِيْبِيُّ الأندلسي القرطبي الباجي الذهبي، فقيه مالكي كبير، من رجال الحديث. ولد في باجة بالأندلس عام 403 هـ، ورحل إلى الحجاز سنة 426 هـ فمكث ثلاثة أعوام. وأقام ببغداد ثلاثة أعوام، وبالموصل عاماً، وفي دمشق وحلب مدة. وعاد إلى الأندلس، فولي القضاء في بعض أنحائها. وتوفي بالمَرِيَّة –مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس– سنة 474 هـ، وله مصنفات كثيرة، منها: السراج في علم الحجاج، وإحكام الفصول في أحكام الأصول، ورسالة الحدود. انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم 274، 535/18–544. والأعلام، 125/3.

(4) الحدود في الأصول، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، ت 474 هـ، تحقيق: نزيه حماد، ط مؤسسة الزغبي– بيروت، ط الأولى 1392 هـ، ص31.

وقوله:"يقع ابتداء"؛ أي من غير جهد في التحصيل، ولا كسب له عن طريق الحواس؛ كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الضدين لا يجتمعان، وقوله:"ويعم العقلاء"، أراد به التحرز عن إدخال المجانين ومن في حكمهم، وكذا الحيوانات؛ لأنها لا عقل لها.

وعند التحقيق فإن العقل في مفهومه يدل على معان أربعة[1]، وهي:

1. الغريزة التي في الإنسان؛ فبها يميز ما يضره وما ينفعه، وهي فيه بمنزلة الحواس، وبها يتميز عن الحيوانات.

2. العلوم الضرورية وهي التي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالواجبات والممكنات، وقد قسمها الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريفه قسمين؛ فمنها ما يحصل ابتداء، ومنها ما يحصل بالاكتساب.

3. العلوم النظرية؛ وهي التي تحصل بالنظر والاستدلال، والناس فيها متفاوتون، وهذا بين جلي.

4. الأعمال التي تكون بموجب العلم، ولذلك سجّل الله ﷻ مقالة أهل النار عندما قالوا:﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ ﴾[الملك: 10].

وبعض الناس يقتصر في تعريف العقل على أحد هذه المعاني الأربعة، والصحيح ذكرها مجتمعة.

ولقد كان العرب قديماً يرزحون تحت نير الأساطير[2] والخرافات[3] والأوهام[4]، ولذلك لما جاء النبي ﷺ بهذا الدين العظيم ظنوه أحدها، فسجل الله ﷻ مقالتهم في كتابه العزيز فقال: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ ﴾[الفرقان: 5]، فبين الله ﷻ لهم أنه أنزل كتاباً قيماً ونوراً مبيناً فيه شفاء لما يعانيه البشر في حياتهم من كربات، فقال ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ ﴾[النساء: 174].

---

(1) انظر: منهج الاستدلال، 1/158-159.

(2) الأساطير: الأباطيل. انظر: الصحاح تاج اللغة، 2/684.

(3) الخرافات: حَدِيث مُسْتَمْلَحٌ كَذِبٌ. انظر: تهذيب اللغة، 7/151.

(4) الأوهام: أوهَمْتُ الشيءَ، إذا تركتَه كلَّه أُوهِمُ، ووَهِمْتُ فِي الْحساب أَوْهَم، إذا غَلِطْتَ، ووَهَمتُ إِلَى الشَّيْء إذا ذَهب قلبُك إِلَيْهِ وَأَنت تُرِيدُ غيرَه أَهِم وَهْماً. انظر: تهذيب اللغة، 6/246.

ولذلك أرسى النبي ﷺ منهجاً واضحاً نفى فيه ما درج عليه أهل الجاهلية من الأمور المخالفة للعقل والحس والمشاهدة، فقال النبي ﷺ:(لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا غُولَ)[1]، وقال ﷺ:(لَا عَدْوَى وَلَا هَامَةَ وَلَا نَوْءَ وَلَا صَفَرَ)[2]، وقال ﷺ:(لاَ عَدْوَى وَلاَ صَفَرَ وَلاَ هَامَةَ)[3]، فنفى النبي ﷺ عادات الجاهلية الأولى، وبين أنها لا أساس لها من الصحة، وإنما هي أمور تلقوها عمن قبلهم ولم يحكّموا فيها عقولهم، ولم يتفكروا في عواقبها، فقوله ﷺ:(لا عَدْوَى) يريد أنَّ شيئاً لا يعدي شيئاً حتى يكون الضرر من قِبله، وإنما هو تقدير الله ﷻ وسابق قضائه فيه.[4]

وأما قوله ﷺ:(ولا طِيَرَةَ) طائر قيل: هي البومة يتشاءمون به، وقوله:(ولا هَامَةَ) قيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة تطير، وقيل: إن روحه تنقلب هامة، وهذا تفسير أكثر العلماء، وقوله ﷺ:(ولا صَفَرَ) وهو فيما قيل: دابة تهيج عند الجوع وربما قتلت عنده صاحبها، وكانوا يعتقدون أنها أعدى من الجرب.[5]

وأما قوله ﷺ:(ولا غُولَ) فالغُول واحدة الغيلان، وهي من التغول أي التضليل، وكانت العرب تزع أن الغيلان في الفلوات؛ وهي جنس الشياطين تتراءى للناس وتتغول لهم تغولاً، أي؛ تتلون لهم تلوناً، فتضلهم عن الطريق فتهلكهم، وقد جاء الإسلام لنفيه،[6] وقوله ﷺ:(ولا نَوْءَ) فقد تقدم الحديث عنه في فصل سابق[7].

وتعاطي العرب لهذه الضروب من الخرافات والأوهام والأساطير إنما جاء نتيجة انقطاع النبوة فيهم، فكانوا تبعاً لغيرهم في تقرير عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم، فلا ضابط لهم، ولا معيار عندهم يرجعون إليه، حتى أكرم الله ﷻ هذه الأمة بأن بعث إليها خير الرسل الهادي محمداً ﷺ، فدثر الجاهلية وأرسى المنهج الإسلامي الذي يحترم العقل الإنساني وينزله منزلته الراقية التي يستحقها.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب السلام، بَابُ لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ، وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ، وَلَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ، حديث رقم 2222، 1058/2.

(2) صحيح مسلم، كتاب السلام، بَابُ لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ، وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ، وَلَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ، حديث رقم 2220، 1058/2.

(3) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب لا صفر، وهو داء في يأخذ في البطن، حديث رقم 5717، 128/7.

(4) انظر: معالم السنن، 233/4.

(5) انظر: إرشاد الساري، 398/8.

(6) انظر: إرشاد الساري، 374/8.

(7) راجع ص: 87.

وقد جاء الإسلام بالدعوة إلى إعمال العقل في آيات كثيرة؛ ليفتح أمام الإنسان أبواب التأمل في الأنفس والآفاق فيستدل بها على الخالق ﷻ، ويقوي إيمانه به، ويكون أدعى إلى نشر الدين بين الناس على أساس متين قائم على النظر والاستدلال؛ فالناس يصدقون ما وافق عقولهم وقام عليه الدليل، وفي هذا دفع لهم أن يعلموا ما ينفعهم في حياتهم الدنيا وفي آخرتهم، وقد رفع الله ﷻ من منزلة أولي الألباب، وجعل الإسلام الدية على من يعتدي على العقل، بل جعل الإسلام مناط التكليف كله مرتبطاً بوجود العقل، فقال النبي ﷺ: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَفِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ)[1].

وقد دعا الله ﷻ الناس إلى التفكر في العادات والتقاليد التي درجوا عليها، فلا يسعهم البقاء على ما ورثوه من آبائهم وأجدادهم بحجة أن ما ورث من السابقين كان صحيحاً، ولذلك أنكر الله ﷻ على مشركي مكة فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة: 104]، وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: 21]، فبين سبحانه أنهم احتجوا بموروثاتهم العقدية وأنها صحيحة غير قابلة للنقاش فيها؛ وهذا تعطيل للعقل الذي منحهم الله ﷻ إياه ليميزوا به بين الحق والباطل، فجعل الله ﷻ الرسول ﷺ هو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وأمر بإتباع أمره واجتناب نهيه، ليتحقق لهم الفوز في الدنيا والآخرة.

كما أن القرآن الكريم حارب الرجم بالغيب، فحرم السحر والكهانة والتنجيم، والطيرة بزعمهم أنها تؤثر في المقدور، ولم يترك الدين الإسلامي الناس هملاً دون بديل، بل أنزل إليهم القرآن الكريم بمبعث الرسول ﷺ الذي أوصى بحديث الاستخارة؛ الذي يحوي التوسل إلى الله ﷻ أن ييسر الأمور، وأن يجلب القدر الأصلح بمقتضى علمه السابق، ونبه إلى الأخذ بالأسباب، والتفاؤل بالخير من باب حسن الظن بالله ﷻ، وبهذا فقد تمت النعمة، وظهر الدين، وانجلت الغمة، وبانت الطريق إلى الله ﷻ دون لُبْسٍ أو اشتباه.

وكذلك فإن الدين الإسلامي نهى عن القول بغير علم، أو القول بالظن؛ لأنهما يقودان الإنسان إلى نشر الفساد، وهذا مخالف للعقل الذي يمنع صاحبه من الوقوع في الهلكة، وإن الناظر إلى تفكك المجتمعات اليوم يرى أنها جنت على أفرادها عندما جرت وراء شهواتهم وأهوائهم، فما زالوا يتجرعون مرارة ما درجوا عليه من حياة الانفتاح غير الملتزمة، والأصل أن يسير المجتمع

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً، حديث رقم 4401، 140/4، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 4401، 56/3.

على نسق واحد، وأن يرجع في تكوينه إلى عقيدة واحدة؛ لينشأ أفراده متقاربين في الفكر متفاهمين، يعون قدر المسئولية الملقاة على عاتقهم للنهوض بمجتمعهم خلال مسيرة حياته، وكفى بالإسلام من دين عالمي صالح لكل زمان ومكان؛ لأنه مؤيد بوحي السماء.

المبحث الثاني

أثر العقيدة الإسلامية على المجتمع

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تخلية المجتمع من الشركيات كالتنجيم والطيرة والاستقسام بالأزلام.

المطلب الثاني: بناء المجتمع العالمي الموحد المتماسك لأخذه بالأسباب.

المطلب الأول

تخلية المجتمع من الشركيات كالتنجيم والطيرة والاستقسام بالأزلام

لقد درج أهل الجاهلية الأولى على تعاطي المحرمات والخوض في الشركيات، ولم يردعهم في ذلك رادع؛ لأنهم تبع لشياطينهم وأهوائهم وشهواتهم، ومن كان تبعاً لشيطانه وهواه وشهواته فلا يرجى منه هدى، فكان المجتمع الجاهلي يجري على عدة أنساق؛ فمن رام أمراً ما ذهب للناظرين في النجوم يسألهم، ومنهم من يتطير إما بزجر الطير أو بإطلاقها، أو يستقسم بالأزلام، وكل ذلك كان سائداً عندهم في إطار عقدي يربطون به مصيرهم في حياتهم الدنيا، ولا يحيدون عنه لغيره، ولا يرضون لأحد أن يناقشهم في شيء منه؛ لأنه يعد متعدياً على أخص خصوصياتهم.

وفي خضم هذه الاعتقادات الفاسدة أكرم الله ﷻ أمة محمد ﷺ بأن بعث إليها خير الرسل وخاتمهم؛ ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، فجاء الإسلام غضاً نقياً فمحا الله ﷻ به آثار الجاهلية الأولى وكل جاهلية ستأتي لاحقاً، فناقش القرآن الكريم المشركين فيما خاضوا فيه من الشركيات وبدأ بتفنيدها واحدة تلو أخرى؛ فعد المشركون هذا تعدياً صارخاً على عقيدتهم فجمعوا جموعهم وأجلبوا حتى يدفعوا عن أنفسهم هذا الخير الذي اعتقدوه شراً لهم، وقد ذكر الله ﷻ مقالتهم فقال:﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[الأنفال: 32].

فناوأ عتاة الشرك هذا النبيَّ الكريم ﷺ بكل ما أوتوا من قوة ومال، وجعلوا يضيّقون عليه الخناق شيئاً فشيئاً؛ فمرة ينشرون الإشاعات المكذِّبة والمتهمة له بعد أن كان الصدق والأمانة ممثلاً بشخصه ﷺ، ومرة يضرون متبعيه بأنواع العذاب المختلفة، ويؤذونهم بكيل الشتائم وقصائد الهجاء للإسلام وأهله تنفيراً لهم من هذا الدين، ويمنعونهم من ممارسة شعائر دينهم في الأماكن المقدسة، حتى صوَّر النبيُّ ﷺ حالَ الإسلام فقال:(بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)[1]، أي؛ بدأ الإسلام في آحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر، وسيعود كما بدأ، أَي؛ وسيلحقه النقص والاختلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضاً كما بدأ، فطوبى من الطّيب وقيل: معناه فرح وقرة عين وسرور لهم وغبطة، وقيل: دوام الخير، وقيل: الجنة، وقيل: شجرة فيها للغرباء.[2]

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، حديث رقم 145، 77/1.

(2) انظر: الديباج، 164/1.

ولكنَّ للباحث تعليقاً على هذا الحديث، وهو أن الإسلام بدأ غريباً ليس الغرابة الممثلة في آحاد من الناس فقط، بل إن الإسلام بدأ غريباً الغرابةَ التي تعني التَمَيُّز؛ فالإسلام لم يلبث أن ظهر حتى عَمَّ أرجاء الأرض في سنواتٍ قليلة، فبدأ غريباً في سرعة انتشاره ولم يكن لدين قبله هذا التوسع المهيب، وبدأ غريباً في التأثير في متبعيه؛ فمن دخله لم يعدل عنه إلى غيره أبداً، إلا من انحرف من شواذ الناس، في حين أن الأديان الأخرى كان الناس يعدلون عنها إلى غيرها، ويعدّلون فيها بالزيادة فيها والنقص منها؛ لتتفق وحياتهم اليومية، وهذا له أكبر الأثر على فساد العقيدة؛ فالحَسَنُ ما اتفق ومصالحهم، والسيئ ما اختلف ومصالحهم، والدين الجاري على نسق المصالح لا يصلح أن يكون للناس كافة؛ فما يصلح لقوم لا يصلح لآخرين، وهكذا.

ولقد كان الجاهليون خاضعين لسلطان الشركيات أبداً، فحياتهم خبط عشواء؛ لأنهم يسيرون وفق ما يتعاطونه من المحرمات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وهي اعتداء صارخ على التوحيد، فالغيب قد استأثر الله ﷻ بعلمه، ولا يُظْهِر عليه إلا من ارتضى؛ فقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: 26-27]، ولذلك جاء الإسلام ليقطع دابر الشرك من بلاد الجزيرة العربية أولاً، ثم لينطلق حاملوه لنشره في كافة أرجاء المعمورة.

والحديث عن العقيدة حديث يطول؛ فأساس الإسلام إخضاع الحياة للعقيدة الصحيحة، فبها يكون الفقير معدماً ويتعفف، ويكون الغني موسراً ويتصدق، ويكون الشَّرِه طامعاً ويمسك، ويكون القوي قادراً ويحجم، ويكون المَلِكُ ذا سلطان ويتواضع، والعقيدة هي تلك الطاقة التي تحرك في الإنسان قواه الكامنة، وتحمي المجتمعات من الانهيار إذا امتدت إلى ضبط سلوك الفرد داخل منظومة مجتمعه المتكاملة.[1]

وفيما يأتي تسليط الضوء على ألوان الشركيات التي كانت سائدة في الجاهلية؛ لانقطاع النبوة فيهم، ثم بيان موقف الإسلام منها، وما يتوجب على المسلم فعله:

أولاً: التنجيم:

1. التنجيم لغة: نَجَمَ الشَّيء يَنْجُمُ بالضم نُجوماً؛ ظهر وطلع، والنَجْمُ: الوقت المضروب، ومنه سمِّي المُنَجِّمُ، والنَجْمُ: الكوكبُ. والنَجْمُ: الثريَّا، وهو اسمٌ لها علم، مثل زيدٍ وعمرو.[2]

---

(1) انظر: وحي القلم، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، ت 1356 هـ، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1421 هـ، 7/2.

(2) انظر: الصحاح تاج اللغة، 2039/5.

ويقال: نَظَر فِي النُّجُومِ؛ أي فَكَّر فِي أَمْرٍ يَنْظُرُ كَيْفَ يُدَبِّرُهْ، وَهُوَ مَجَازٌ، وبِهِ فُسِّر قَوْلُه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حِكَايَة عَن سَيّدنا إبراهيمَ عليه السلام:﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ ﴾[الصافات: 88]، أَي؛ تَفَكَّرَ ما الَّذِي يَصْرِفُهُم عَنهُ إذا كَلَّفوه الخُرُوجَ مَعَهم إِلَى عِيدهم.(1)

"والمنجم والمتنجم: الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها، وتنجم؛ رعى النجوم من سهر،.. والعرب تسمي كل من تعاطى علماً دقيقاً كاهناً، ومنهم من كان يسمي المنجم والطبيب كاهناً".(2)

2. التنجيم اصطلاحاً: يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"وصناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية ... صناعة محرمةٌ بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل".(3)

أو هو"علم يعرف به الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث الأرضية... والمنجم: من ينظر في النجوم يحسب مواقيتها، وسيرها، ويستطلع من ذلك أحوال الكون".(4) و"علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار وما كان في معانيها من الأمور، يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها، ويدعون لها تأثيراً في السفليات، وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها".(5)

ويقول ابن خلدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ(6) في تعريف أوضح للتنجيم:"وهذه الصّناعة يزعم أصحابها أنّهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في

---

(1) انظر: تاج العروس، 33/480-481.

(2) لسان العرب، 12/570، 13/363.

(3) مجموع الفتاوى، 35/192.

(4) القاموس الفقهي، 1/348.

(5) معالم السنن، 4/229-330. وشرح السنة، 12/183.

(6) ابن خلدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي الأصل التونسي، ومولده في سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة غرة شهر رمضان منها بتونس. قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد المعروف بابن خلدون نزيل القاهرة وقاضي المالكية بها. وكان بارعاً في الأصول وغيره أديبا ولي قضاء الديار المصرية غير مرة في دولة الملك الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج. ومات في رمضان سنة ثمان وثمانمائة بالقاهرة. انظر: ذيل التقييد، ترجمة رقم 1232، 2/101. والأعلام، 3/330.

المولّدات[1] العنصرية مفردة ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالّة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلّيّة والشّخصيّة".[2]

وفي ملاحظة هذه التعريفات يتبين أنها جميعاً ربطت سيران الكواكب والنجوم في دورانها واجتماعها وافتراقها بالحوادث الأرضية، وأن ملاحظة هذه الكواكب والنجوم يمكننا من التنبؤ بما سيحدث في مستقبل الزمان، والمعلوم من الدين بالضرورة أن علم الغيب قد استأثر الله ﷻ به، قال الله ﷻ:﴿ ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام: 59]، فبين سبحانه أن جميع حوادث الكون إنما هي كائنة بعلمه، وهذا ما بيناه عند الحديث عن مراتب القضاء والقدر في مرتبة العلم، وقال الله ﷻ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾[لقمان: 34]، وهذه هي المُغيَّبات الخمس التي لا مجال لأحد أن يعرفها أبداً إلا من أطلعه الله ﷻ على ما أراد؛ ففي الحديث أن جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أتى النبي ﷺ في هيئة رجل حسن الهيئة يسأله عن أمور الدين ليعلّم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، فقال:(. . .مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. .).[3]

وأما نزول الغيث ومع هذا التطور الذي نشهده في العصر الحديث لم يستطع علماء الأرصاد تحديد أوقات الأمطار، وإنما يبقى كلامهم مجرد تنبؤات لا يجزم بها، وإن قدر أن صدقوا في تنبؤاتهم فلا يعلمون مواقع قطر الأمطار، ولا ما سينال كلَّ أرض منها، وما سينبت بسببها، وأما علم الأرحام فلا علم لأحد به غير الله ﷻ، حتى أن ملائكة الأرحام لا يعلمون ما سيخلق في الرحم فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ:(إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ، وَأَجَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ. . .)[4]، فبين

---

(1) المولد: المحدث من كل شيء، ومنه المولدون من الشعراء؛ إنما سموا بذلك لحدوثهم. انظر: لسان العرب، 470/3.

(2) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد ابن محمد، ابن خلدون أبي زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ت 808 هـ، تحقيق: خليل شحادة، ط دار الفكر– بيروت، ط الثانية 1408 هـ، 714/1.

(3) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، حديث رقم 50، 19/1.

(4) المصدر السابق، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث رقم 3332، 133/4.

الحديث أن الله ﷻ يبعث ملكاً بالكلمات الأربع، وأن الملك لا يعلمها ابتداء، وهذا جلي في قوله ﷺ: (إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ)[1]؛ فبين النبي ﷺ أن المَلَكَ يسأل الله ﷻ عند كل مرحلة، وهذا دليل على أن الله ﷻ قد استأثر بعلم الغيب، وقد يستطيع علماء الأجنة اليوم تحديد جنس المولود، ذكراً كان أو أنثى، ولكنهم لا يستطيعون معرفة أجله، وعمله، ورزقه، وسعادته أو شقاوته، وهذا ينفي معرفته بالغيب.

وأما ما في غدٍ فلا يعلمه على الجزم إلا الله ﷻ، ومن تنبأ بحدوث رزق أو سعود أو نحوس أو ما شابه فلا يجزم بذلك، ولا يماري في ذلك ذو لب، وأما علم الإنسان بمكان موته فليس إلى ذلك سبيل؛ فقد يكون الإنسان مريضاً وهو متأكد أنه سيموت حيث هو، ولكنَّ الله ﷻ يهيئ له الظروف للسفر فيسافر فتأتيه منيته من حيث رام الشفاء، وهذا واقع مشاهد، وفي هذا قال الشاعر:

أَقَامَ عَلَى المَسِيْرِ وَقَدْ أُنِيْخَتْ .... مَطَايَاهُ وَغَرَّدَ حَادِيَاهَا

وَقَالَ أَخَافُ عَادِيَةَ اللَّيَالِي ..... عَلَى نَفْسِي وَأَنْ أَلْقَى رَدَاهَا

مَشَيْنَاهَا خُطاً كُتِبَتْ عَلَيْنَا ... وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطاً مَشَاهَا

وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ ..... فَلَيْسَ يَمُوْتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا[2]

3. أقسام علم النجوم: عند استقراء كل ما يتعلق بعلم النجوم تبين للباحث أنها ترد إلى قسمين لا ثالث لهما وهما: الطبيعيات والوهميات، وفيما يأتي بيان مختصر لكل قسم:

القسم الأول: الطبيعيات؛ وهو ما يقصد به معرفة وقت الزوال، وجهة القبلة والفصول الأربعة، وحساب الأيام والشهور والأعوام، قال الله ﷻ:﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[النحل: 16]، وبيّن الإمام الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الاستدلال على معرفة وقت الزوال غير داخل في النهي؛ لأن معرفة رصد الظل ليس شيئاً بأكثر من أن الظل ما دام متناقصاً فالشمس بَعْدُ صاعدةٌ نحو وسط

---

(1) صحيح مسلم، كتاب القدر، بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ، حديث رقم 2645، 1221/2.

(2) المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبي الفتح، ت 852 هـ، ط عالم الكتب– بيروت، ط الأولى 1419 هـ، 491/1.

السماء من الأفق الشرقي، وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي، وهذا علم يصح دركه من جهة المشاهدة، وكذلك فإن الاستدلال بالنجوم على جهة القبلة شبيه به، وذلك أن الأئمة ذوي الخبرة، والذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين رصدوها، وأخبروا عنها، فكان إدراكهم الدلالة عنها بالمعاينة، وإدراكنا لذلك بقبولنا لخبرهم إذ كانوا غير مُتَّهمين في دينهم ولا مقصرين في معرفتهم.(1)

القسم الثاني: الوهميات(2)؛ وهو ما يقصد به الاستدلال على الحوادث الأرضية برصد الكواكب والنجوم في سيرانها واقترانها، ونحو ذلك مما يطلق عليه معرفة الأبراج، وهذا ما جاء النهي بخصوصه؛ لأنه ادعاء معرفة الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ.

4. موقف الإسلام من التنجيم: بعث النبي ﷺ في قوم كفار أهل جاهلية، حيث كان العرب بادئ ذي بدء يتعاطون التنجيم، ويعتقدون أن الأفلاك العلوية لها أكبر الأثر في التأثير في السفليات، وكانوا يَعُدُّون التنجيم ضرباً من ضروب الكهانة؛ فالكهانة عندهم أنواع؛ فمنهم من كان يزعم أن له رئياً(3) من الجن يلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يدعي أنه يدرك الأمور بفهم أعطيه، وكان منهم من يسمى عرافاً؛ وهو الذي يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها؛ كالشيء يسرق فيعرف المظنون به السرقة، وتتهم المرأة بالزنا فيعرف من صاحبها، ونحو ذلك، ومنهم من كان يسمي المنجم كاهناً.(4)

وهذه الأمور كلها تدور في فلك معرفة الغيب، وقبل الحكم بحرمتها أو إباحتها لابد من التمييز بين ما هو غيب وما هو شهادة؛ فالغيب في بعض الأمور نسبي وفي بعضها مطلق، فحدوث حادثة في بلد ما بالنسبة لبعض الناس هو أمر غيبي؛ إذ لم يبلغهم ما حدث، وبالنسبة لمن شاهد الحادثة فهو أمر علمه ولم يغب عنه؛ فهو له شهادة، فالأمور أمثال هذه تدخل في الغيب النسبي ولا يعد ادعاء معرفتها رجماً بالغيب؛ لأنها خرجت من كونها غيباً مطلقاً إلى علم الشهادة،

---

(1) انظر: معالم السنن، 230/4.

(2) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، ت 1067 هـ، ط مكتبة المثنى– بغداد، بدون رقم الطبعة 1941 م، 1930/2. ومعالم السنن، 229/4. وشرح السنة، 12، 183.

(3) الرَّئِيُّ: أرأى الرجل إذا صار له رئي من الجن، ويقال للتابع من الجن: رَئِيٌّ بوزن كمي، وهو فعيل أو فعول؛ سمي به؛ لأنه يتراءى لمتبوعه، أو هو من الرأي؛ من قولهم فلان رئي قومه إذا كان صاحب رأيهم. انظر: تهذيب اللغة، 228/15، 234. ولسان العرب، 297/14–298.

(4) انظر: المنهاج، 223/14. ومعالم السنن، 229/4. وشرح السنة، 182/12.

فما خرج من علم الله ﷻ ابتداء فعلمه أحد الخلق كجبريل عليه السلام مثلاً فهو شهادة، ولكن الغيب المطلق هو الذي استأثر الله ﷻ بعلمه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه، ويأتي المنجمون في هذا القسم من الغيب ويدّعون معرفته، ولا شك أن هذا الادعاء ليس في محله؛ بل هو اعتداء صارخ على التوحيد.

وإن اعتقاد تأثير الأفلاك العلوية في السفليات شرك في توحيد الربوبية، وهذا أول ما جاء الإسلام لهدم أساسه، والبناء على أنقاضه مفاهيم العقيدة الصحيحة الراسخة، فقال الله ﷻ:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾[النساء: 51–52]، ففي هذه الآيات يخاطب الله ﷻ نبيه ﷺ ويلفت نظره وقلبه إلى ما ادَّعاه أهل الكتاب من اليهود أن كفار قريش أهدى من المؤمنين سبيلاً؛ وذلك حين سألهم المشركون أينا أهدى طريقاً؛ نحن أم محمد ﷺ؟ فكان جوابهم أن المشركين وما هم عليه أهدى، ولقد علم أهل الكتاب أن الإيمان بالجبت الذي هو الكهانة والطاغوت الذي هو الشيطان كفر، وأن التصديق بهما شرك؛ ولذلك لعنهم الله ﷻ وتوعدهم بالعذاب في الآخرة حيث لا ناصر لهم من دونه.[1]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ[2] زَادَ مَا زَادَ)[3]؛ وهذا الحديث لا يقصد به قسم الطبيعيات كالاستدلال على القبلة أو وقت الزوال أو شابه، وإنما يعني علم التنجيم الذي هو ادعاء الغيب، وفيه يبين النبي ﷺ أنه يندرج تحت السحر، وأن الإثم واقع بملابسته، وأنه يزيد كلما زيد في الاقتباس منه.[4]

ولا يخفى على مسلم أن السحر من الموبقات التي تهلك فاعلها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ،

---

(1) انظر: تفسير الطبري، 462/8. وصحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ ﷻ:﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ﴾[النساء: 43]، 45/6.

(2) السِّحْرُ: عمل يُتقرَّبُ فِيهِ إِلَى الشَّيْطَان وبمَعُونَةٍ مِنْهُ، كل ذَلِك الأَمْر كَيْنُونَتُه السِّحْر، وأصل السِّحْرِ صَرْفُ الشَّيْء عَن حَقِيقَتِه إِلَى غَيره. فالْعَرَب تقول للرّجل: مَا سَحَرَكَ عَن وَجْه كَذَا وَكَذَا، أَي مَا صَرَفَك عَنهُ. انظر: تهذيب اللغة، 169/4–170.

(3) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في النجوم، حديث رقم 3905، 14/4، قال الإمام الألباني: حسن. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 3905، 473/2.

(4) انظر: عون المعبود، 284/10.

وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ)[1] وقد أورد البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث بالاقتصار على الحث على اجتناب الموبقات دون ذكر العدد، وذكر اثنتين من السبع، وهن الإشراك بالله ﷻ والسحر، فقال:(اجْتَنِبُوا المُوبِقَاتِ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ)[2]، وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقاً على فعل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:"واقتصر في هذا الحديث على ثنتين منها تنبيهاً على أنهما أحق بالاجتناب"[3]، وأَجْمِلْ بهذا القول؛ فإن السحر قرين الشرك، وما ازداد أحد من السحر إلا بزيادة في الإشراك بالله ﷻ؛ فإن الجن والشياطين لا يكونون طوع البنان إلا بالتقرب إليهم بالشركيات وإظهار الخضوع لهم والتسليم لأوامرهم.

والكذب المنهي عنه هو ما يطغى على ما يصدر من الكهان والسحرة، فعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: إِنَّ نَبِيَّ الله ﷺ قَالَ:(إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ)[4]، ولقد كانت السماء قبل مبعث النبي ﷺ غير محمية بالشهب الثاقبة، ثم أرصد الله ﷻ الشهب بعد إكرامنا ببعثة خير الرسل الهادي ﷺ، ولذلك قالت الجن:﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾[الجن: 8-9]، فكانت الجن يعلو بعضها بعضاً حتى تصل السماء وتسترق السمع مما يقضى أنه يكون، ثم يقذفون ما استرقوه إلى أوليائهم ويخلطون مع الحق مما سمعوا باطلهم مما ابتدعوا، وحينئذ يكون دور المنجم أو الكاهن إخبار الناس بما وصله من رئيه من الجن، وما أتعس من اعتمد في حياته على احتمالات قد تكون وقد لا تكون؛ فالمصدقون

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، بَابُ قَوْلِ اللهِ ﷻ:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[النساء: 10]، حديث رقم 2766، 10/4.

(2) المصدر السابق، كتاب الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات، حديث رقم 5764، 137/7.

(3) فتح الباري، 232/10.

(4) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قوله ﷻ:﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾[سبأ: 23]، حديث رقم 4800، 122/6.

للمنجمين يعيشون حياة مضطربة لخوفهم الدائم مما هم مقبلون عليه، ولترقبهم ما سيحصل معهم؛ فيضيعون أعمالهم وسني أعمارهم في ملاحقة سراب لا حقيقة له.

ولذلك حذرنا النبي ﷺ بقوله:(مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ . . . . فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)[1]، ليصرف عنا السوء بملاحقة أقوال الكهان والمنجمين التي لا تسمن ولا تغني من جوع؛ بل أمرنا ﷺ بالأخذ بالأسباب وبالاستشارة والاستخارة، لنعلم أنه ﷺ أراد ربط أمته عقائدياً بربها ﷻ الذي شرع لنا أنواعاً من العبادات هي من العقيدة بمنزلة الأركان، وتنعكس آثارها من الفرد إلى المجتمع، وهي ليست غاية في ذاتها، ولكنها وسيلة لطهارة النفس، وسلامة القلب، وإشراق الروح لينعم بذلك كلّه المجتمعُ؛ فالفرد اللبنة الأولى لبناء المجتمعات، ومن هذه العبادات الدعاء والصلاة؛ وهما أساسا الاستخارة، ففيهما لجوء الضعيف إلى القوي سبحانه، والخروج من حدود الزمان والمكان إلى روحانية لا يحد فيها أبداً، وهي دليل خوف وتعظيم ورجاء.

ثانياً: الطيرة: والطيرة شيء يجده الإنسان في نفسه، والأصل ألا يلتفت إليه؛ لأنه لا يضره، وهذا ما بينه النبي ﷺ حين سأله أحد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن إتيان الكهان والتطير فقال:(فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ، قَالَ قُلْتُ: كُنَّا نَتَطَيَّرُ قَالَ: ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ، فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ)[2]، وقال ﷺ:(لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ. . .)[3]، وقد تعاضدت الأحاديث النبوية الشريفة في النهي عن التطير، فأوضح النبي ﷺ الحجة بأن الطيرة لا تؤثر في سير المقادير، بل هي شيء يخالج النفس ويترك فيها الأثر السيئ وحسب، والواجب على المسلم أن ينأى بنفسه عن مواطن الزلل، ويرجو النجاة باللجوء إلى من عنده العلم المطلق؛ لأن التشاؤم بإطلاق الطير وزجرها ليس دليلاً على الغيب الذي استأثر الله ﷻ بعلمه، وقد علق الشاعر على ذلك بقوله:

لعَمرُك! ما تدري الطّوارقُ بالحَصَى، ...ولا زاجراتُ الطّيرِ ما اللّهُ فاعِلُ[4]

فالطير لا تعرف للحب الذي تأكله مكاناً، بل هي تغدو في الصباح متوكلة على خالقها ﷻ، وتروح بطاناً قد شبعت مما رزقها، وفي هذا يقول النبي ﷺ:(لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في النجوم، حديث رقم 3904، 15/4، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 3904، 473/2.

(2) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث رقم 537، 1061/2.

(3) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الطيرة، حديث رقم 5753، 135/7.

(4) جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، ت 170 هـ، تحقيق: علي محمد البجادي، ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع، 93/1.

تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)[1]، فأمرنا النبي ﷺ بالتوكل على الله ﷻ وأن نثق به ونوقن بأن قضاءه ماض، وأن نقتفي أثر نبيه ﷺ في السعي فيما لابد منه من الأسباب، كالمطعم والمشرب والتحرز من عدو وإعداد الأسلحة واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة.[2]

وإن اعتقاد الطيرة دليلاً على علم الله ﷻ الذي استأثر به لنفسه شرك في توحيد الربوبية، فقال رسول الله ﷺ:(الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ، وَمَا مِنَّا إِلاَّ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ)[3]، فبين النبي ﷺ أن الاعتماد على الطيرة في تقرير الأمور شرك جلي، وأوضح أن الطيرة تخالج النفس الإنسانية، ولكن الأصل عند المسلم ألا يعوّل عليها، ويتبع عزمه بالأخذ بالأسباب والتوكل على الخالق ﷻ، وبذلك يكون حقق مراده ﷻ ورسوله ﷺ، ونال الكرامة في الدنيا والآخرة، واستحق الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ لما صح عن النبي ﷺ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال:(عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلاَدُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ، فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ).[4]

فجعل النبي ﷺ عدم الالتفات إلى الطيرة من أسباب دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ فمن لم يحاسب نجا من العذاب لقول النبي ﷺ:(مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ)[5]، وأي منة أكبر من هذه؛ لأن الطيرة لا تؤثر في المقدور، ولا تُعدُّ دليلاً عليه، وعدم الاعتماد عليها سهل لمن توكل على ربه ﷻ وأسند أموره إليه، فحقق إرادة الله ﷻ فاستحق هذه الكرامة منه على حسن اعتقاده فيه

---

(1) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، حديث رقم 2344، 151/4، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن الترمذي، حديث رقم 2344، 541/2-542.

(2) انظر: تفسير القرطبي، 189/4.

(3) سبق تخريجه، انظر: ص 36.

(4) صحيح البخاري، كتاب الطب، بَابُ مَنِ اكْتَوَى أَوْ كَوَى غَيْرَهُ، وَفَضْلِ مَنْ لَمْ يَكْتَوِ، حديث رقم 5705، 126/7.

(5) المصدر السابق، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، حديث رقم 6536، 111/8.

أنه مسبب الأسباب، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الأمور لا تعدو أمره قيد أنملة ولا أقل من ذلك، ولهذا أرشدنا النبي ﷺ إلى الالتجاء إلى الله ﷻ بالاستخارة عند إرادة أي أمر وعدم التعويل على الطيرة التي تُعَدُّ رجماً بالغيب؛ لأن الله ﷻ عنده العلم المطلق، وغيره من المخلوقات لا يحيط بعلمه ﷻ شيئاً.

ثالثاً: الاستقسام بالأزلام: وأكثر ما يلجأ إليه عوام الناس من محاولة الاستدلال غير الصحيح على الفعل والترك في أمور حياتهم يندرج تحت ضربٍ من ضروب الاستقسام بالأزلام المنهي عنه؛ لأن السهام والقداح لا تعلم الخير ولا تدريه، فاستشارتها خلل في العقل، وقصور في العلم، وإنما جاء الإسلام لتقرير مكانة العقل ورفع قدره، ونهى عن إتباع الهوى؛ لأنه يقود صاحبه إلى مواطن الزلل، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"وإذا كانت الدولةُ للعقلِ سالَمَهُ الهوى، وكان من خدمه وأتباعه، كما أن الدولة إذا كانت للهوى صار العقلُ أسيراً في يديه محكوماً عليه، ولما كان العبد لا ينفك عن الهوى ما دام حياً فإن هواه لازم له؛ كان له الأمر بخروجه عن الهوى بالكلية كالممتنع، ولكن المقدور له والمأمور به أن يصرف هواه عن مراتع الهلكة إلى مواطن الأمن والسلامة"[1]، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"فما حرم الله ﷻ على عباده شيئاً إلا عوضهم خيراً منه؛ كما حرم عليهم الاستقسام بالأزلام وعوضهم منه دعاء الاستخارة".[2]

وعند التأمل في الاستخارة ومقارنتها بالاستقسام بالأزلام نرى أن الاستخارة قد جمعت ضروباً من الخير، ففيها إرجاع العلم الصحيح إلى الله ﷻ، وأما الاستقسام بالأزلام ففيه ادعاء العلم؛ وقد يكون صحيحاً أو غير صحيح، والاستخارة توكل على الله ﷻ، والاستقسام بالأزلام مجانبة للتوكل عليه ﷻ، والاستخارة فيها الإيمان بالقضاء والقدر والرضا به، والاستقسام بالأزلام فيه إنكار القضاء والقدر؛ لأن مرد الأمور فيها إلى المصادفة والاتفاق فقط، والإسلام يحرص على أن تكون حياة أفراده قائمة على أساسات صحيحة، وألا يركن إلى شيء لا يعلم نفعه من ضرره، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء: 36]، فنهى سبحانه عن إتباع ما لا علم لنا به، أو أن نعمل بما لا نعلم؛ لأن ذلك يقود في النهاية إلى المجهول، وهذا يسبب الحيرة والاضطراب في حياة الفرد، ولقد جاء الإسلام لتحقيق السعادة للبشرية وبث السكينة في القلوب، ولذلك شرع لنا ﷺ صلاة الاستخارة لأنها تريح القلب، وتقرب

---

(1) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط 1403 هـ، 13/1.

(2) المصدر السابق، 8/1.

العبد من ربه ﷻ، حتى قال ﷺ لبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:(يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا)[1]؛ فقد كَانَ اشْتِغَالُهُ ﷺ بالصَّلَاةِ رَاحَةً لَهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَعُدُّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ تَعَباً فَكَانَ يَسْتَرِيحُ بِالصَّلَاةِ، لِما فِيها مِنْ مُنَاجاةِ الله تَعَالَى، وَلِهَذَا قَالَ في حديث آخر:(وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)[2]، وما أقرب الراحة من قُرَّةِ العين.[3]

(1) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، حديث رقم 4985، 296/4، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 4985، 225/3.

(2) سنن النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، حديث رقم 3940، 61/7، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن النسائي، حديث رقم 3950، 57/3.

(3) انظر: عون المعبود، 225/13.

المطلب الثاني

بناء المجتمع العالمي الموحد المتماسك لأخذه بالأسباب

إن الإسلام متمثل في العقيدة والشريعة، والعقيدة الإسلامية أساسها التوحيد، ومن هذا الاسم ينطلق المسلمون لتوحيد الله ﷻ ابتداء، ويتوجهون صوب مجتمعهم لتوحيده على أساس العقيدة الإسلامية، ولذلك لم يدخر النبي ﷺ جهداً في بذل أوقاته معلماً المسلمين ومربياً لهم على ضرورة الارتباط بربهم ﷻ في كافة أمور حياتهم، ومن ذلك تشريعه ﷺ لصلاة الاستخارة ودعائها الذي حوى معان كثيرة في ألفاظ معدودة حتى تبين أن الله ﷻ قد أكرم نبيه ﷺ بجوامع الكلم.

وحديث الاستخارة ينص على الأخذ بالأسباب الشرعية التي تعين كل فرد على اختيار الأصلح كما في علم الله ﷻ؛ فالدعاء من جملة الأسباب التي قدرها الله ﷻ، ولكن الالتفات إلى الأسباب فقط شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع؛ بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى الله ﷻ، والله يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم ما شاء.[1]

فالدين الإسلامي دعا إلى الأخذ بالأسباب بالقدْر المشروع؛ لأن القدر قد كتب منذ الأزل، وما قدره الله ﷻ يجلب بالأسباب ويدفع بها، ولذلك أخذ النبي ﷺ بكافة الأسباب عند هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، مع أن الله ﷻ ناصره وقد أخبره أنه سيمنعه حين أنزل عليه: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾[الحجر: 94–95]، لكنه ﷺ أراد أن يكون القدوة الحسنة لمن بعده؛ زمناً بعد زمن، فتكلف باختيار الصحبة، وتجهيز الرواحل، وبث العيون، وإحضار الطعام، واستخدام التورية أثناء سفره والسير بمخالفة الطريق المعهودة ليضلل متتبعيه.

وإن النبي ﷺ حث على العلم والعمل في أحاديث كثيرة، ومن هذه الأحاديث حديث الاستخارة؛ ففيه توجيه المسلم إلى الالتجاء إلى الخالق العليم ﷻ في كل الأمور، وهذا إن تهيأ للمسلم بادئ ذي بدء فقد حصّل العلم الحقيقي، فإن الواجب عليه أن يستشعر أنه في ملكوت الله ﷻ الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولذلك كان التوجه إليه وسؤال الحاجات منه والتذلل لعظمته من آكد الأمور في الإسلام.

وكذلك فإن الله ﷻ قد أمر بالعلم وحث على طلبه، وأثنى على أهله في آيات كثيرة، فقال الله ﷻ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى، 131/1.

﴾[آل عمران: 18]، فربط الله سبحانه شهادته لنفسه بالوحدانية بشهادة أولي العلم وأعْظِم بها من فضيلة، بل إن الله ﷻ قارن بين أهل العلم وغيرهم فقال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾[الزمر: 9]، قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:"قل يا محمد لقومك: هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخبطون في عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيراً، ولا يخافون بسيئها شراً؟، يقول: ما هذان بمتساويين"(1).

وإن المتتبع لسير المجتمعات الإنسانية يرى أن أي مجتمع منها له مراحل نمو كالإنسان؛ فهو يبدأ ضعيفاً ثم يقوى حتى يبلغ الغاية التي يؤملها، ثم ما يلبث أن يتراجع وينهار، ولكن هذا أمر درجت عليه المجتمعات الإنسانية بشكل عام، أما المجتمع المسلم فالتمكين له مرتهن بتطبيق شرع الله ﷻ الذي يقول: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء: 105-107]، فبين سبحانه أن ملك الأرض وإخضاع من عليها مرتبط بتطبيق الدين، ونبه ﷻ إلى أن في ذلك بلاغاً لقوم عابدين له مطيعين أوامره ابتداء، ثم أعقب بقوله أنه أرسل محمداً ﷺ رحمة مهداة ونعمة مسداة؛ فنشر الله ﷻ به الإسلام، وقوم المعوج، وصحح المنهاج، حتى تركنا على المحجة البيضاء لا يزيع عنها إلا هالك، ولا يتنكبها إلا ضال، وبيّن أن هذه سنته في عباده إذا ما قدموا الطاعة، فقال ﷻ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[النور: 55]، والاستخلاف في الأرض يحتاج إلى بذل الأسباب؛ لأنه لا عزة للمسلم ولا منعة ولا أمن إلا بنشر الدين ومحو الشرك، وهذا لا يتأتى إلا بالسير على منهاج النبوة الصادقة.

وتطبيق شرع الله ﷻ من ألزم ما يناط بالمسلم فعله، وقد بين الله ﷻ فضل الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقال فيهم: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[الحج: 41]، ومن المعلوم أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا بمباشرة الأسباب، فلن يستطيع أحد فعل الصلاة إلا إذا

---

(1) تفسير الطبري، 268/21.

أخذ بأسباب تعلمها، وكذلك الزكاة، ولن يكون لديه القدرة على الأمر بالمعروف إلا إذا تهيأ له من الأسباب ما يؤهله أن يأمر وينهى، وهذا ينسحب أيضاً على تعليم الناس أمور دينهم بالكلية.

وإن العقيدة الإسلامية لها أكبر الأثر على النفس الإنسانية، فإن بذور الخير وحقائق العقيدة الإسلامية، وكل ما يتصل بها من تعاليم وشعائر تنمو في النفس في أولى مراحل الطفولة، ولذلك حث النبي ﷺ على التنشئة الإسلامية الصحيحة فقال: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ)[1]، قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرحه للحديث: "والمراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة والتهيؤ لقبول الدين؛ فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها؛ لأن حسن هذا الدين ثابت في النفوس وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد"[2]، وهذا التهيؤ والاستعداد لا يكفي لينتج جيلاً إسلامياً فريداً، بل لابد من الأخذ بأسباب التربية الصحيحة؛ فإن الحديث بيّن أن المولود مفطور على الإسلام، وأن الأبوين لهما أكبر الأثر في اعتناق الدين أياً كان؛ فإن كان أبواه يهوديين كان يهودياً بفعلهما، وإن كانا نصرانيين كان نصرانياً أيضاً، وكذلك المجوسي، وضرب مثلاً بالبهيمة التي ولدت صحيحة، فإن التغيير واقع عليها من غيرها، وهذا بمباشرة أسباب التغيير.

والحق أن الدين له أكبر الأثر في بناء المجتمعات، فقد وجد على الأرض أناس لم يكن لهم حضارة، ولكن لم توجد فئة لم يكن لها دين، فالدين شيء أساسي متمكن في أصل الخلقة، ولكنه لا يقوى ويكون صحيحاً إلا بمتابعة الرسل، والانقياد لأمر الله ﷻ المنزل في الكتب، وإن المتتبع لحضارة الغرب الكافر اليوم يرى أنهم تفوقوا في العلم والتكنولوجيا، ولكنهم من الداخل منهزمون؛ فنسبة الجريمة عندهم مرتفعة، والانحراف والشذوذ منتشر، والمشاكل متشبعة، كل ذلك؛ لأنهم أغرقوا حياتهم بالمادية ولم يتبعوا الدين الصحيح، وهاهم اليوم يعودون إلى استخدام التربية عنصراً أساسياً في عمليتي العلاج والتقويم، وخاصة في العلاج الفردي الذي يمثل اللبنة الأولى لعلاج المجتمع ككل.[3]

والناظر إلى المجتمعات التي تقدمت يرى أن سبب تقدمها أنها أخذت بأسباب التقدم، وما كان تخلف غيرها إلى عندما أهمل الأسباب، فظل ينتظر ويؤمل طويلاً، وهيهات أن يتم له ما أراد،

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، بَابُ ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم 1385، 100/2.

(2) فتح الباري، 249/3.

(3) انظر: أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة، لعثمان بن جمعة ضميرية، ط دار الأندلس الخضراء- السعودية، ط الأولى 1421 هـ، 134/1.

ولذلك فإن النبي ﷺ حين وعظ أصحابه على القبور بقوله: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ)[1]، فبين ﷺ أن ترك العمل فيه قدح في التوكل الذي أمرنا الله ﷻ به في آيات كثيرة، بل أمر النبي ﷺ بمباشرة الأسباب؛ لأنها تمشي والقدر على نسق واحد، فلا شبع إلا بأكل، ولا ري إلا بشرب، ولا ولد إلا بوطء، فلو أن إنساناً قال: أنا لا أتزوج، ولكن إن قدر الله ﷻ لي الولد فسيهبه؛ لعدّه الناس من أسفه السفهاء، فكيف بمن يترك الأسباب بالكلية، ويعوّل على الآمال وطول البقاء؟ فهذا قدح في الشرع وخلل في العقل، ولا يماري في ذلك إلا جاهل.

وإن الله ﷻ أراد للمسلمين أن يعمروا الأرض بدين الإسلام، وأن يسوسوا الناس به، وأن يرجعوا في أمور حياتهم إليه، ويحكّموا شرع الله ﷻ في كل صغيرة وكبيرة، وإن لله ﷻ سنناً كونية لا تتغير ولا تتبدل كما قال سبحانه: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٦٢﴾ ﴾[الأحزاب: 62]، ومن هذه السنن سنة التغيير؛ وهي أن الله ﷻ شاء أنه لا يمكّن في الأرض إلا لمن اتبع أمره وسار على دينه، قولاً وعملاً، وخالف هواه وشهواته ابتغاء رضوان الله ﷻ، وفي هذا يقـول الله ﷻ: ﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾[الرعد: 11]، فبين سبحانه أنه لا يغير من الأسوأ إلى الأحسن إلا إذا أخذ الناس بأسباب التغيير؛ في الاعتقادات والأعمال، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو علامة خيرية هذه الأمة حيث يقول الله ﷻ: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران: 110]، فإذا ذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انتفت الخيرية عن الأمة، ورجعت إلى الضعف والوهن، وتكالب الناس عليها وأصبح المسلمون لا وزن لهم ولا تأثير، كما قال النبي ﷺ: (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا،

---

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ ﷻ:﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾[الليل: 5]، حديث رقم 4945، 170/6.

وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)[1]، وإن الناظر اليوم لحال المسلمين يرى قول النبي ﷺ قد انطبق عليهم حقيقة؛ فيهان النبي ﷺ وأمهات المؤمنين ولا يحرك المسلمون ساكناً، والقتل والتدمير واقع على المسلمين دون قيد أو شرط أو سبق ذنب، وما كل ذلك إلا أنا ابتعدنا عن الدين الإسلامي واتبعنا شهواتنا وأهواءنا، ورضينا بمذاهب غير المسلمين بديلاً عن الدين الحق، فانتقل المسلمون من نكبة إلى أخرى، ولا نجاح لنا ولا فلاح إلا بالتمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية؛ المصدرين الأساسيين للدين الإسلامي.

وإن الله ﷻ لا يغير من الأحسن إلى ما هو أسوأ إلا إذا كفر الناس نعمته ﷻ ولم يرعوها حق رعايتها بالشكر المتواصل، قال الله ﷻ: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[الأنفال: 52-53]، فضرب الله ﷻ بآل فرعون وما حاق بهم الغرق وبحال من كان قبلهم من مكذبي الرسل أنه أهلكهم، فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله ﷻ نعمته عليهم؟ ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة، ويبين الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليل ذلك: أنه كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة، تغير الحال المسخوطة إلى أسخط منها، وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول ﷺ إليهم كفرة عبدة أصنام، فلما بعث إليهم بالآيات كذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في إراقة دمه؛ فغيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت، فغير الله ﷻ ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب.[2]

ولقد جاءت تعاليم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة حاثة على فعل الخيرات وترك المنكرات، والتزام الأخلاق الفاضلة؛ لأنها صمام الأمان للمجتمع المسلم، فهي تحميه من الظلم والجريمة والاستبداد، وتحرره من الانقياد خلف الشهوات والشبهات، فقال النبي ﷺ:(إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)[3]، فبالأخلاق تتماسك المجتمعات، ويعطف الكبير على الصغير، ويحنو القوي على الضعيف، ويوقر الصغير الكبير، ويتسامح الناس، ويغدون إخوة متحابين وهذا ما أراده النبي ﷺ عندما شبه حال المؤمن فقال:(الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. وَكَانَ

---

(1) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم 4297، 111/4، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود، حديث رقم 4297، 24/3-25.

(2) انظر: الكشاف، 230/2.

(3) الأدب المفرد، باب حسن الخلق، حديث رقم 273، 143/1، قال الإمام الألباني: صحيح. انظر: صحيح الأدب المفرد، حديث رقم 273، 118/1.

النَّبِيُّ ﷺ جَالِسًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ، أَوْ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ)[1]، فبين ﷺ أن الواجب على المؤمنين أن يكمل بعضهم بعضاً، وأن يتراحموا ويتعاطفوا، فهم كالبناء المرصوص بإحكام لا خلل فيه، وبين ﷺ أن شفاعة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا تغير من قضاء الله ﷻ شيئاً، ولكنها تكون سبباً لنيل الأجر عليها من الله سبحانه.

وكذلك فإن النبي ﷺ اتخذ الأسباب التي تعينه على بناء المجتمع الإسلامي الفريد الذي ما زلنا نتغنى بأمجاده، فأول ما بدأ به بعد دخوله المدينة المنورة أن بنى المسجد، وجعله نقطة انطلاق نحو العالم، فالوعظ فيه، والفتوى فيه، والشورى نابعة منه، والحروب منعقدة من داخله، وقد بدأ النبي ﷺ بالمسجد على الرغم من أن الأرض كلها مسجد وطهور، وما ذلك إلا أن المسجد هو المحضن الأول الذي تنمو فيه الأخلاق وتنضج، ولا يتماسك المجتمع بأفراده إلا من خلال المسجد وحلقات الذكر ودروس العلم، وقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، واكتتب الوثيقة التي نظمت العلاقة بأهل الكتاب، وهكذا أرسى النبي ﷺ المنهج الذي يصقل به شخصية الفرد المسلم ليكون عنصراً فعالاً في بناء مجتمع قوي.

وكذلك فإن النبي ﷺ عرج على دور البيت المسلم في بناء الشخصية المسلمة المتزنة فقال: (كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ..)[2]، فبين ﷺ أن رعاية الرعية مسئولية عظيمة؛ وأنه سيُسأل كلٌّ من وكّل بأحد عما استرعاه الله ﷻ، هل قام بحقه ؟ وهل أداه مستوفياً شروطه اللازمة له؟ فالواجب على الإمام إقامة شرع الله ﷻ في الناس، والاحتكام إليه والدفاع عنه، وعلى الوالدين تربية أولادهم على الدين؛ كتعويدهم الصلاة والصيام والأخلاق، والواجب على المرأة صون نفسها ومالها ليخلو المجتمع من الرذائل والفواحش، وكذلك فإن الخدم مأمورون بالسمع والطاعة، وهكذا فإن المجتمع يغدو قوياً متماسكاً ليس فيه ثغرات للشيطان وأعوانه؛ لأن المسلمين متعاضدون ومتفقون على مبادئ واحدة مستقاة من كتاب ربهم ﷻ وسنة نبيه ﷺ، وهذا ما أمرنا به في قوله ﷺ:(...وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟...)[3].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، حديث رقم 6026، 12/8.

(2) المصدر السابق، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم 893، 5/2.

(3) سبق تخريجه، راجع ص: 83.

الخاتمة

اللهم لك الحمد حمداً كثيراً، طيباً مباركاً فيه، ملء السماء وملء الأرض، وملء ما شاء ربي من شيء بعد، وأصلي على المبعوث رحمة للعالمين؛ محمد ﷺ وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ بحثي هذا لا يعدو كونه جهداً بشرياً، يلحقه النقص والخلل، ويأبى الله ﷻ أن يكون غير كتابه تاماً لا نقص فيه ولا زلل، فما كان فيه من صواب فهو منة من الله ﷻ عليَّ أن هداني إليه، وما كان فيه من عيب وخطأ فمن نفسي القاصرة ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وأستغفر الله العظيم لذنبي ولسائر المؤمنين.

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

1. أن صلاة الاستخارة يلزمها ركعتين من النوافل المحضة، ولا يجوز أن تتداخل في صلاة نافلة؛ كتحية المسجد.
2. أن دعاء الاستخارة يكون عقب الصلاة موافقة لظاهر الحديث.
3. أن النبي ﷺ لم يفعل الاستخارة لاستغنائه عنها بما أغناه الله ﷻ به من الوحي.
4. أن استشارة أولي العلم والخبرة مقدمة على الاستخارة، وذلك أن النبي ﷺ كان مؤيداً بالوحي إلا أنه شاور أصحابه في مواطن كثيرة.
5. أن فعل الاستخارة لا يكون عند مجرد الهم، بل هو عند الإرادة والعزم على الفعل؛ لئلا يستخير فيما لا يعبأ به فيكون من قبيل سوء الأدب، وتضييع الأوقات.
6. أن الاستخارة تجوز بالدعاء دون الصلاة، ولكن الأولى الجمع بينهما؛ ليحصل له الخير بأجمعه.
7. أن صلاة الاستخارة يشرع أداؤها في أوقات النهي إن خيف فوات المصلحة التي أرادها.
8. صلاة الاستخارة إلهام لهذه الأمة بعد انقطاع الوحي بموت النبي ﷺ.
9. صلاة الاستخارة بذل للسبب الشرعي المستجلب للقدر؛ لأن القدر يجلب بالأسباب ويدفع بها.

10. صلاة الاستخارة متضمنة لأقسام التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

11. صلاة الاستخارة تمنع من الوقوع في الشركيات؛ كالطيرة والتنجيم والاستقسام بالأزلام.

12. صلاة الاستخارة ضابطة لسلوك الأفراد؛ لأنهم إنما يقدمون على الأمور بعد النظر في عواقبها بإرجاع العلم للعليم ﷻ.

13. أن صلاة الاستخارة تحقق الطمأنينة والسكينة التي يفتقدها كثير من الناس اليوم في عصر التطور الحضاري.

التوصيات:

1. أوصي إخواني المسلمين بأن يدوروا مع الكتاب والسنة أينما دارا، وألا يرضوا بهما بديلاً، وأن يستقوا عقائدهم الصحيحة منهما.

2. أدعو إخواني المسلمين أن يكونوا على قدر المسئولية الملقاة على عاتقهم، وأن يكونوا جنوداً مدافعين عن العقيدة، باذلين في سبيل الحفاظ عليها أموالهم وأرواحهم.

3. أوصي إخواني طلبة العلم الشرعي ألا يقفوا عند حد التخصص المعين، بل الواجب أن ينوعوا في أبحاثهم بين أقسام الكليات الشرعية من عقيدة وحديث وتفسير.

4. أوصي الباحثين في مجال العقيدة بأن يتناولوا دور السنة النبوية في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية الصحيحة، كل باب على حدة، فمثلاً؛ دور السنة النبوية في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر، أو دور السنة النبوية في تقرير أقسام التوحيد، أو مسائل العقيدة في أي حديث مشابه لحديث الاستخارة كحديث افتراق الأمة.

وهذه هي أهم النتائج والتوصيات التي أنتجها البحث، وفي الختام أسأل الله العظيم ﷻ أن يغفر لنا الزلل، وأن يتجاوز عما كان من تقصير منا أو خلل، إنه نعم المولى ونعم النصير، وإنه على ما يشاء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾	5	145،95

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿...إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا... ﴿٧٠﴾﴾	70	129
﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾	133	156–155
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴿١٤٣﴾﴾	143	143
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾	153	151
﴿..وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾	216	32
﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ.... ﴿٢٥٥﴾﴾	255	130،106

سورة آل عمران		
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾	7	127
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾	18	188–187
﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ ﴾	31	43
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۢ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾	64	157
﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾	85	114
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾	102	ذ
﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠ ﴾	110	189،34
﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾	159	78–77،34

سورة آل عمران		
﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾	173	116
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾	191–190	104

سورة النساء		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾	1	ذ
﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾	19	32
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾	52–51	180
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾	65	161
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ﴾	125	21
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾	136	26

سورة النساء		
﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ .(١٦٥)﴾	165	146
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا (١٧٤)﴾	174	169

سورة المائدة		
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ (١٠٤)﴾	104	171

سورة الأنعام		
﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ (٥٩)﴾	59	9،32–33،177
﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ (٦٥)﴾	65	106
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ (٨٢)﴾	82	163
﴿...لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ .... (١٤٨)﴾	148	146
﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (١٦٣)﴾	163–162	أ

سورة الأعراف		
﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾	54	137
﴿...وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ... ﴿١٢٧﴾﴾	127	111
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾	180	12
﴿..وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ..﴾	188	15
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾	201–200	27

سورة الأنفال		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾	4–2	116،34،26
﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾	32	174
﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾	53–52	190

سورة التوبة		
116	125–124	﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ..﴾
160	128	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)﴾

سورة يونس		
120،96،9	31	﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾
28	36–35	﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾
33	75	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٧٥)﴾

سورة هود		
129	1	﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)﴾
70	41	﴿۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١)﴾
43	88	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ .... (٨٨)﴾

سورة هود		
﴿...فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾	105	138
﴿...فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ ...﴿١٢٣﴾﴾	123	145

سورة يوسف		
﴿..ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾	38	ت،110

سورة الرعد		
﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾	11	189
﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ....﴿١٦﴾﴾	16	96
﴿..قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾﴾	36	46
﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾	56	98

سورة إبراهيم		
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾	7	167،151
﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ...﴿١٠﴾﴾	10	97

سورة الحجر		
﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ﴾	95–94	186

سورة النحل		
﴿ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ ﴾	16	178،88
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾	36	155،114
﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ ..... ٦٥ ﴾	65	148
﴿ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠ ﴾	100–98	27

سورة الإسراء		
﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ... ٤ ﴾	4	133
﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ ... ٢١ ﴾	21	77
﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾	36	–84،45 184،85

سورة الإسراء		
﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾	85	9
﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝١٠٢﴾	102	100

سورة الكهف		
﴿...مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝١٧﴾	17	152
﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ.. ۝٧٩﴾	79	107

سورة مريم		
﴿...وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١﴾	21	136
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾	71	136

سورة طه		
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾	5	126،102
﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۝٩٨﴾	98	32
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤﴾	114	28

سورة الأنبياء		
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)﴾	22	115
﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾	23	71
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾	107–105	187

سورة الحج		
﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾	41	187

سورة المؤمنون		
﴿..وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧)﴾	47	112
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)﴾	115	7

سورة النور		
﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)﴾	54	43
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ... (٥٥)﴾	55	187

سورة الفرقان		
﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾	5	169
﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ٤٣﴾	43	ذ

سورة النمل		
﴿... قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠﴾	40	ت
﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾	65	86،9

سورة القصص		
﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧﴾	17	70
﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ... ٣٨﴾	38	100
﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾	50	ذ، 35
﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨﴾	68	13
﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ .... ٨٢﴾	82	160

سورة القصص		
﴿...كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨﴾	88	126

سورة العنكبوت		
﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١ قَالَ إِنَّ فِيهَا ... ٣٢﴾	32−31	33

سورة الروم		
﴿...فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ .... ٣٠﴾	30	101
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾	55	118

سورة لقمان		
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١﴾	21	171
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾	34	177

سورة الأحزاب		
161،43	21	﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)﴾
189	62	﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (62)﴾
ذ	71–70	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾

سورة سبأ		
83	53	﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (53)﴾

سورة الصافات		
176	88	﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88)﴾

سورة ص		
128	29	﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29)﴾
46	83–82	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83)﴾

سورة الزمر		
﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾	3	120
﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾	9	187
﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾	56–55	156
﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾	62	141،130،110

سورة غافر		
﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾	44	21
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾	60	121،26–25

سورة فصلت		
﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ... ﴿١٢﴾ ﴾	12	135،133
﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾	53	104،103

سورة الشورى		
﴿...لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾	11	124،96
﴿...قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٢٣﴾	23	43
﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ......﴾	39–36	78

سورة الزخرف		
﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ ... ۝٥٤﴾	54	100

سورة الجاثية		
﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٣﴾	23	ذ

سورة محمد		
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾	24	129

سورة الفتح		
﴿...يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ ... ۝١٠﴾	10	126

سورة الفتح		
﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ..... ﴿٢٩﴾﴾	29	46

سورة الحجرات		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾	13	157

سورة الذاريات		
﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾	21	105
﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	56	8،7

سورة الحديد		
﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾	21	27–26

سورة الجمعة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾﴾	9	14

سورة الطلاق		
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾	12	32

سورة الملك		
﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾	2–1	7
﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾	10	169
﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾	14	166،161،14
﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾	15	14

سورة الجن		
﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ٩﴾	9–8	181
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧﴾	27–26	175

سورة القيامة		
8	36	﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)﴾

سورة الإنسان		
110	30	﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ... (٣٠)﴾

سورة النازعات		
100	24	﴿..أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤)﴾

سورة التكوير		
107	28	﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨)﴾

سورة الليل		
141	6	﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)﴾

سورة الإخلاص		
96	4–1	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

15.	أَسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ	161
16.	أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟	136
17.	اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ	68–67
18.	اكْتُمِ الْخِطْبَةَ، ثُمَّ تَوَضَّأْ فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ، ثُمَّ صَلِّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ، ثُمَّ احْمَدْ رَبَّكَ وَمَجِّدْهُ	60
19.	أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ	114
20.	إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ	177
21.	إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ	45،27
22.	إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ	26
23.	إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْتَخِيرُ اللَّهَ فَيَخْتَارُ لَهُ فَيَتَسَخَّطُ عَلَى رَبِّهِ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْعَاقِبَةِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خِيرَ لَهُ	75
24.	إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ	166
25.	إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ: وَهُوَ السَّحَابُ	88
26.	إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ	47
27.	أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ	155

34	أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ	28.
190	إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ	29.
39	أَنَّهُ كَانَ إِذَا اسْتَخَارَ اللَّهَ فِي الْأَمْرِ يُرِيدُ أَنْ يَصْنَعَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ	30.
90	إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ	31.
174	بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ	32.
46	بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ	33.
143	التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ	34.
79	حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ	35.
129	الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ	36.
ذ	خطبة الحاجة	37.
66–65	خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ	38.
99،46	خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ	39.
121	الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ	40.
163،10	دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ	41.

79	الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ	.42
22	ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا	.43
116	رَجُلٌ مِسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ	.44
171	رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يُفِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ	.45
40	رَكِبَ إِلَى قُبَاءَ وَعَلَى الْحِمَارِ إِكَافٌ، فَقَالَ: أَسْتَخِيرُ اللَّهَ تَعَالَى فِي مِيرَاثِ الْعَمَّةِ وَالْخَالَةِ	.46
138	سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَعَلَى مَا نَعْمَلُ؟ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغْ مِنْهُ؟	.47
128	سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي؛ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ	.48
137	سَلُونِي، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟...	.49
–35 183،86،36	الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ	.50
44	عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى	.51
163،151	عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ	.52
121	عَجِلَ هَذَا، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: -أَوْ لِغَيْرِهِ- إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ عز وجل	.53

54.	عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ	183
55.	فَرَفَعْتُهَا -يَعْنِي فَرَسَهُ- حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، وَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي	89
56.	فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ	182
57.	فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ	47
58.	فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟	146
59.	فِي سَنَةِ تِسْعٍ تَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِقِتَالِ الرُّومِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ وَأَظْهَرَهُ لَهُمْ	42
60.	قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ	127
61.	قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ	157
62.	الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ: إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ	108
63.	قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ	116–115
64.	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى	68،38
65.	كَانَ رَسُولُ اللهِ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ	65
66.	كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَ عَنِ اسْمِهِ، فَإِذَا أَعْجَبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ	87–86
67.	كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ	15
68.	كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟	44

150	كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ	.69
188	كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ	.70
191	كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ	.71
34	كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، لَمْ نَتَعَلَّمْ مِنَ الْعَشْرِ الَّذِي نَزَلَتْ بَعْدَهَا حَتَّى نَعْلَمَ مَا فِيهِ	.72
99	لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ	.73
86	لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ، قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ	.74
170	لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ	.75
86	لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ، قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ	.76
170	لَا عَدْوَى وَلَا هَامَةَ وَلَا نَوْءَ وَلَا صَفَرَ	.77
170	لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا غُولَ	.78
148،20	لا يَرُدُّ القَدَرَ إلا الدُّعَاءُ، ولا يَزِيدُ في العُمُرِ إلَّا البِرُّ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصِيبُهُ	.79
ت	لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ	.80
148،20	لا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، والدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ	.81
–121 166،122	لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ،	.82

.83	لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ	87
.84	لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ	158،117
.85	لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ	139–138
.86	لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ	85
.87	لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْدٍ: فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ، قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا	65–64،48
.88	لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَلْحَدُ، وَآخَرُ يَضْرَحُ	49
.89	اللَّهُمَّ إِنْ عَلِمْتَ فِيهِ خَيْرًا فَأَمْضِهِ، حَتَّى إِذَا طُعِنَ، دَعَا بِالْكِتَابِ فَمَحَى فَلَمْ يَدْرِ أَحَدٌ مَا كَانَ فِيهِ	51
.90	اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي	13–12
.91	اللَّهُمَّ خِرْ لِي وَاخْتَرْ لِي	41
.92	اللهمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ	10
.93	اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ	107
.94	لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ	156،140
.95	لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ	183–182
.96	لَوْ كَانَ أَحَدُكُمْ احْتَرَقَ بَيْتُهُ، مَا رَضِيَ حَتَّى يُجَدِّدَهُ، فَكَيْفَ بَيْتُ رَبِّكُمْ؟	50
.97	مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ	78

79	مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي، مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ	.98
149–148	مَا تَصنَعُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَصنَعُهُ، قَالَ: لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفعَلُوا كَانَ خَيرًا	.99
116	مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئتَ قَالَ: جَعَلتَ لِلَّهِ نِدًّا؛ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ	100
15	مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو	101
101	مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ،	102
189	مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ،	103
131	مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ،	104
–140 147،141	مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفسٍ مَنفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ	105
177	مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا المَسْئُولُ عَنهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ..	106
167	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى	107
87	مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا،	108
88	مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً	109
182	مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ	110
180،88	مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ	111
119	مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ،	112

113	مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ	183
114	مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ	73
115	الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ	147،74
116	المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا	191–190
117	نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ	52
118	هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ	87
119	وَاللَّهِ يَا بُنَيَّةُ مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ غِنًى بَعْدِي مِنْكِ	85
120	وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ	185
121	وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟	191،83
122	وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ	122
123	يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ	158
124	يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا	185
125	يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ	29
126	يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا	159
127	يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ	143
128	يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا	190–189

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

139-138	أبو الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ	17.
168	أبو الوليد الباجي رَحِمَهُٱللَّهُ	18.
41	أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ	19.
9	أبو بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ	20.
104	أبو جعفر الطبري رَحِمَهُٱللَّهُ	21.
102	أبو جعفر الهمذاني رَحِمَهُٱللَّهُ	22.
14	أبو حميد الساعدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ	23.
157	أبو ذر الغفاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ	24.
40	أبو سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ	25.
49	أبو طلحة الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ	26.
50-49	أبو عبيدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ	27.
44	أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ	28.
140	أبي بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ	29.
80	الأرجاني رَحِمَهُٱللَّهُ	30.
2	الأزهري رَحِمَهُٱللَّهُ	31.
48	أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ	32.
67	البدر العيني رَحِمَهُٱللَّهُ	33.
158	بلال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ	34.

.53	سعيد بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ	51
.54	السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ	138
.55	سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ	78
.56	السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ	113
.57	الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ	86-85
.58	الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ	8
.59	الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ	11
.60	طفيل الغنوي	98-97
.61	الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ	72
.62	العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ	21
.63	عبد الله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا	50
.64	عبد الله بن عبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا	10
.65	عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ	58
.66	عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا	15
.67	العظيم آبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ	5
.68	عمار بن ياسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ	12
.69	عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ	51
.70	الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ	17

71.	فخر الدين الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ	103
72.	الفرَّاءُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ	98
73.	الفيروز آبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ	3
74.	قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ	88
75.	القرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ	74
76.	القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ	7
77.	الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ	70
78.	مالك بن الحويرث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ	65
79.	المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ	5
80.	مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ	128
81.	المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ	47
82.	النُّعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ	26
83.	النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ	49

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

1. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد ابن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، نسبة إلى عكبر وهي بلدة في العراق، ت 387 هـ، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، ط دار الراية للنشر– السعودية، ط الثانية 1418 هـ.

2. الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، لزين الدين محمد، عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت1031 هـ، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وطالب عواد، ط دار ابن كثير دمشق– بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

3. الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت 911 هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب– مصر، بدون رقم الطبعة 1394 هـ.

4. أثر العقيدة الإسلامية في اختفاء الجريمة، لعثمان بن جمعة ضميرية، ط دار الأندلس الخضراء– السعودية، ط الأولى 1421 هـ.

5. الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، لعبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الدوسري، ت 1399 هـ، ط مكتبة دار الأرقم– الكويت، ط الأولى 1402 هـ.

6. أحكام الجنائز، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط المكتب الاسلامي– بيروت، ط الرابعة 1406 هـ.

7. أحكام أهل الذمة، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، ط دار ابن حزم– السُّعودية، ط الأولى 1418 هـ.

8. الأدب المفرد، للإمام الحافظ الحجة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت 256 هـ، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، ط مكتبة المعارف– الرياض، ط الأولى 1419 هـ.

9. الأذكار، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت 676 هـ، ط الجفان والجابي– دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط الأولى 1425 هـ.

10. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبي العباس، شهاب الدين، ت 923 هـ، ط المطبعة الكبرى الأميرية- مصر، ط السابعة 1323 هـ.

11. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض، ط الأولى 1411 هـ.

12. أركان الإيمان، لوهبي سليمان غاوجي الألباني، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى 1397 هـ.

13. الاستقامة، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط جامعة الإمام محمد بن سعود- المدينة المنورة، ط الأولى 1403 هـ.

14. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري، ت 463 هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط دار الجيل- بيروت، ط الأولى 1412 هـ.

15. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، ت 630 هـ، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1415 هـ.

16. أسرار السحر والاستخارة وضرب الرمل وقراءة الفنجان والكف، لعلي أحمد عبد العال الطهطاوي، ط مكتبة الروضة- مصر، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

17. الأسماء والصفات، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، ت 458 هـ، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط مكتبة السوادي- السعودية، ط الأولى 1413 هـ.

18. الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1415 هـ.

19. أصول الدين، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، ت 29 هـ، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1423 هـ.

20. الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ت 1396هـ، ط دار العلم للملايين- بيروت، ط الخامسة عشرة 1422 هـ.

21. الأفنان الندية على شرح منظومة السبل السوية لفقه السنن المروية، لزيد بن محمد ابن هادي المدخلي، ط دار علماء السلف، ط الثانية 1413 هـ.

22. الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، ت 505 هـ، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1424 هـ.

23. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، تحقيق: فؤاد بن علي حافظ، ط المكتب الإسلامي- بيروت، ط الرابعة 1429 هـ.

24. أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان، لعبد العزيز بن عبد الله المبدل، ط دار التوحيد- الرياض، ط الأولى 1424 هـ.

25. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي ابن عبدالقادر، أبي العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، ت 845 هـ، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي،ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1420 هـ.

26. الأمثال السائرة من شعر المتنبي، لإسماعيل بن عباد بن العباس، أبي القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد، ت 385 هـ، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط مكتبة النهضة- بغداد، ط الأولى 1385 هـ.

27. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، البصريين والكوفيين، لعبد الرحمن بن محمد ابن عبيد الله الأنصاري، أبي البركات، كمال الدين الأنباري، ت 577 هـ، ط المكتبة العصرية-بيروت، ط الأولى 1424 هـ.

28. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أبي بكر الجزائري، ط مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط الخامسة 1424 هـ.

29. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لأبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، ت 733 هـ، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، ط دار السلام للطباعة والنشر- مصر، ط الأولى 1410 هـ.

30. الإيمان، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي- الأردن، ط الخامسة 1416 هـ.

31. بحار الأنوار، لمحمد باقر المجلسي، ت 1111 هـ، إعداد: المجمع العالمي لأهل البيت، (كتاب الكتروني)، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

32. البداية والنهاية، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت 774 هـ، تحقيق: علي شيري، ط دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط الأولى 1408 هـ.

33. بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، شرح مختصر صحيح البخاري (جمع النهاية في بدء الخير والغاية)، للإمام المحدث الورع أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي، ت 699 هـ، ط مطبعة الصدق الخيرية- القاهرة، ط الأولى 1348 هـ.

34. البيهقي وموقفه من الإلهيات، لأحمد بن عطية بن علي الغامدي، ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ط الثانية 1423 هـ.

35. تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، ت 1205 هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط دار الهداية، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

36. تاريخ أصبهان، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ت 430 هـ، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1410 هـ.

37. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت 748 هـ، تحقيق: بشار عوّاد معروف، ط دار الغرب الإسلامي، ط الأولى 2003م.

38. تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، ت 310 هـ، ط دار التراث- بيروت، ط الثانية 1387 هـ.

39. التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله، ت 256 هـ، ط دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

40. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ت 463 هـ، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط الأولى 1422 هـ.

41. تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ، ت 1237 هـ، ط دار الجيل- بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

42. التبيان في أقسام القرآن، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط دار المعرفة- بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

43. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت 1393 هـ، ط الدار التونسية للنشر- تونس، بدون رقم الطبعة 1984 هـ.

44. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، ت 1353 هـ، ط دار الكتب العلمية- بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

45. تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان، لعبد العزيز بن باز، تحقيق: عبد العزيز قاسم، ط مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية- السعودية، ط الأولى 1430 هـ.

46. تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البُجَيْرَمِيّ على الخطيب)، لسليمان بن محمد ابن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي، ت 1221 هـ، ط دار الفكر- بيروت، بدون رقم الطبعة 1415 هـ.

47. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ت 816 هـ، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1403 هـ.

48. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، للأمير أبي الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي، ت 739 هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط دار با وزير- السعودية، ط الأولى 1424 هـ.

49. تفسير الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ت 204 هـ، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، ط دار التدمرية- السعودية، ط الأولى 1427 هـ.

50. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، ت 774 هـ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1419 هـ.

51. التفسير القيم، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1419 هـ.

52. التفهيم لما أشكل من مسائل القضاء والقدر، للأستاذ الدكتور: جابر بن زايد السميري، منشورات مجلة الجامعة الإسلامية– غزة، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، ص109–134، 2007م.

53. تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، تحقيق: محمد عوامة، ط دار الرشيد– سوريا، ط الأولى 1406 هـ.

54. تكملة المعاجم العربية، لرينهارت بيتر آن دُوزِي، ت 1300 هـ، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، ط وزارة الثقافة والإعلام– الجمهورية العراقية، ط الأولى من 1979– 2000 م.

55. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1419 هـ.

56. تهافت الفلاسفة، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، ت 505 هـ، تحقيق: سليمان دنيا، ط دار المعارف– القاهرة، ط السادسة 1400 هـ.

57. تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، ط مطبعة دائرة المعارف النظامية– الهند، ط الأولى 1326 هـ.

58. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبي الحجاج، جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، ت 742 هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، ط الأولى 1400 هـ.

59. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت 370 هـ، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط الأولى 1422 هـ.

60. التوحيد أولاً، لناصر بن سليمان العمر، ط دار الوطن– الرياض، ط الأولى 1413 هـ.

61. التوسل أنواعه وأحكامه، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، تحقيق: محمد عيد العباسي، ط مكتبة المعارف- الرياض، ط الأولى 1421 هـ.

62. التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، ت 1031هـ، ط عالم الكتب- القاهرة، ط الأولى 1410 هـ.

63. التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي ابن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، ت 1031 هـ، ط عالم الكتب- القاهرة، ط الأولى 1410 هـ.

64. التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي ابن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت 1031 هـ، ط مكتبة الإمام الشافعي- الرياض، ط الثالثة 1408 هـ.

65. الثقات، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي، ت 354 هـ، ط دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن- الهند، ط الأولى 1393 هـ.

66. جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري، ت 310 هـ، تحقيق: أحمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى 1420 هـ.

67. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، لزين الدين عبد الرحمن ابن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت 795 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط السابعة 1422 هـ.

68. الجامع الكبير (سنن الترمذي)، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ت 279 هـ، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، ط دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط الأولى 1416 هـ.

69. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، لمحمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبي عبد الله، ت 256 هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط دار طوق النجاة، ط الأولى 1422 هـ.

70. الجامع لأحكام القرآن الكريم والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت 671 هـ، تحقيق: الدكتور عبد الله ابن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، ط الأولى 1427 هـ.

71. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ابن مهدي الخطيب البغدادي، ت 463 هـ، تحقيق: د. محمود الطحان، ط مكتبة المعارف– الرياض، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

72. الجراثيم، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت 276 هـ، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، ط وزارة الثقافة– دمشق، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

73. الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، ت 327 هـ، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن– الهند، ودار إحياء التراث العربي– بيروت، ط الأولى 1271 هـ.

74. جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، ت 170 هـ، تحقيق: علي محمد البجادي، ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

75. الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان، لأبي المنذر محمود ابن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، ط مكتبة ابن عباس– مصر، ط الأولى 1426 هـ.

76. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت 911 هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط الأولى 1387 هـ.

77. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني، 430 هـ، ط دار السعادة– مصر، بدون رقم الطبعة 1394 هـ.

78. خلق أفعال العباد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت 256 هـ، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، ط دار المعارف السعودية– الرياض، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

79. الداء والدواء، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، ط دار المعرفة– المغرب، ط الأولى 1418 هـ.

80. درء تعارض العقل والنقل، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– السعودية، ط الثانية 1411 هـ.

81. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية– حيدر أباد، الهند، ط الثانية 1392 هـ.

82. الدعاء، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، ت 360 هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1413 هـ.

83. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، ت 1057 هـ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط دار المعرفة– بيروت، ط الرابعة 1425 هـ.

84. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت 911 هـ، تحقيق: أبي إسحاق الحويني الأثري، ط دار ابن عفان– السعودية، ط الأولى 1416 هـ.

85. الدين الخالص، لمحمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، ت 1253 هـ، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1415 هـ.

86. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبدالرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبي زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ت 808 هـ، تحقيق: خليل شحادة، ط دار الفكر– بيروت، ط الثانية 1408 هـ.

87. ديوان حافظ إبراهيم، للشاعر حافظ إبراهيم، ت 1932 م، ط الهيئة العامة للكتاب– مصر، ط الثالثة 1987 م.

88. الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت 502 هـ، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ط دار السلام– القاهرة، بدون رقم الطبعة 1428 هـ.

89. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، لمحمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبي الطيب المكي الحسني الفاسي، ت 832 هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1410 هـ.

90. الرضا عن الله بقضائه، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، ت 281 هـ، تحقيق: ضياء الحسن السلفي، ط الدار السلفية– بومباي، ط الأولى 1410 هـ.

91. روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، لمحمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم، ت 940 هـ، ط دار القلم العربي– حلب، ط الأولى 1423 هـ.

92. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط 1403 هـ.

93. زاد المعاد في هَدْي خير العباد، لمحمد بن للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، ط السابعة والعشرون 1415 هـ.

94. الزهد والرقائق، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي، ت 181 هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط دار الكتب العلمية– بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

95. سبعة مجالس من أمالي أبي طاهر المخلص، لمحمد بن عبد الرحمن بن العباس ابن عبدالرحمن بن زكريا البغدادي المخَلِّص، ت 393 هـ، ط دار البشائر الإسلامية– بيروت، ط الأولى 1425 هـ.

96. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف– الرياض، ط الأولى 1415 هـ.

97. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف– الرياض، ط الأولى 1412 هـ.

98. السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، ت 287 هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي- بيروت، ط الأولى 1400 هـ.

99. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت 273 هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

100. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، ت 275 هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية- بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

101. سنن الدَّارَقُطْنِي، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد ابن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدَّارَقُطْنِي، ت 385 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى 1424 هـ.

102. سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان ابن دينار البغدادي الدارقطني، ت 385 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى 1424 هـ.

103. السنن الصغير، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، ت 458 هـ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط جامعة الدراسات الإسلامية- باكستان، ط الأولى 1410 هـ.

104. السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النَّسائي، ت 303 هـ، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى 1421 هـ.

105. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت 748 هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الثالثة 1405 هـ.

106. السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبي محمد، جمال الدين، ت 213 هـ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي،ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر، ط الثانية 1375 هـ.

107. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، ت 1089 هـ، تحقيق: محمود الأرنؤوط، ط دار ابن كثير– دمشق، ط الأولى 1406 هـ.

108. شرح الأربعين النووية، لتقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، ت 702 هـ، ط مؤسسة الريّان، ط السادسة 1424 هـ.

109. شرح الرسالة التدمرية، لمحمد بن عبد الرحمن الخميس، ط دار أطلس الخضراء، بدون رقم الطبعة 1425 هـ.

110. شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ت 516 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط المكتب الإسلامي– دمشق وبيروت، ط الثانية 1403 هـ.

111. شرح العقيدة السفارينية، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت 1421 هـ، ط دار الوطن للنشر– الرياض، ط الأولى 1426 هـ.

112. شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، ت 792 هـ، تحقيق: أحمد شاكر، ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد– السُّعودية، ط الأولى 1418 هـ.

113. شرح سنن ابن ماجه (مجموع من ثلاثة شروح) وهي؛ مصباح الزجاجة، للسيوطي، ت 911 هـ، وإنجاح الحاجة، لمحمد عبد الغني المجددي الحنفي، ت 1296 هـ، وما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات، لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي، ت 1315 هـ، ط قديمي كتب خانة– كراتشي، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

114. شرح سنن أبي داود، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العينتابي الحنفي بدر الدين العيني، ت 855 هـ، تحقيق: أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري، ط مكتبة الرشد– الرياض، ط الأولى 1420 هـ.

115. شرح صحيح البخاري، لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ت 449 هـ، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، ط مكتبة الرشد– الرياض، ط الثانية 1423 هـ.

116. شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، ت 321 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة، ط الأولى 1415 هـ.

117. شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي، ت 458 هـ، تحقبق، د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ط مكتبة الرشد– الرياض، ط الأولى 1423 هـ.

118. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، تحقيق: عمر بن سليمان الحفيان، ط مكتبة العبيكان– الرياض، ط الأولى 1420 هـ.

119. الصارم المسلول على شاتم الرسول، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، تحقيق: محمد بن عبد الله الحلواني ومحمد كبير شودري، ط رمادي للنشر والتوزيع– السعودية، ط الأولى 1417 هـ.

120. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت 393 هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين– بيروت، ط الرابعة 1407 هـ.

121. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي، ت 354 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، ط الثانية، 1414 هـ.

122. صحيح الأدب المفرد، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة الدليل– السُّعودية، ط الرابعة 1419 هـ.

123. الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، للأستاذ حكمت بن بشير بن ياسين، ط دار المآثر– المدينة المنورة، ط الأولى 1420 هـ.

124. صحيح سنن ابن ماجه، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف– الرياض، ط الأُولى 1417 هـ.

125. صحيح سنن أبي داود، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف– الرياض، ط الأولى 1419 هـ.

126. صحيح سنن الترمذي، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف– الرياض، ط الأولى 1420 هـ.

127. صحيح مسلم، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت261 هـ، ط دار طيبة– الرياض، ط الأولى 1427 هـ.

128. الصفات الخبرية بين المثبتين والمؤولين بياناً وتفصيلاً، أ.د. جابر زايد السميري، ط الدار السودانية للكتب– السودان، ط الأولى 1416 هـ.

129. ضعيف سنن الترمذي، ، للإمام محمد ناصر الدين الألباني، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف– الرياض، ط الأولى 1420 هـ.

130. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت 771 هـ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي و د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط الثانية 1413 هـ.

131. طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، ط دار السلفية– القاهرة، ط الثانية 1394 هـ.

132. العرش، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت 748 هـ، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية– المدينة المنورة، ط الثانية 1424 هـ.

133. العقل والنقل عند ابن رشد، لأبي أحمد محمد أمان بن علي جامي علي، ت 1415 هـ، ط الجامعة الإسلامية– المدينة المنورة، ط السنة الحادية عشرة، العدد الأول، 1398 هـ.

134. عقيدة العادة عند الأشاعرة ما لها وما عليها، للأستاذ الدكتور جابر بن زايد السميري، من منشورات مجلة الجامعة الإسلامية– غزة، المجلد التاسع، العدد الأول، ص177–208، 2001م.

135. عقيدة المؤمن، لأبي بكر الجزائري، ط دار العقيدة، ط الأولى 2004 م.

136. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ابن حسين العينتابي الحنفي، بدر الدين العيني، ت 855 هـ، ط دار إحياء التراث العربي– بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

137. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبي عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، ت 1329 هـ، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الثانية 1415 هـ.

138. العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ت 170 هـ، تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، ط دار ومكتبة الهلال، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

139. غاية الأماني في الرد على النبهاني، ت 1350 هـ (رداً على كتابه شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق)، لأبي المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، ت 1342 هـ، تحقيق: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي، ط مكتبة الرشد- الرياض، ط الأولى 1422 هـ.

140. غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، ت 224 هـ، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، ط مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط الأولى 1384 هـ.

141. فتاوى أركان الإسلام، لمحمد بن صالح العثيمين، ت 1421 هـ، تحقيق: فهد السليمان، ط دار الثريا- الرياض، ط الأولى 1422 هـ.

142. الفتاوى الكبرى، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1408 هـ.

143. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، بتعليقات الشيخ: عبد العزيز بن باز، ط دار المعرفة- بيروت، بدون رقم الطبعة 1379 هـ.

144. الفرق بين الفرق، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، ت 429 هـ، ط دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط الثانية 1977 م.

145. الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس ابن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، ت 684 هـ، ط عالم الكتب، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

146. الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، ت 395 هـ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، ط دار العلم والثقافة– القاهرة، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

147. في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ت 1385 هـ، ط دار الشروق– بيروت والقاهرة، ط السابعة عشر 1412 هـ.

148. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ت 1031 هـ، ط المكتبة التجارية الكبرى– مصر، ط الأولى 1356 هـ.

149. القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، للدكتور سعدي أبي حبيب، ط دار الفكر– دمشق، ط الثانية 1408 هـ.

150. القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، ت 817 هـ، تحقيق: مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، ط الثامنة 1426 هـ.

151. كبرى اليقينيات الكونية، وجود الخالق ووظيفة المخلوق، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ط دار الفكر– دمشق، ط التاسعة 1417 هـ.

152. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، ت 235 هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد– الرياض، ط الأولى 1409 هـ.

153. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري، ت 538 هـ، ط دار الكتاب العربي– بيروت، ط الثالثة 1407 هـ.

154. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، ت 1067 هـ، ط مكتبة المثنى– بغداد، بدون رقم الطبعة 1941 م.

155. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي، ت 597 هـ، تحقيق: علي حسين البواب، ط دار الوطن– الرياض، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

156. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي، ت 1094 هـ، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط مؤسسة الرسالة– بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

157. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، ت 717 هـ، ط دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط الثانية 1401 هـ.

158. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، ت 711 هـ، ط دار صادر– بيروت، ط الثالثة 1414 هـ.

159. لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت 852 هـ، تحقيق: دائرة المعارف النظامية– الهند، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت– لبنان، ط الثانية 1390 هـ.

160. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ت 1188 هـ، ط مؤسسة الخافقين ومكتبتها– دمشق، ط الثانية 1402 هـ.

161. مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان، ت 1420 هـ، ط مكتبة المعارف– الرياض، ط الثالثة 1421 هـ.

162. المجتبى من السنن (سنن النسائي)، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت 303 هـ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط مكتب المطبوعات الإسلامية– حلب، ط الثانية 1406 هـ.

163. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت 807 هـ، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط مكتبة القدسي– القاهرة، بدون رقم الطبعة 1414 هـ.

164. مجمل اعتقاد أئمة السلف، لعبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد– السعودية، ط الثانية 1417 هـ.

165. مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط مجمع الملك فهد– المدينة المنورة، بدون رقم الطبعة 1416 هـ.

166. المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت 458 هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1421 هـ.

167. مختار الصحاح، لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ت 666 هـ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط المكتبة العصرية- بيروت، ط الخامسة 1420 هـ.

168. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط دار الكتاب العربي- بيروت، ط الثالثة 1416 هـ.

169. المدخل، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، ت 737 هـ، ط دار التراث، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

170. المراسيل، لأبي داود سليمان بن الأشعث ابن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، ت 275 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى 1408 هـ.

171. المراسيل، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، ت 275 هـ، تحقيق: شعيب الرنؤوط، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى 1408 هـ.

172. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام ابن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري، ت 1414 هـ، ط إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية- نارس الهند، ط الثالثة 1404 هـ.

173. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ت 1014 هـ، ط دار الفكر- بيروت، ط الأولى 1422هـ.

174. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، ت 405 هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى 1411 هـ.

175. المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت 728 هـ، جمعه وطبعه: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ت 1421 هـ، ط الأولى 1418 هـ.

176. المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبي الفتح، ت 852 هـ، ط عالم الكتب- بيروت، ط الأولى 1419 هـ.

177. مسند أبي يعلى، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، ت307 هـ، تحقيق: حسين سليم أسد، ط دار المأمون للتراث- دمشق، ط الأولى 1404 هـ.

178. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني، ت 241 هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، ط مؤسسة الرسالة، ط الأولى 1421 هـ.

179. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ابن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، ت 292 هـ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، ط مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط الأولى 1988- 2009م.

180. مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، ت 360 هـ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الأولى 1405 هـ.

181. المسند، للإمام أبي سعيد الهيثم بن كُلَيْب بن سُرَيْج بن مَعْقِل الشاشي البِنْكَثي، ت 335 هـ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ط مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط الأولى 1410 هـ.

182. مشكاة المصابيح، لمحمد ابن عبد الله الخطيب التبريزي، ت 742 هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي- بيروت، ط الثالثة 1405 م.

183. مشكل الحديث وبيانه، لأبي بكر، محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، ت 406 هـ، تحقيق: موسى محمد علي، ط عالم الكتب- بيروت، ط الثانية 1985م.

184. المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ت 316 هـ، تحقيق: محمد بن عبده، ط الفاروق الحديثة- القاهرة، ط الأولى 1423 هـ.

185. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس، ت 770 هـ، المكتبة العلمية– بيروت، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

186. المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، ت 211 هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط المكتب الإسلامي– بيروت، ط الثانية 1403 هـ.

187. معالم السنن، (شرح سنن أبي داود)، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، ت 388 هـ، ط المطبعة العلمية– حلب، ط الأولى 1351 هـ.

188. المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، ت 360 هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط دار الحرمين– القاهرة، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

189. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني، ت 360 هـ، تحقيق: حمدي بن عبد الحميد السلفي، ط مكتبة ابن تيمية– القاهرة، ط الثانية بدون سنة الطبع.

190. معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر، ت 1424 هـ، ط عالم الكتب، ط الأولى 1429 هـ.

191. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت 911 هـ، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة، ط مكتبة الآداب– القاهرة، ط الأولى 1424 هـ.

192. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين، ت 395 هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر– دمشق، بدون رقم الطبعة 1399 هـ.

193. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، ت 606 هـ، ط دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط الثالثة 1420 هـ.

194. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، ت 751 هـ، ط دار الكتب العلمية– بيروت، بدون رقم الطبعة 1419 هـ.

195. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت 502 هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم– بيروت، ط الأولى 1412 هـ.

196. المفيد في مهمات التوحيد، للدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، ط دار الأعلام، ط الأولى 1423 هـ.

197. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق ابن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ت 324 هـ، تحقيق: نعيم زرزور، ط المكتبة العصرية– بيروت، ط الأولى 1426 هـ.

198. مقدمة في منهج البحث العلمي، للدكتور: رحيم يونس كرو العزاوي، ط دار دجلة– الأردن، ط الأولى 1429 هـ.

199. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لإبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبي إسحاق، برهان الدين، ت 884 هـ، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط مكتبة الرشد– الرياض، ط الأولى، 1410 هـ.

200. مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، لأبي بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل ابن شاكر الخرائطي السامري، ت 327 هـ، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، ط دار الآفاق العربية– القاهرة، ط الأولى 1419 هـ.

201. ملحة الإعراب، للقاسم بن علي الحريري البصري، ت 516 هـ، ط دار السلام– القاهرة، ط الأولى 1426 هـ.

202. الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، ت 548 هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط دار المعرفة– بيروت، 1404 هـ.

203. المنتخب من مسند عبد بن حميد (مسند عبد بن حميد)، لأبي محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام، ت 249 هـ، تحقيق: صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، ط مكتبة السنة– القاهرة، ط الأولى 1408 هـ.

204. المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي، ت 474 هـ، ط السعادة– مصر، ط الأولى 1332 هـ.

205. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، ت 728 هـ، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– السعودية، ط الأولى 1406 هـ.

206. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف لبن مري بن حسن الحزامي الحراني النووي الشافعي، ت 676 هـ، ط دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط الثانية 1392 هـ.

207. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان بن علي حسن، الناشر: مكتبة الرشد– الرياض، ط الثانية 1413 هـ.

208. الْمُهَذَّبُ في علم أصول الفقه الْمُقَارَنِ، لعبد الكريم بن علي بن محمد النملة، ط مكتبة الرشد– الرياض، ط 1420 هـ.

209. الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ت 790 هـ، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط دار ابن عفان، ط الأولى 1417 هـ.

210. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، ت 370 هـ، تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، ط دار الجيل– بيروت، ط الأولى 1411 هـ.

211. الموسوعة الفقهية الكويتية، لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، ط دار السلاسل– الكويت، ط الثانية 1404 هـ.

212. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، لأبي سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ط المكتبة الإسلامية– القاهرة، ط الأولى بدون سنة الطبع.

213. الموطأ، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، ت 179 هـ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط مؤسسة زايد آل نهيان– الإمارات، ط الأولى 1425 هـ.

214. موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى، للدكتور يوسف القرضاوي، ط مكتبة وهبة– مصر، ط الأولى 1415 هـ.

215. نهاية الأَرَب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ت 733 هـ، تحقيق: مفيد قمحية وآخرون، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1424 هـ.

216. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير، ت 606 هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط المكتبة العلمية– بيروت، بدون رقم الطبعة 1399 هـ.

217. نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي)، لعبد الرحمن ابن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت 911هـ، ط جامعة أم القرى – السعودية 1424 هـ.

218. نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت 1250 هـ، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط دار الحديث– القاهرة، ط الأولى 1413 هـ.

219. الوافي، للفيض الكاشاني، محمد محسن بن الشاه مرتضى ابن الشاه محمود، ت 1091هـ، تحقيق: ضياء الدين الحسيني الأصفهاني، ط مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي– أصفهان بإيران، ط الأولى 1406 هـ.

220. وحي القلم، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، ت 1356 هـ، ط دار الكتب العلمية– بيروت، ط الأولى 1421 هـ.

221. وسطية أهل السنة بين الفرق، لمحمد با كريم محمد با عبد الله، ط دار الراية– السعودية، ط الأولى 1415 هـ.

222. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، لمحمد بن محمد بن سويلم أبي شُهبة، ت 1403 هـ، ط دار الفكر العربي، بدون رقم الطبعة أو سنة الطبع.

223. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، ت 681 هـ، تحقيق: إحسان عباس، ط دار صادر – بيروت، ط الأولى 1391 هـ.

*المواقع الالكترونية:

1. ترجمة عبيد الله المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: http://shamela.ws/index.php/author/1092.

2. ترجمة سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (سيد قطب) الموسوعة العربية العالمية: www.mawsoah.net

3. الموسوعة الحرة ويكيبيديا (محمد البوطي) http://ar.wikipedia.org

خامساً: فهرس الموضوعات

التمهيد

الفصل الأول

بيان حقيقة الاستخارة

الفصل الثاني

دلالة حديث الاستخارة على مسائل العقيدة الواردة فيه

الفصل الثالث

أثر العقيدة الإسلامية على الفرد والمجتمع في ضوء حديث الاستخارة